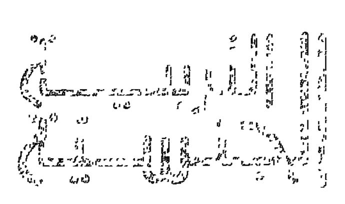
التربية الجنسيّة

اعداد: موريس شربل

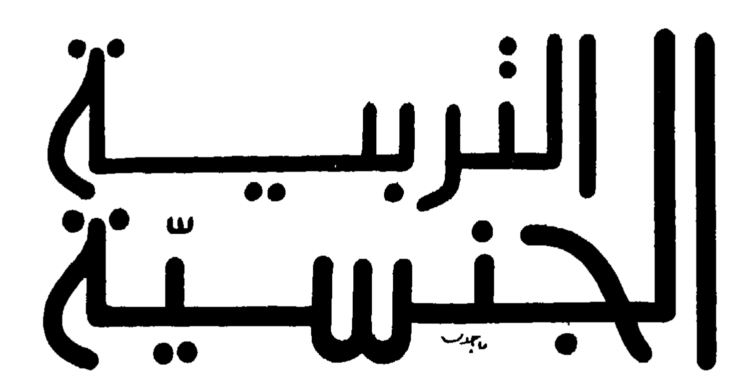
كَيْفَ نُسَاعِدُ أولادَنا عَلى تَخَطّي فَترة المُراهِقة






التربية
الجنسية


بسم الله الرحمن الرحيم



اعداد: موريس شربل

كَيفَ
نُسَاعِدُ
أولادَنا
على
تَخطّي
فترة
المُراهِقة





DAR EL-MANAHEL • BEIRUT – LEBANON

TEL · (01) 814716 - 814697 - 818600 • FAX: (01) 644528 • P.O BOX ٥٦٤٥ / ١٤

مقدّمة

١ - إلى المراهق:

من أجلك عزيزي المراهق عرضنا للمشاكل الجنسية من الناحية الفيزيولوجية السيكولوجية، وقد حاولنا إدخال تجارب: خبراء، أطباء، مربّين، أهل، وكل المعلومات الضرورية التي تساهم في خلخلة مشاكلك.

الأسئلة التي وردت في الفصل الأخير جمعت من لقاءات خاصة مع مراهقين طرحوها إما بشكل جماعي أو بشكل فردي. فهي بذلك تدلل على الحاجة العميقة عند المراهق إلى الغوص في هذه المفاهيم التي تلامس الحياة العاطفية والحياة الجنسية على حد سواء.

يُعتبر هذا الفصل نموذجاً للحوار الواجب إقامته بين الأهل والمراهقين لإطلاعهم بوضوح وبدون حواجز أو أي مانع آخر على كل الأمور الجنسية من الألف إلى الياء.

وإذا اطّلعت عليها بمفردك ستجد كل الأسئلة التي تدور في خلد كل مراهق. نتمنى أن يؤدي هذا الكتاب إلى الفهم الأفضل لهذه الأمور الحياتية ومن ثم تأمين سعادة أفضل للجيل المقبل...

٢ - إلى الأهل الكرام:

نطلب إلى الأهل الكرام أن يتدخّلوا في أمور التربية الجنسية عند أولادهم، وذلك للعديد من الأسباب، فالأهل والأولاد على علاقة بيِّنة في المشاكل الجنسية خصوصاً إذا ما سلمنا بعقدة «أوديب» وعقدة «إلِكْترا» بعدما أطلق لهما العنان الدكتور «سيجموند فرويد» واتُّهِمَ بأنه أسقط عقدته الخاصة على البشرية جمعاء.

نرى أن الأهل هم الذين يبدأون بالتربية الجنسية، لذا نضع أنفسنا مكانهم ونسرد لهم في هذا الكتاب ما يجب أن يقوموا به تجاه أسئلة الطفل والولد والمراهق، كما نوضح لهم طرق المعاملة في هذا الشأن للتخلص من كابوس المحرَّمات والممنوعات الذي يوقع الأجيال في حالات مرضية وعقد نفسية قد تودي بحياتهم أحياناً وللأسف!.

في هذا الكتاب تجدون الحلول المناسبة لكل أنواع الانزعاجات التي تقلقكم، وما الإخبار الجنسي التام إلاَّ الحل الأفضل في هذا الإطار، ولا نرغب في قطع أية قطعة صغيرة من الشريط...

٣ - إلى المربي العزيز:

للمربي بعد الأهل دورٌ أساسي يفرض نفسه وهو مزدوج.

١ - على المربي إعلام التلميذ الذي يسأله بعيداً عن كل هموم الأخلاق، ودون أن يشعره بتأثير السلطات التي هي أعلى من التلميذ.

٢ - على المربي الإفساح في المجال أمام المراهق للتعبير عن كل رغباته ومخاوفه ضمن نقاش حرّ وواضح.

فالحوار السليم هو علاج شافٍ من العقد وحتى من الأمراض النفسية فالكلمات لها سلطة على حل المشاكل بدلاً من تعقيدها.

قد يطور المعلم أو المربي هذا الإعلام بتوضيحه بوساطة فيلم أو صور كي يدرك المراهق كل أموره بوضوح.

نأمل أن نكون قد قدَّمنا خدمة للأهل وكيفية تعاملهم مع أبنائهم، وللمعلمين وكيفية التعامل مع طلابهم، وللمراهقين أنفسهم في جعل مشاكلهم تسير نحو طريق الحل والهدوء، فتصبح عندهم السيطرة على الذات وعلى الأمور الجنسية حالة طبيعية يسهل التحكم بها.

والله ولي التوفيق

المؤلِّف

الفصل الأول

طرح المشكلة الجنسية
منذ الولادة حتى سن الرشد

مقدمة:

تنبَّه الإنسان منذ القدم إلى موضوع التربية الجنسية والعاطفية عند الناشيء، لكنه بقي محاطاً بالكتمان والسرية التامة إلى أن جاء جان جاك روسو فطرح في كتابه «آميل» السؤال التالي: «كيف يتصرَّف الأولاد؟» هذا السؤال يخطر للأولاد كثيراً وتقرِّر الإجابة المرتجلة أو الحذرة عليه أحياناً مصير عادات الأولاد وصحتهم مدى الحياة. كما يمكننا أن نطرح اليوم السؤال التالي: «كيف يتصرف الأهل مع أولادهم تجاه أمور الجنس؟». وهذا السؤال يقرِّر مدى الصحة النفسية التي سيتحلَّى بها الناشيء بعد اجتيازه مراحل نموه وخصوصاً «الحياة الجنسية».

أولاً: روسو والتربية الجنسية:

ينتقد روسو الأهل الذين يتهربون من الإجابة معتبرين أن هذا السرّ للمتزوجين فقط، كما يرى أن من تلقَّى مثل هذا الجواب لن يهدأ له بال قبل أن يُدرك سرّ المتزوجين هذا... أو تلك الأم التي تجيب ابنها بكل خشونة: «نعم يا بني... تبولهم النساء وسط آلام مبرحة تكلفهن حياتهن أحياناً» أو تلك التي تقول: «... لقد حصلت عليه من الملفوفة..» أو.. غير ذلك.

نستطيع القول بأن روسو سجَّل تقدماً شبه ثوري في التربية الجنسية التي سيتناولها من وجهة إعلام بسيط. فبالرغم من التجربة الشخصية التي مرَّ بها روسو والتي تظهر معالمها في كتاب الاعترافات: Les confessions بأدلّة

قاطعة فهو يرى أن الأولاد لا يدركون شيئاً عن الجنس. فقد قال: «إننا نـولد مرتين: الأولى من أجل النوع والثانية من أجل الجنس».

ثانياً: فرويد والتربية الجنسية:

لكن فرويد، رجل القرن التاسع عشر، اكتشف علم الجنس ووضع حداً لكل بتر أو انقطاع أو تمييز بين مـراحل النمـو، ولم يسمح مـطلقاً بكـلام روسـو الذي اعتـبر المراهقـة ولادة ثانيـة أو ولادة الجنس. إذ إن روسـو يعتـبر البنات والصبيان حتى عمر معين كائنات متشابهة، لكن السيكولوجيـا الحديثـة ترفض هذا الاعتبار رفضاً كلياً.

وبرغم أن روسو نـادى بتربيـة الطفـل منذ الـولادة، لا بل قبـل ولادته بعشرين سنة أي تربية والديه أولاً، لكنه بقي مـع إرجاء الـتربية الجنسيـة إلى بداية المراهقة فاعتبر الجنس ولادة ثانية، فإن فرويـد ذهب إلى أبعد من ذلـك بكثير إذ طالب بالاهتمام بالأمور الجنسية منذ الولادة، وقد تبنت التربية الحديثة المعاصرة ذلك. وتمنى منذ القرن التـاسع عشر أن يجـد ميدان الـتربية الجنسيـة مكـانه في مـراحل التعليم ومنـذ البدايـة، وينبغي أن تعلَّم مثـل بـاقي المـواد التعليمية الواجب معرفتها.

فالولد حسب رأي فرويد، يطلب المعرفة والإعلام الجنسيين معـاً وبكل تحمُّس ولا يعترض مطلقاً على ذلك كما يدَّعي بعض الأهالي، فهو يريد معرفة كل شيء وكل التفاصيل حتى أنه يريد من يرشده كي يصل فعـلاً إلى ممارسـة الجنس بنجاح وتحقيق الرغبة الكامنة فيه التي تؤدي إلى اللغـة التي يبحث عنها ووقف شحنات الليبيدو التي تتكون في جسمه والتي تساعده من ناحية أُخـرى على تحقيق عامل الذكاء العام بشكل أفضل.

ثالثاً: مشكلات متنوعة:

فالراشـد لا يعرف بمـاذا يجيب وكيف يتصرَّف مع الـولد فهـو غالبـاً ما يعطي إجابات ناقصة أو منتقصة تترك الولد مهاناً في مجال دوافعـه نحو البحث

الشريف الصادق. فلا يلبث أن يضطر إلى اتباع طرق المجتمع البورجوازي المفتوحة أمامه خصوصاً في مجال تحقيق دوافعه الجنسية.

فالناشىء اليوم على أبواب القرن الحادي والعشرين يسأل ويطلب بحق ما كان يسكت عنه طفل الأمس، فهو يتكلم علناً عمّا كان يكتفي طفل الأمس بتصوره فقط، ويحاول الاتصال والتجربة بدل الكبح والكبت، ربما أصبحت عمليات التصعيد نوعاً من التصوُّف لا يصل إليه إلا الملائكة والقديسون.

وهذه المشاكل لا نراها ملحة كما في الماضي البعيد، إذ إن طفل الماضي القريب هو الأب والأم للطفل الحالي وهو يبحث عن الإصلاح ولا يقبل أن نبعد عن أطفاله وذريّته الخجل وعقدة الذنب والحرمان.

فطفل اليوم مشبع بالإعلام، يكفيه أن يفتح عينيه وأذنيه فيدرك كل المعلومات الجنسية الضرورية (سينما، تلفزيون، مناقشات، استنتاجات...) إذاً لماذا المدرسة؟ وهل نبغي تعليم الطفل ما يعرفه أو ما لا يريد معرفته؟ ومن يهتم بذلك؟..

لماذا انتظر المربون والعلماء عصرنا هذا لإثارة مشكلة التربية الجنسية بشكل واضح؟ ربما يعود سبب ذلك إما إلى نضج المرحلة في هذا العصر وإمكانية تقبل الناس لمثل هذه المواضيع أو ربما خوفاً من نتائج تفاقم الأمور الجنسية من النواحي المرضية خصوصاً السيدا Sida وغيره...).

كيف يمكننا أن نفكر في تعليم وظيفة بيولوجية كنا نعتبرها غير موجودة؟ فالجميع كان يرغب في تأخير أو تأجيل غريزة لا يرون فيها إلا الأخطار. فقد طالب الفارسيون قديماً بعدم التكلم مطلقاً أمام الفتيان عن كل ما له علاقة بالحب، خوفاً من إيقاظ الميل الجامح الموجود عندهم طبيعياً في هذا العمر نحو اللذة.. فقديماً مارست بعض الشعوب الجنس علناً دون أي عائق أو رفض من قبل الراشدين ذلك لأن الظروف السكنية كانت تخلصهم من هذا السر الذي يعرف باسم «الاحتشام» خصوصاً في البلدان التي يتيح فيها تقدم البناء توزع

العائلة في عدة غرف. فلا تشكل التربية الجنسية، هنا، مسألـة صعبة لأنها لا تحمل معها أموراً خفية ولا أشيـاء محرَّمـة. بينما كـانت الحضارة تعـطي تفسيراً لا أخلاقياً لممارسة العادة السرية، التي لم تثر الانتباه حتى عصر النهضة، ولا في الكنيسة أيضاً، لكنها اعتبرت شواذات فاسقة.

من هنا نجد أن التربية الجنسية قد اقتصرت عنـد اليافـع والمراهق عـلى الصراع ضـد العادات السيئـة وتجمعت كل القـوى وانصبَّت كل الجهـود على تحقيق ذلك: رجال الدين وتعاليمهم، الأطبـاء والخوف من الأمـراض، الأهل والمجتمع... إلخ. فـأصبح الجنس فعـلاً من المحرمـات على جميـع الأصعدة وحتى نفي كلِ العادات المتعلقة بالجنس وملاحقتها...

عرفت هذه المرحلة باسم الدكتور «تيسُّو» وهو طبيب سـويسري توفي في لـوزان عام ١٧٩٧... وكـان القرن الثـامن عشر والنصف الأول من القـرن التاسع عشر يمثلان أوج التربية الجنسية بالتخويف.. حتى روسـو نفسه الـذي يعتبر أكثر ثورية وانفتاحاً من غيره...

من هنا كان على التربيـة الجنسية أن تخـرج من هذا النفق الضيق حيث ضلَّت طريقها، وأصبح على الإنسان المعاصر أن ينظر إلى العمل الجنسي نـظرة أكثر موضوعية. ففي نهاية القرن التاسع عشر افتتح «كرافت إيڤنج» الدراسـة العلميـة للجنس وما لبثت أن ظهـرت أسماء عـديدة كـان أشهـرهـا «هـاڤلوك أليس» و«فرويد» و«ج. ماراتون».

رابعاً: علم الجنس والإعلام الجنسي:

يعتبر فرويد أول من استخرج بطريقة منهجيـة علم الجنس عند الـطفل الذي لم يكن يعرف عنه شيء سوى بعضُ الآراء النادرة والمتبعثرة هنا وهناك. ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع بين علم النفس وعلم الأخلاق كي يحتل المكانـة الأولى في علم التربية. وبـذلك أصبـح من الجلي أنـه ينبغي النظر إلى الـتربية الجنسية عند الولد بمنـظار جديـد وبشكل أكـثر إيجابيـة من ذي قبل. وتـدريجاً أصبحت فكرة إخبار أو إعـلام الفتيان مقبـولة رغم أن الاتفـاق لم يكن كافيـاً

حول أساليب هذا الإعلام وهل تقوم به العائلة أم المدرسة؟ وفي أي عمر يجب أن يتم ذلك؟ وبأية طريقة؟

فقد تشعَّبت الآراء فمنها ما أعطى الأفضلية الأُولى للأهل والحجّة في ذلك أن الإخبار الحاصل من قبل الأهل ربما يساعد في حل عقد مراحل الطفولة الأولى المتكونة تجاه الأهل (أوديب وإلكترا. . .) . وهذا الاتجاه مثّل بمدرسة التحليل النفسي التي أوجدها فرويد. . .

أما الآراء الأخرى فهي تطالب المدرسة بالقيام بهذا الإعلام لأن المدرسة تتخذ الصفة العلمية والموضوعية تجاه الطفل وبعيداً عن الحياة العاطفية والانفعالية التي تبقى مسيطرة في المنزل مع الأهل.

وقد تطورت هذه الفكرة حتى بلغت فعلاً غرف الصف والمناهج، ولكن بقي الرأي منقسماً بين تيارين: الأول يطالب بتربية جنسية من ضمن مواد التعليم الأخرى كالبيولوجيا وعلم الأخلاق وغيره، والثاني يطالب بوضع منهج لمادة دراسية منفصلة عن بقية المواد الأخرى.

وهناك رأي آخر يطالب بالإخبار عبر طبيب اختصاصي أو رجل دين أو خبير سيكولوجي اجتماعي. . . إلخ. أما في ألمانيا فقد لاقى فيلم «خجل في غير مكانه» رواجاً وتقبله المجتمع والناشئة منذ العام ١٩٢٦ وهو شرح مفصَّل منذ تكوين الطفل في أحشاء أُمه حتى الولادة.

خامساً: آراء بعض المفكرين حول طرح هذه المشكلة:

أ ـ أعلن الدكتور أ. مايري بعض التوجيهات الأساسية والتوصيات العالمية نرى إفادة في ذكرها هنا:

١ ـ على الأهل والمعلمين القيام بتصرفات ومواقف عملية مميزة تلفت انتباه الأولاد فيقتدون بها وألّا يكثروا من الحكم والنصائح والأوامر.

٢ ـ يجب أن تتحدَّد بوضوح وجلاء طبيعة ومستوى الإجابات على

الأسئلة حسب مراحل النمو الجسدي والعاطفي والذهني عند الولد، كما ينبغي تحديد طبيعة الأسئلة المطروحة.

٣ ـ يجب أن تندرج التربية المعرفية في الإطار المحلي والوطني والثقافي والديني، كما ينبغي أن تتوازن هذه التربية بين البيت والمدرسة.

٤ ـ وعلى صعيد المدارس يجب أن تكون التربية الجنسية متدرّجة ومتكافلة... ويجب أن تندرج بشكل طبيعي وحذر في الحياة المدرسية العادية... ولا يجوز أن تكون ناقصة أو غير متكاملة...

٥ ـ إن الحاجة إلى التكرارات الثابتة أمرٌ طبيعي عند الولد، وهذه الحاجة لا تتأتى عن نسيان ناتج عن عملية كبت، بل يجب اعتبارها كنتيجة طبيعية لنمو الولد ونمائه، إلا أن هذا الموضوع يبقى للنقاش.

وبعد توصيات د. أ. مايري هذه، اتخذت التربية الجنسية مكاناً أكثر أهمية من ذي قبل وتفاعل الموضوع بشكل متواصل ولا يزال... فكانت الأفلام والصور المتحركة والأسطوانات الجنسية وغير ذلك.. وكلها تدور حول وظائف الجهاز التناسلي عند المرأة وعند الرجل وعملية تطور وإخصاب البويضة وتكوين الطفل حتى الولادة.

ب ـ أما م. لويس فرنسوا فقد وضع أُسس التربية الجنسية حسبما ورد في تقريره بعد دراسات مستفيضة، على النحو التالي:

١ ـ المرحلة الأولى تقضي بتنفيذ الإخبار الجنسي أي معرفة كيفية تشريح الأعضاء الجنسية ووظائفها من قبل الأولاد والمراهقين وكيف يتم اكتشاف هذه الحقائق التي تشكل أسراراً بالنسبة إليهم وقد تشغلهم وتعذبهم أحياناً.

فالمشكلة الأولى علمية تستوجب نهاية أخلاقية أما المشكلة الثانية فهي

أخلاقية بحتة، إلا أنها تفترض إعلاماً علميّاً، وعلى هذا الأساس تصبح التربية متلازمة مع التعليم ولا يمكن فصلهما الواحد عن الآخر.

أما التربية الجنسية الحقيقية فهي ليست سوى مظهر من مظاهر التربية العاطفية وكذلك الجنس فهو مظهر من مظاهر العاطفة التي تطبعه بطابع شامل. وفي حال حملت المدرسة الحديثة على عاتقها هذا الميدان، فذلك كي تضع هذه التربية وفقاً للمعايير المطلوبة في المجتمع وعند الأهل، وبذلك لا تستطيع التربية الجنسية أن تتهرَّب من متطلبات الحالة السوية، ولا عن هدف النجاح. ويمكن أن يتم تعليم الأمور الجنسية كبقية الميادين باللوحات والصور فيتجاوز الطفل ضباب الجهل وعدم اللباقة كما يجتاز حواجز الشك وعدم الثقة، ولا يتم إحداث أي نوع من الفضائح...

لكن طفل اليوم يسأل ويسأل ثم إنه يرفض عالم الأحلام وينظر إلى أبعد من كلمات الترتيب والسوية والنجاح... فهو ينظر لا بل يُدرك عدم قدرة المجتمع على تحمل ما يقف عقبة في وجه المردود الجيد والتشغيل الناجح للجيل. ومما لا شك فيه أن الجنس يحمل معه بالضبط شيئاً ما يتجاوز الفرد والجماعة، وهذه المشكلة هي أساس كل المشكلات. يدرك طفل اليوم أن إخوته الكبار أو رفاقهم مروا بمشاكل صعبة وها هو مشرف على الهوة المحفورة أمامه والتي فتحها فرويد وقال عنها إنها مشكلة المشاكل ويخشى الطفل الضياع هنا فيبحث عن حل لمشاكله رافضاً النماذج. فهل يكون الحل بتربية جنسية منظمة في المدرسة وهل يكفي ذلك دون أن يطلب الأولاد النجاح في الممارسات العملية؟

سادساً: ماذا يفعل الراشد تجاه مشاكل الجنس والتربية الجنسية؟

الراشد لا يعتبر المسائل الجنسية منفصلة عن بعضها البعض، وهي تورّطه في رغباته ورغبات المراهق والصعوبات التي عليه اجتيازها، وتأثيره في الناشئة يكون انطلاقاً من حياته الجنسية الخاصة. وبذلك تكون ردة فعله بإحدى أساليب التربية الجنسية التي تؤثر في الولد. ففي حال ركّز موضوعه

على معرفة تشريح الأعضاء الجنسية ووظائفها فإنَّ هذا يعني أنه يحاول الابتعاد أو نفي الرغبة واللذة الحاصلتين عن التورط في العمل الجنسي. وهذا ما يعرف حديثاً بالتعليم الجنسي المخالف للتربية الجنسية التي لا يجوز أن تترك مسألة إلا وتتناولها بالبحث ولا تترك أي موضوع بين مزدوجين. . .

فالراشد سيتصرَّف وفقاً لوضعه الذاتي، واضعاً أمام عينيه تأمين ما يعرف للسيطرة على الجنس. يحاول المربي كل الوسائل منذ التهذيب الأول إلى اقتراح المثال الأعلى، وذلك بغية فرض تنظيم للجنس قبل بدء مظاهره بوضوح في مرحلة المراهقة. وقد أصبح معروفاً اليوم إلى أي طريق مسدود يؤدي مثل هذا النوع من العمل، وأية هوة تحفر بين الأولاد والكبار. كما ندرك الانزعاج الذي يتعرَّض له الراشد الذي لا يعرف ماذا يقول أو ماذا يفعل، ـ وهذا يحدث أيضاً بين المثقفين والمتعلمين ـ وعند ذلك لا يستطيع الراشد أن يفعل شيئاً. لذا نرى البعض منهم يتجهون نحو أفضل الآداب مع إظهار نوع من التحرُّر البسيط.

إن فشل التربية المثالية أدَّى اليوم إلى نشر ما يعرف بـ «تعلّم الحب» ولذلك يجب وضع الدراسات المفضية إلى أفضل التقنيات التي تؤدي إلى الحب واللذة[1] وتعليمها للمراهقين. وهكذا تكون العودة إلى علم الجنس الطبيعي كما يجب ممارسته وبشكل كاف ومشبع، هذا ما يمكن تعليمه بدون إضفاء أية مشكلة للمتعلم أو المعلم. لكّن المراهق يقاوم هذه الدرجة من التفاهة التي تصبح في الحب أي بلوغ اللذة بشكل صرف. فالذين روجوا لهذا النوع من التعلّم يأخذون بالحسبان ماضياً يثقل عليهم. فكيف العمل لتحرير المراهق من مشاكله؟

هناك خط مشترك بين كل هذه المفاهيم التربوية التي ذكرناها فهي لا تسمح للولد بالكلام، بل إنها تجلس دائماً مكانه وتتكلّم، أما فيما يتعلق بموقفه الحقيقي من الموضوع أو بمشاكله الخاصة أو معلوماته أو الغموض الذي يكتنفه

---

(١) Encyclopedie Universale, Paris - France.

فبعد كلامه وأسئلته يمكننا رسم طريقه. إذاً الخطوة الأولى هي أن نجعله يتكلم ويكون هناك مستمع له وتدريجياً نتوصل إلى الطريقة الفضلى. فقد قال روجيه باستيد Roger Bastid: «لا تحصل التربية الجنسية عندنا لا في العائلة ولا في المدرسة بل ضمن سرية عصابة الأولاد... حيث يتكلم ويرى من يسمع له». فما يجري ضمن العصابة يحتل المكان الناقص عند الراشدين، أجل فكل الدراسات الاجتماعية والنفسية التي أقيمت على العصابات تدل على الدور الذي يلعبه القائد في هذا المجال وفقاً لقوانينه الصارمة، وبصورة خاصة فيما يتعلق بالسلوك الجنسي. ومن أخطاء عمل العصابة بلوغ اللذة بمعناها الحقيقي.

إمن المؤكد أن الولد لا يستطيع التحدث مع كل راشد. والمعلم كما هو وضعه الحالي في مجتمعنا ليس بإمكانه الاستماع إلى كلام الأولاد. يختصر فرويد الحديث حول هذه الصعوبات قائلاً: «هكذا نجد مرة أخرى، وتكون على شيء من الحذر، إذا أردنا خياطة قطعة حرير واحدة على ثوب بالٍ، كم هو غير ممكن إحداث نهضة دون تغيير أسس النظام بكامله»[١].

فهل يتحدَّث الولد بسهولة إلى والديه؟ ربما، أحياناً.

هل يتحدث بحرية إلى أقرانه؟ نعم وبتعبير حر وكامل.

هل ينبغي إكثار عدد الراشدين الذين يستمعون إلى الأولاد؟ نعم وبالتأكيد.

هل ينبغي التدخل مع الموجه أو القائد لغرض توجيهات معينة على الفريق بوساطته؟ نعم ولكن بلباقة وإلا رفضت كلها.

على المربي إذاً أن يتيح للغريزة الجنسية التطور الطبيعي نحو النضج ومن ثم منعها من الظهور بشكل غير منسجم مع المتطلبات الاجتماعية. فماذا عسانا أن نفعل من أجل هذه التطورات الجنسية التي تبقى هي هي في كل مكان وزمان. فكيف نخطط لعمل ناجح على هذا الصعيد؟

---

(١) سيجموند فرويد «الحياة الجنسية La vie seuelle.

الفصل الثاني

مراحل النمو الجنسي والاجتماعي

مقدمة: مفهوم المراحل:

يحدث النمو باستمرار خلال سنوات الحياة الإنسانية المتتابعة إلى أن يبلغ مرحلة معينة يتم فيها تكوينه النهائي. وقد أشار العلماء إلى أن عملية تقسيم هذه الفترة إلى مراحل معينة ليست بالأمر السهل، ذلك لأننا لا نستطيع تمييز نهاية مرحلة ما من بداية المرحلة التي تليها إذا كان لا يزال هناك نوع من التداخل. وما محاولة تقسيم فترة النمو باختلاف أنواعه[1] إلا للتبسيط.

أما الغاية من دراسة مراحل النمو فهي ضبط السلوك بغية توجيهه نحو الحالة السوية. ولتأمين ذلك هناك مطالب يجب تهيئتها، أهمها:

١ ـ اكتساب القدرة على الاتزان الفيزيولوجي بعد الحياة الرحمية.
٢ ـ اكتساب السيطرة على عمليتي الإفراز، واجتياز مرحلة الفطام بهدوء.
٣ ـ اكتساب القدرة على الحركة ومن ثم المشي والركض.
٤ ـ اكتساب القدرة على الكلام والاقتراب تدريجياً من الواقع.
٥ ـ اكتساب العادات الانفعالية الثابتة.
٦ ـ إدخال الطفل كعضو فعّال في المجتمع.
٧ ـ العمل على إيصال الطفل إلى مرحلة النضج العضوي والعقلي والانفعالي والجنسي والاجتماعي.

---

(١) تجدر الإشارة إلى ان هناك النمو الجسمي والنمو العقلي والنمو النفسي.

أولاً: ما هي مراحل النمو البيولوجي؟

مرحلة ما قبل الولادة وحتى عمر السنتين. تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك خلايا جسمية Somaticells وخلايا جنسية Sex - cells، فما الفرق بينهما؟

في خلايا الجسم البشري ٢٣ زوجاً من الصبغيات Chromosomes ٢٢ منها متشابهة في الذكور والإناث وتدعى الصبغيات الجسمية، أما الزوج الباقي فيدعى بالصبغي الجنسي، ويختلف في الذكر عمّا هو عليه في الأنثى حيث يكون متماثلاً (XX) في الإناث ومتغايراً في الذكور (XY). لم يتم التعرُّف حتى الآن على أماكن المورثات Gènes على الصبغيات أو على خارطتها، فقط عرف مكانٌ على العروة الجنسية Y حيث توجد المورثة Gène المسؤولة عن وجود الشعر على الأذن ومورثة القامة الطويلة ومورثة الميول العدوانية.

المهم وعند اتحاد الخلية الجنسية الذكر Sperme بالخلية الجنسية الأنثى Ovule كم يكون عدد الصبغيات؟ تخضع الخلية الجنسية إلى عملية تخفيض حيث يصبح عدد الصبغيات في الخلية الجنسية المنوية ٢٣ صبغية وكذلك بالنسبة إلى البويضة بحيث يصبح عدد الصبغيات في الخلية الملقحة ٤٦ صبغية أي ٢٣ زوجاً، ٢٢ منها جسمية والزوج الباقي يدعى الصبغي الجنسي ويكون إما (XX) أو (XY) حسبما تكون الخلية الملقحة أُنثى أم ذكراً. من هنا نجد أن الجنس يتحدَّد في اللحظة التي يتحد فيها الحيوان المنوي في البويضة. تمر الحياة داخل الرحم بعدة مراحل هي:

- مرحلة البويضة والجنين الخلوي أي منذ تلقيح البويضة حتى الأسبوع العاشر كحد أقصى حيث يبدأ تكوين الأعضاء المختلفة.

- مرحلة الجنين وهي مرحلة الثلث الثاني من مدة الحمل، فعند نهاية الشهر الثالث يمكن تمييز جنس الجنين وذلك بفحص الأعضاء التناسلية الخارجية عندما يكون طول الجنين ٧,٥سم تقريباً ووزنه ١٤ غراماً.

أمّا عند نهاية مرحلة الجنين فيصبح طوله ٣٥ سم ووزنه ١٠٠٠ غرام أي في الأسبوع الثامن والعشرين.

- مرحلة الثلث الأخير من الحمل حيث تنمو الأنسجة والعضلات ويصبح طول الطفل ٥٠ سم ووزنه ٣٥٠٠ غرام.
- مرحلة الولادة وهي الأزمة الكبرى التي يمر بها الطفل خصوصاً بانتقاله من الرحم إلى الحياة الخارجية، حيث يتوجب عليه القيام بالوظائف البيولوجية بنفسه. . .

يبدأ التسنين أي تكلس الأسنان اللبنية في أثناء الحياة الرحمية وما بين الشهرين الخامس والسادس. وتظهر بين الشهر الرابع والسادس بعد الولادة وهكذا تدريجياً يتم نموّ كل الحواس، ومن ثم يتطور النطق والانخراط في المحيط الخارجي.

ومع ظهور الأسنان تبدأ العدوانية عند الطفل، كما أن انخراطه في المجتمع سيضعه أمام تحدِّيات مختلفة ممَّا يجعله عرضة لمشاكل عضوية وبيولوجية عديدة يكون لها انعكاسات سلبية على الحياة الجنسية.

فقد أكَّد العلماء أن الكثير من العاهات والعيوب والانحرافات ومشاكل السلوك كان نتيجة للتدخل في عملية النمو عند الطفل وإنكار حاجاته وتعطيل قابليته. فوضع الموانع الصارمة أمامه، وعدم الإفساح في مجالات أُخرى للعب يؤدي بالطفل إلى العصيان وسوء السلوك، هذا إذا لم يكن الطفل من النوع المسالم، وإلى الكبت والانطواء على الذات والانزواء إذا كان عكس ذلك. ولا ننسى ما لعامل الوراثة من أهمية بالغة هنا أيضاً. ومن أهم المشاكل النفسية نذكر:

- الميول العدوانية: يؤذي الآخرين ولا يؤذي نفسه.
- الانطوائية أو الانزواء، وتعالج بالتشجيع على اللعب مع الرفاق في جميع المجالات.

نشير إلى أهمية النمو في جميع النواحي وهذا لن نتطرق إليه كونه يمكن

الحصول عليه من أي كتاب علم نفس نحصل عليه عبر مراحل النمو المتتالية.

فقد حدَّد جان بياجه Jean Piaget مراحل النموالعقلي على النحو التالي[1]:

ـ الذكاء الحسي ـ الحركي من الولادة حتى عمر السنتين.
ـ الذكاء الحدسي ـ من ٢ ـ ٧ سنوات.
ـ الذكاء المحسوس ـ من ٧ ـ ١١ سنة.
ـ الذكاء المجرَّد ـ من ١٢ سنة فما فوق.

وكل مرحلة تمهِّد للمرحلة التي تليها، بحيث أن المراحل تتصل بعضها ببعض، كما يمكن أن تختلف الأرقام المذكورة وفقاً للبيئة والطفل والمنشأ الاجتماعي... وغيرها.

ولا ننسىٰ في المراحل الأولىٰ مدى قوة الأنوية (الأنانيّة) عند الطفل L'égocentrisme والتي تلعب دوراً رئيسياً وعميقاً في حياة كل فرد وتساهم في بناء شخصيته ونماذجها الفريدة وفقاً لارتباطاتها مع المجالات الأخرى.

ثانياً: مراحل النمو الجنسي ـ الحياة الجنسية.

اعتمدنا في توضيح هذه المراحل على مراجع من مؤلفات عالم النفس الكبير سيجموند فرويد S. Freud وبصورة خاصة على كتابه الذي يحمل العنوان: «ثلاث محاولات أو تجارب في النظرية الجنسية» «Trois essais sur la théorie de la sexualité, Gallimard - 1962».

يؤكد فرويد وجود الجنسية في مراحل الطفولة الأُولى ويطلق اسم الجنسية الطفولية على كل ما يتعلق بنشاطات الطفولة الأولى فيما يتعلق

(١) التطور المعرفي عند جان بياجه، موريس شربل، منشورات مجد بيروت ١٩٨٢.

بالبحث عن البهجة عبر هذا العضو أو غيره من جسم الطفل، فالليبيدو[1] قد يظهر بالجسم كله أو بأحد أعضائه.

وقد أطلق فرويد على كل وظيفة يمكن أن تؤدي إلى لذة صفة الجنس؛ انطلاقاً من مختلف مناطق الجسم. وهكذا فقد قسّم المراحل الليبيدية إلى:

١ ـ المرحلة الفمية **Stade oral**: وتمتد منذ الولادة حتى نهاية السنة الأولى. يكون الفم فيها مصدر كل الدوافع أو مجموعة أعضاء التجويف الفمي، ويتم تفريغ شحنات الليبيدو عبر الأم التي تمثل كل الوجود الخارجي بالنسبة إلى الولد.

لهذه المرحلة أهمية بالغة لأنها تعتبر الأساس في بناء الشخصية، وتكمن أهميتها في علاقة الطفل بأمه.

ميَّزَ ك. أبراهام بين مرحلتين فميتين هما:

أ ـ المرحلة الفمية الأولية Stade Prémitif (حتى عمر ٦ أشهر) وتتميز بظهور عملية مص الطفل لثدي أمه، أو لأصبعه...

ب ـ المرحلة الفمية المتأخرة Stade Tardif (وتمتد من ٦ إلى ١٢ شهراً) وتتميز بالرغبة في العض مع ظهور التسنن، ومن ثم بدء العدوانية كالرغبة في تحطيم الأشياء أو إيذاء الآخرين. فالطفل يضرب أمه رغم أنه يحبها كثيراً.

٢ ـ المرحلة السادية ـ الفمية ـ **Stade anal**: وتمتد من سنة إلى سنتين من عمر الطفل. في هذه المرحلة يبدأ الفطام أو يكون قد بدأ (وهذا مهم في

---

(١) الليبيدو = Libido. هي طاقة تظهر بوساطتها الغريزة الجنسية. افترض فرويد هذه الطاقة كأساس لتحولات النزوة الجنسية من حيث الموضوع (في ازاحة التوظيفات) ومن حيث الهدف (كالتسامي) ومن حيث مصدر الإثارة الجنسية (تنوع المناطق المثيرة للذة).
اتسعت فكرة الليبيدو عند يونغ فدلت على الطاقة النفسية عموماً مع ميل نحو كل ما هو شهوة.

تحوله عن المرحلة الفمية). كما يبدأ الاهتمام بأمور النظافة والمحافظة على نفسه (التبوُّل والبراز). كما يكتشف في هذه المرحلة أن والده يشاركه في حب أُمه فلا ينظر إليه بارتياح كما أنه لا يرتاح لمجيء الإخوة. لذا يجب معاملته باللطف واللين كي يتخطى هذه المرحلة بنجاح.

تكون اللذة في هذه المرحلة ذاتية المصدر auto - érogène وتحدث خلال عملية فرز أو طرد المواد التي تخرج من الجسم (البول والبراز). وفي مرحلة احتباس ذلك تكون اللذة في معارضة رأي الأهل ورغباتهم.

إن المرحلة الشرجية تؤدي فعلاً إلى سلسلة من الثنائيات الديالكتيكية البنيوية (اندفاع وانحباس)، (فعالية وسلبية) (خضوع ومعارضة)، أما الثنائية (سادية، مازوشية) فإنها تميِّز علاقة الأشياء في هذه المرحلة بشكل إرادي.

٣ ـ المرحلة القضيبية (نسبة إلى العضو الذكري): وتمتد من ٣ سنوات حتى ٥ سنوات. أطلق فرويد على هذه المرحلة هذا الاسم لأنها تتناسب مع تنظيم الليبيدو عند الولد وبصورة خاصة حول القضيب، فلا تعرف سوى عضو واحد هو العضو الذكري الجنسي، ومن هنا كان اسمها. هكذا تنتقل الدوافع في هذه المرحلة نحو الأعضاء التناسلية، ويتمثل موضوع الدوافع هذه بالقضيب عند الصبي كما عند الفتاة. تحدث اللذة من الشبق الإحليلي éro- tisme uretral ومن الاستمناء la masturbation الذي يشكل مصدراً مباشراً لها.

تتميَّز هذه المرحلة بعقدة الخصي عند الصبيان، وآلام عدم الحصول على القضيب عند الفتاة وهي عقدة نقص لديها. فاكتشاف الجنسين ولذة الاطلاع على الأعضاء التناسلية عند الجنسين يؤدي إلى حب التباهي بالأعضاء التناسلية وهذه عقدة تنمو عند الرجال أكثر منها عند النساء.

٤ ـ المرحلة الأُوديبية: تبدأ حوالى الخامسة من العمر لكن جذورها عميقة تعود إلى ما قبل الثالثة. فتعود معها هواجس عقدة الخصي فيخاف الولد خسارة عضوه الجنسي وتخشى الفتاة لذة شيء مكتسب.

تدريجياً تتسع دائرة ميول الطفل واهتماماته بالعالم الخارجي خصوصاً بعد دخوله المدرسة وإدراكه أنه لا يمكنه إمتلاك أمه بمفرده. ومما لا شك فيه أن الأب يلعب دوراً هاماً في حياة الطفل منذ البداية، ولكن بما أنه لا يتولى إشباع حاجاته الأولية فإن غيابه لا يسبب فراغاً علماً بأن حضوره يتيح الراحة والطمأنينة عند الطفل.

تظهر هذه العقدة في شكلها المعروف إيجابياً كما في قصة أوديب ـ الملك (قتل والده ثم تزوج أمه وأخيراً فقأ عينيه عندما أدرك كل ذلك). فهي تمثل الرغبة في موت المنافس وهو الشخص من الجنس نفسه ورغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل. أما في شكلها السلبي فتأخذ منحى مقلوباً أي حب للوالد من الجنس نفسه وحقد وحسد على الوالد من الجنس المقابل. في الواقع يتضح هذان الشكلان بمقادير متفاوتة في الشكل الكامل لعقدة أوديب.

تبلغ عقدة أوديب، تبعاً لفرويد، ذروتها ما بين سن ثلاث وخمس سنوات، أي في خلال المرحلة القضيبية، ويسجل أُفولها الدخول في مرحلة الكمون. وتتأجج من جديد في أثناء البلوغ، عندها يتم تجاوزها بدرجات متفاوتة من النجاح من خلال نمط خاص من اختيار الموضوع.

تلعب عقدة أوديب دوراً أساسياً في بناء الشخصية وفي توجيه الرغبة الإنسانية.

يتخذ منها المحللون النفسيون المحور المرجعي الأكبر لعلم النفس المرضي، حيث يبحثون عن تجديد نماذج موقعها وحلها في كل من الأنماط المرضية.

ينكب علم الإناسة التحليلي، الذي يؤكد على عالمية عقدة أوديب، على العثور على بنيتها الثلاثية في أكثر الثقافات تنوعاً؛ وليس فقط في تلك التي تسود فيها مظاهر الأسرة الزوجية.

ويحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى الطفلة تجاه أمها، فهي تحب أمها، وهي بحاجة إليها ولكن الأم تنافسها حب الأب، فتقلِّد الفتاة أمها ويبدأ الصراع...

تجدر الإشارة هنا إلى أنّه في كل مرحلة من المراحل السابقة إذا لم تعالج كل مشكلة بحكمة ليتخطى الطفل المرحلة وينتقل إلى المرحلة التالية بنجاح فسيكون هناك تثبيت fixation، أي أن البالغ يظل شعوره تجاه نفسه أو تجاه الآخرين كما لو كان لم يزل في مرحلة معينة من مراحل نمو الشخصية. إن الصراع النفسي يتمثل في الصراع بين عناصر الشخصية الثلاثة أي: الأنا والهو والذات العليا أو الضمير اللاشعوري.

فالهو يتضمن مجموعة الدوافع الغريزية (الفطرية) والميول العدوانية، والأنا أو الشخصية الواقعية، والضمير اللاشعوري أي القيود الاجتماعية أو القوى الرادعة. لذلك يكون الصراع دائماً بين الأنا من جهة والهو والذات العليا من جهة أُخرى، إذ إن الأنا يقوم دائماً بعملية التوفيق بين الآخرين. وبقدر ما يتمكن الأنا من السيطرة على هذه المواقف بقدر ما تكون الشخصية ناجحة وقوية.

٥ ـ **مرحلة الكمون والنضج**: وتمتد من عمر الست السنوات حتى عمر ١١ أو ١٢ سنة. تتوقف التطورات الجنسية خلال هذه المرحلة حتى بلوغ مرحلة بداية المراهقة. تسجل في هذه المرحلة بعض العلاقات الجنسية بين فتى وفتاة إنما بشكل بريء كلياً وكأنه اجترار لأفعال وهواجس كامنة في النفس. إلّا أن فرويد يؤكد وجود الدوافع الجنسية معتبراً أنها تحصل بشكل ذاتي.

٦ ـ **المرحلة الجنسية والتناسلية**: تبدأ مع المراهقة التي تمتد من عمر ١٢ ـ ١٣ سنة ولغاية عمر ١٨ سنة أو حتى عشرين سنة. يحدث في خلالها تبدلات كثيرة في جسم الناشيء ذكراً كان أو أُنثى، وتتمحور مناطق الإثارة حول الأعضاء التناسلية. يتخذ الليبيدو منحى متوازناً تدريجياً فيصبح ظهوره فقط في العلاقات الجنسية والعاطفية والانفعالية. فضلاً عن ذلك يحدِّد فرويد مرحلة المراهقة بوجود هدف جنسي واضح يكمن في قذف المواد التناسلية والحصول على اللذّة النهائية. ومن هنا بالذات تتحدَّد بوضوح الحياة الجنسية للفرد في المستقبل كما تتحدد مرحلة النضج الجنسي.

٧ ـ **مرحلة النضج الجنسي**: تبدو مرحلة المراهقة وكأنها سياق نحو

النضج الجنسي أكثر من كونها سياقاً مخالفاً له كما يفسّرها الكثيرون. هذا السياق مشترك بين الجنسين لكنه يتطور عبر نطاقين جنسيين مختلفين. تؤكد ذلك المظاهر الجسمية والنمو.

التبدلات الحاصلة للقامة

العمر	صبيان	بنات
١٢ سنة	١٥٠ سم	١٥٢ سم
١٣ سنة	١٥٥ سم	١٥٦ سم
١٤ سنة	١٦٣ سم	١٦٠ سم
١٥ سنة	١٧٠ سم	١٦١ سم
١٦ سنة	١٧٣ سم	١٦٢ سم
١٧ سنة	١٧٦ سم	١٦٣ سم

جدول بتبدلات الوزن في المراهقة

العمر	صبيان	بنات
١٠ سنوات	٢٦ كلغ	٢٤ كلغ
١٢ سنة	٣١ كلغ	٣٠ كلغ
١٤ سنة	٣٨ كلغ	٣٨ كلغ
١٦ سنة	٥٣ كلغ	٤٤ كلغ
١٨ سنة	٦١ كلغ	٥٣ كلغ
٢٠ سنة	٦٦ كلغ	٥٥ كلغ

علماً بأن هناك مميزات جانبية عديدة تخص كلًّا من الشاب والشابة. يمكننا الحصول عليها من أي كتاب علم نفس آخر. وإنّ ما يجب ذكره هنا:

المميزات الجنسية لكل من الفتى والفتاة منذ الولادة حتى بلوغ سن الرشد. هذه المميزات تلقي الضوء على بعض النواحي التي تجاوزناها، ربما، وتضع النقاط على الأحرف كما هو معروف:

مميزات تشريحية

مميزات جنسية أولية عند الرجل	مميزات جنسية أولية عند المرأة
١ ـ الخصية Testicule. ٢ ـ بربخ Epididyme ٣ ـ قناة ناقلة Canal déférent ٤ ـ حويصلات نطفية Vesicules séminales ٥ ـ الصفن (كيس الخصيتين) Scrotum ٦ ـ بروستات Prostate ٧ ـ القضيب Penis	١ ـ المبيض Ovaire ٢ ـ النفير Trompe ٣ ـ الرحم Utérus ٤ ـ المهبل Vagin ٥ ـ الفرج Vulve ٦ ـ البظر Clitoris

مميزات جنسية ثانوية عند الرجل	مميزات جنسية ثانوية عند المرأة
١ ـ ظهور شعر العانة Pilosité pubienne بداية ١٢ سنة ونهاية ١٨ سنة شعر الوجه والإبط Pilosité faciale et axillaire بداية ١٤ سنة ونهاية ١٨ سنة	١ ـ شعر العانة Pilosité pubienne بداية ١١ ـ ١٢ سنة نهاية ١٥ سنة والإبط axillaire يظهر قبل ٨ أشهر بداية الدورة الشهرية

٢ ـ نمو الصوت ٣ ـ الجلد أصبح سميكاً وقاسياً ٤ ـ نمو الجهاز الجنسي ٥ ـ أول قذف في عمر ١٤ سنة لحوالى ٩٠٪ من الصبيان ٦ ـ نموّ البروستات	٢ ـ نمو الأحشاء ١٠ سنوات، وما فوق ـ الثديين ينتهي عند ١٥ سنة. ٣ ـ نمو الحوض ٤ ـ نمو الجهاز التناسلي

مميزات وظيفية

مميزات جنسية أولية عند الرجل	مميزات جنسية أولية عند المرأة
١ ـ ليبيدو تجاه المرأة. ٢ ـ تمركز على مستوى الأعضاء التناسلية، إنعاظ جنسي سريع. ٣ ـ موقف إخصاب.	١ ـ ليبيدو تجاه الرجل. ٢ ـ انعاظ جنسي بطيء تجاه كل الجسم. ٣ ـ موقف تجاه العادة الشهرية والحمل والولادة.
مميزات جنسية ثانوية	**مميزات جنسية ثانوية**
١ ـ غريزة الفعل الاجتماعي ـ حماية الجو العائلي. ٢ ـ أكثر استعداداً للدافع الحركي. ٣ ـ صوت خفيض.	١ ـ غريزة الأمومة وعناية مباشرة بالأطفال. ٢ ـ حساسية عاطفية للعمل المجرَّد والمبدع. ٣ ـ أقل قدرة للدوافع المحركة. ٤ ـ صوت حاد.

٧ ـ القيم في البيت، والقيم في المدرسة، وإشباع الدوافع. القيم أحكام تكتسب من الظروف الاجتماعية يتشرَّبها الفرد مع نموِّه من المجتمع فتحكم بها مجالات تفكيره وتحدِّد سلوكه وتؤثر في تعلُّمه وعلاقاته العامة،

فالصدق، والأمانة، والشجاعة الأدبية، والولاء، وتحمل المسؤولية، كلها قيم يكتسبها الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه، وتختلف باختلاف المجتمعات.

ومن القيم الشاملة نذكر: القيم الدينية، والقيم الجمالية، والقيم الاجتماعية، والقيم الاقتصادية، والقيم السياسية. لكن الأفراد يختلفون فيما بينهم اختلافات كبيرة في مدى تغلغل هذه القيم أو اكتسابهم إياها.

هناك معايير اجتماعية Social norms وهي عبارة عن أمور وأوضاع للناس، مرّت في مرحلة الاختبار والتجريب فاكتسبت صفة التعميم. وقد توارثها جيل عن جيل. لكن هذه المعايير ليست مشتركة بين جميع الشعوب بل لكل ثقافة معاييرها التي تميزها عن غيرها.

تعتبر الدوافع البيولوجية المصدر الأول للاتجاهات والقيم (طعام، دفء، تبرّز ...) ولكي يتكوّن السلوك الاجتماعي لا بد من وجود الظروف البيولوجية والاجتماعية؛ لأن الفرد يعتمد على غيره في كثير من الأمور. وهكذا يتعلّم الطفل من طريق رغبته في الطعام مثلاً حسب أُمه، ومن ثم فإن الأمور التي تجلب له حب أمه تتخذ صورة القيم في ذاتها، كالنظافة وتعلّم الحديث وآداب المائدة. ويمتد حبه إلى والده ومن ثم إلى كل الكبار الذين يتعرّف عليهم إلى أن ينخرط في المجتمع كله.

هكذا ترى من ناحية أُخرى أن الاتجاهات والقيم تتكون من طريق إشباع الدوافع البيولوجية الأولى ومن طريق الخبرات الانفعالية المختلفة، فإذا كانت الخبرة الانفعالية الناتجة عن موقف معين مرضية كان الاتجاه الناتج اتجاهاً إيجابياً. فالنجاح في المدرسة تتبعه عادة خبرات انفعالية مرضية تتمثل في رضى الوالدين وتقدير إدارة المدرسة... إلخ. فينشأ اتجاه إيجابي تجاه المدرسة ورغبة في التحصيل. وهنا يلعب كل من الثواب والعقاب الدور الأساسي في تكوين الاتجاهات والقيم.

وتتكون الاتجاهات والقيم من طريق غرسها بوساطة سلطات عليا إما

من طريق الخوف أو من طريق الاحترام بصرف النظر عن وجود الثواب والعقاب المباشر مثل التعاليم الدينية. هكذا يتكوَّن عند كل إنسان ضمير أخلاقي خاص به يحكم بوساطته على أفعال وأقوال الآخرين كما يحكم بوساطته على أفعاله وأقواله. يبدأ تكوين هذا الضمير بتقليد الكبار، وتقول مدرسة التحليل النفسي بالتقمُّص فيحاول مثلاً أن تكون له رغبات أُمه أو أبيه نفسها. . . فتدريجياً يحقق الطفل أساليب التكيف الاجتماعي مع العالم الخارجي ومن طريق تقمصه رغبة والديه. . .

على الأهل والمعلمين إتاحة الفرصة للطفل ليمارس هذه الأمور مع إرشاد وتوجيه. ومن الضروري أن تكون أحكام الكبار أنفسهم متصفة بالاطراد والثبوت لأن الحكم الأخلاقي تقدير موقف. وكلما كانت أحكام الكبار ثابتة أمام الأطفال ولو نسبياً فإنها تساعدهم على استخلاص عناصر هذه الأحكام، فيطبقونها على أنفسهم وبذلك تنشأ أولى مبادىء الضمير الأخلاقي وسلَّم القيم عند الناشىء الذي ينخرط حديثاً في المجتمع.

٨ ـ **اضطرابات قد تحصل في خلال مراحل النمو**: سنذكر بعض الاضطرابات الأساسية مع الإشارة إلى طرق معالجتها.

أ ـ مصّ الإبهام thumb sucking: تكمن خطورتها في اضطراب الأهل تجاه فشلهم في تربية الطفل. يعتقد الاختصاصيون أن أسبابها تعود إلى عدم إشباع لذة الرضاعة في أثناء الطفولة الأولى. أو شعور الطفل بأنه غير محبوب من أهله أو الشعور بالخطر. والضغط على الطفل لإيقاف هذه العادة يزيد من شعوره بالنقص.

من ناحية العلاج، غالباً ما يتغلَّب الطفل على هذه العادة من تلقاء نفسه بين الخامسة والسادسة. وفي حال استمرارها يجب مراقبة الظروف التي تدفعه إلى هذه الممارسة وبالتالي تأمين العطف الصحيح والكافي للطفل أي الطمأنينة، والعمل على تأمين ما ينقصه ومعرفة السبب وإصلاحه مع التشجيع وإظهار قدراته الشخصية القوية والتغاضي عن مواطن ضعفه.

ب ـ التبوُّل اللاإرادي Enuresis: من أسبابه عدم تدريب الطفل في

وقت مبكر، أو بسبب التدريب الصارم. وفي بعض الحالات يتوصل إلى ضبط عمليتي الإفراز ثمَّ يعود فيبوِّل لاإرادياً عندما يواجه مشكلة لا يستطيع حلها، كولادة أخ أو أخت أو بسبب الخوف من الذهاب إلى الحمَّام ليلاً. . .

في المعالجة يجب على الأهل ألَّا يبالغوا في التشديد على تدريب الطفل إما بإغرائه أو بمعاقبته، أو بتهديده بعدم حبهم له إذا استمر على هذه الحالة. وإذا كان التبوُّل يحدث في أثناء الليل فقط، فعلى الأهل عدم إعطاء السوائل للطفل عند المساء. لكن المشكلة غالباً ما تكون نفسية، فعلى الأهل التأكيد للطفل بأنه سوف يتغلب على هذه المشكلة أي بإنماء ثقة الطفل بنفسه. وتجدر الإشارة إلى أن التبول يمكن أن يكون ناتجاً عن أسباب عضوية، لذا ينبغي استشارة الطبيب.

جـ ـ الأنانية Selfishness: من مظاهرها عدم إعطاء أي شيء كلعبة أو ثياب إلى طفل آخر.

في المعالجة يجب تشجيع الطفل على اللعب مع غيره من الأطفال فتنمو عنده عادة المشاركة.

د ـ الكلام القبيح bad language: ولا يعني ذلك سوى إزعاج الكبار وإظهار شخصية الطفل. هنا على الأهل ألَّا يعطوا الأمر أهمية كبرى وألَّا يعاقبوا الأطفال، بل عليهم التقيد بالهدوء والطلب إلى الطفل عدم مراجعة مثل هذه الكلمات لأنها تزعج الجميع.

هـ ـ إيذاء الآخرين Hurting others. في حال وقع الإيذاء مصادفة فيجب ألَّا يؤخذ بعين الاعتبار، ولكن إذا استمر هذا التصرف من قبل الطفل، فيجب التنبه وأخذ الحذر.

فالطفل الذي يستمر في شد شعر طفل آخر أو عضه أو. . . يكون تصرفه هذا ناتجاً عن غيرة أو يأس، وقد يصل إلى أن يكون اضطراباً عقليّاً، والعلاج يكون بتنبيه الطفل إلى عدم تكرار مثل هذا التصرُّف وفي الوقت نفسه نشعره بأننا نحبه وأنه بأمان.

و ـ التخريب Destructiveness. على الأهـل أن يميزوا بـين التخريب الـذي يحصل مصـادفة وذلـك الذي يحصـل عن تعمُّد. إن معـظم التخـريب الذي يحدث مصادفة ناتج عن فضولية الـطفل الـلامحدودة. فـلا يجوز أن نحـدَّ من فضولية الطفل لذا ينبغي إبعاد الأشياء الثمينة عن متنـاول الطفـل وتأمـين أماكن للعب.

والطفل الذي يخرِّب قسراً هو طفل غير سعيد ولا يستطيع ضبط شعوره بـالحسـد، وعـدوانيتـه وغضبـه. وقـد يشعـر أنـه غـير محبـوب، ومكـروه من أقرانه... وفي مطلق الأحوال على الأهل تقصي الأسباب وعدم المعـاقبة، بـل تأمين النشاطات للطفل وإشغاله بالألعاب المفيدة.

ز ـ اكتشاف الأعضاء التناسلية واللعب بها. الأمر طبيعي، إنما في حال المبالغة يجب المسـاعدة في التغلب عـلى المشكِلة التي دفعته إلى هـذه الممارسـة. فالطفـل الذي اكتشف هـذا النوع من اللذّة يجب أن تحوَّل لـذّته إلى لـذات أخرى خارج جسده واللعب هو الحل الأفضل، فالتربية الجنسية لا تفيد هنا. كما لا يجوز أن يُعاقب الطفل بل يجب إفهام الأهل أن ممـارسة هـذه العادة لا تحدث أمراضاً عصبية لكن اضطهاد الأهل للطفل لهذه العادة يمكن أن يحـدث أمراضاً نفسية واضطرابات عاطفية لديه.

حـ ـ القلق النفسـاني Anxiety ـ وأسبـابـه كثـيرة، منهـا الخـوف من أن يـتركه أهله، أو فقـدان حبهم لـه، أو الخـوف من أن يُعـاقب عـلى أفكـاره. فالطفـل الذي يبتعـد عن أحد والـديه بسبب الـطلاق يهدده الخـوف أكثر من الـطفل الـذي يفقد أحـد والديـه بالـوفاة. يكمن العـلاج في تـأمـين الشعـور بالطمأنينة والحب ولكن بأسلوب موضوعي بلا انجراف أعمى..

٩ ـ تطور النمو الجنسي حتى المراهقة:

أ ـ حتى ١٨ شهـراً: اهتمامـات جنسيـة وتمييـز بعض الفـوارق ـ محب لأمه ـ اللذة وفقاً للمراحل المذكورة سابقاً فميـة وشرجية. إنمـا هناك لـذة عبر الجسد بكامله.

ب ـ سنتان ـ اهتمامات جنسية مع تمييز بشكل أفضل، يظهر الكثير من الحب لأهله، قُبلة لكل منهما قبل النوم. يشير إلى الأعضاء الجنسية ـ يميز بين البنات والصبيان ـ اهتمامات بالألبسة. . .

جـ ـ حتى ٣٠ شهراً: تمييز واعٍ لأعضائه الجنسية ـ يحاول لمس هذه الأعضاء عندما يكون عازباً ـ يطرح أسئلة حول أحشاء أمِّه ـ يدرك أنه صبي مثل أبيه، يختلف عن البنات وعن أمِّه ـ يستخدم تعابير صبي وبنت للدلالة على الجنس فيعي تدريجياً الفروقات الفيزيولوجية بين الجنسين.

د ـ ثلاث سنوات ـ اهتمامات جنسية وتمييز أيضاً ـ يؤكد نوعية جنسه «أنا صبي» ـ يقارن بين عمليتي التبوُّل عند الجنسين ـ اهتمام بمعنى الزواج ـ يتزوج من يشاء دون الاهتمام بالجنس. ولا يميِّز بين الجنسين في اللعب، يهتم بالأطفال، يرغب في أن تلد العائلة طفلاً جديداً. يسأل من أين يأتي الطفل؟ ـ لا يفهم الإجابات على مثل هذا السؤال في حال أجابت الأم: «إنه ينمو في داخلي».

هـ ـ أربع سنوات ـ اهتمامات جنسية وتمييز، يقبض على أعضائه الجنسية في خلال موقف معقد ويكون غالباً بحاجة إلى التبول. يلعب أحياناً بألعاب تظهر أعضاءه الجنسية بتباه، ويمزح بموضوع الإفرازات، يهتم بالمراحيض المجهولة. أسئلة عن موضوع مجيء الأطفال، يتقبل جواب الأم إذا كان على صلة بالحقيقة. يسأل كيف يخرج الطفل من بطن أمه.

و ـ خمس سنوات ـ اهتمامات جنسية وتمييز ـ يتآلف مع الفروق الجنسية، لكنه لا يهتم كثيراً ـ تقل الألعاب التي تظهر حب التباهي بأعضائه الجنسية ـ يعي الأعضاء الجنسية أكثر عندما يرى الكبار عراة ـ يسأل أحياناً لماذا لا يكون لوالده ثديان أو لماذا لا يكون لأخته الكبرى عضو تناسلي ذكري ـ يبدي اهتمامه بأن يكون عنده طفل، والفتيات أكثر ـ يعاوده السؤال من أين أتى الطفل؟ ويقبلون الجواب «من بطن أمهم» يربط بين جسم المرأة الحامل ووجود جنين في الداخل.

ز ـ ست سنوات ـ يميِّز الفروق في التركيب الجسدي بين الجنسين

ويطرح أسئلة ـ يتناقش مع رفاقه من الجنسين. هذه المواضيع قد تحدث بعض الألعاب الجنسية بدون تجاذب، حب التباهي بالأعضاء الجنسية يتحول أحياناً إلى العُضلات والقوة ـ يلفظون أحياناً كلمات نابية ويتمازحون بالأشياء المتعلقة بوظائف الفرز. يرتدي أحياناً ألبسة الجنس الآخر ـ يرغب في زواج شخص من الجنس الآخر قد يكون من الأهل أحياناً ـ يهتم بالحمل والولادة ـ فكرة مبهمة عن كيفية تكوين الأطفال بعد الزواج ـ كيف يخرج الطفل من بطن أمه؟ وهل ذلك مؤلم؟ إذا تكلم الكبار عن العلاقات الجنسية أمامه، يضطرب ويلجأ عادة إلى طرح السؤال على أمِّه. يرغب في حمل الأطفال.

حـ ـ سبع سنوات ـ لا يهتم بالفروقات الطبيعية، بل يريد التفحُّص بيديه ـ يبدأ بالرغبة في الابتعاد عن الجنس الآخر في أثناء اللعب ـ قصص غرامية مع تبني فكرة الزواج الحقيقية. يهتم بحمل أمه ـ إدراك إمكانية الحصول على عدة أطفال وأن النساء المسنَّات لا يستطعن الحصول على أطفال. يكتفي بمعرفة أن الطفل يأتي من بذرتين واحدة من الأم وأخرى من الأب. فيسأل أين تكون أمه عندما تلد طفلاً وكيف يخرج؟

ط ـ ٨ سنوات ـ اهتمامات جنسية على مستوى أعلى من التفحصات. تُظهر الفتيات ردود فعل مثيرة تجاه اللمس أو اللعب مع الصبيان. ينظرون إلى بعضهم خلسة ـ مزاح استفزازي ـ تبدأ الفتيات بطرح أسئلة حول الحيض الشهري، اندفاع نحو الجميل من الجنس الآخر ـ يتعلق الصبي بعدة فتيات ـ يتطلع نحو الحصول على منزل خاص به عند الزواج ـ اهتمامات عاطفية حادة. يطلب توضيحات أكثر دقة حول تكوين الطفل ووضعه وخروجه من بطن أمه. تسأل الفتيات عن دور الأب في عملية الإنجاب.

ي ـ ٩ ـ ١١ سنة ـ تبادل المعلومات الجنسية بين الأصدقاء من الجنس نفسه ـ يهتم بتفاصيل أعضائه الجنسية ووظائفه. يبحث في الكتب عن الصور المفسِّرة لذلك. ينزعج كثيراً عندما يراه أحد عارياً. فيرفض تغيير ملابسه أمام والديه أو أمام شخص من الجنس الآخر.

١٠ ـ الناشىء في المراهقة ـ لا يمكننا إلا أن نعتبر أن النمو والنماء سلسلة

متواصلة من العمليات المتعددة، مع تداخل بعضها ببعض في الزمن، فهي تتصل أحياناً ويكون اتصالها غير وثيق حيناً آخر، وفي وسط هذا التواصل المتشابك يظهر نظام كلي شامل مع تغييرات ظاهرة ودائمة التطور. أي أن النمو والنماء عملية تفتح وانكشاف مستمر بسرعات متفاوتة بين زمن وآخر وفي أجزاء مختلفة.

وقد نشأ حول المراهقة دراسات وأبحاث عديدة نظراً لأنها المرحلة الأكثر تفجيراً بين كل المراحل. فالتغييرات الجسدية تظهر بوضوح - وسنأتي على ذكرها لاحقاً - ولا غرو أن الزيادة في نمو العظام والعضلات ونمو الجهاز التناسلي تكون على صلة وثيقة وكلها تبدأ في الوقت نفسه. وأول علامة على قدوم المراهقة عند الغلمان زيادة نمو الخصيتين والصفن الذي يغلفهما، يرافقه قدر قليل من نمو شعر العانة بين الفخذين. بعد ذلك بنحو سنة تحصل الزيادة في الطول وفي نمو القضيب إذ تبدأ حينئذ خلايا الخصيتين الجنسية بإفراز الهرمون الجنسي (Hormone sexuel) عند الذكر ويظهر شعر الإبط بعد سنتين من ظهور شعر العانة كما يبدأ بالظهور شعر الشاربين والذقن. ويزداد حجم الحنجرة ويغلظ الصوت في حين يبلغ القضيب حجمه النهائي.

أما الفتيات فأول علامة لبلوغ المراهقة كعوب الثدي، مع أن ظهور شعر لعانة قد يسبقه أحياناً. وبعد الوصول إلى ذروة الزيادة في الطول يحصل لها الحيض الأول. والمدة الطبيعية لهذا الحصول تقع بين العاشرة والسادسة عشرة من العمر. إنّ ظهور هذا الحيض يشير إلى مقدار معين من نمو الرَّحم وربما بلوغها أشدها، لكن الدرجة القصوى للخصب لا تبلغ إلا في بداية (العقد الثالث من العمر أو حتى منتصفه).

وينال النمو في زمن المراهقة الرئتين فتزداد سعتها عند الفتيان، كما يزداد نمو القلب، كما يزداد عدد كريات الدم الحمر، وتزداد معها مادة الهيموغلوبين (hemoglobine) عند الصبيان دون البنات، وهذا ما يُعلل زيادة القوة البدنية في الألعاب الرياضية وهو ما يجب تشجيعه.

لا أحد يدري كم يحتاج المراهق من الإرشاد الحكيم في خضم هذه

التغييرات المتقدمة الذكر، وكم يحتاج إلى المعاملة الجيدة ووضع المناهج والطرائق الخاصة، ومن أهم الأمور أيضاً: ينبغي إعداده الإعداد العلمي الصحيح والعقلي والانفعالي الفردي والاجتماعي لخبرات التغيير اليافعي... من هنا يجب قيام تعاون بناء بين البيت والمدرسة لتوفير الإرشاد والتوجيه اللازمين للمراهق.

هناك أربع مراتب لنماء العلاقات الجنسية:

١ - تتصف الأولى بترفع أبناء الجنس الواحد عن بنات الجنس الآخر. والعكس بالعكس. وقد يحصل ضرب من التنافس بين الجنسين.

٢ - في المرحلة الثانية يميل المراهق الواحد إلى مراهق آخر من عمره فيشاركه ذوقه وهمومه، فيتبادلان الصداقة والأسرار، وتصدق هذه الظاهرة كثيراً على البنات، وهي ظاهرة طبيعية عند الجنسين.

٣ - في المرحلة الثالثة قد تشعر فتاة بجاذبية تشدها نحو راشد أو راشدة كمعلم أو صديق العائلة. وقد يحصل لليافع أيضاً الشعور نفسه، إنما بنسبة أقل عند الذكر، إلى أن ينتقل بهم المطاف إلى عشق الأبطال أو البطلات، وهنا ينبغي تحويل هذه الانحرافات الأولية إلى مزيد من التحصيل المدرسي والاجتهاد، وتنمية المواهب والميول البناءة. وعند نهاية هذه المرحلة يبدو بجلاء اهتمام الجنس الواحد بالجنس الآخر. كما يظهر الميل إلى الاستطلاع الجنسي بشكل علمي، دون الاهتمام باللّذة الجنسية.

٤ - وفي المرتبة الأخيرة أي حوالى سنّ ١٨ سنة يحصل بين الفتى والفتاة ترابط حب أعمق وأطول مدى، يفكر فيه المترابطان بزواج وبيت وأسرة وأولاد.. تبقى العلاقات الجنسية في تجاذب مستمر بين الاستعداد والوصول وفقاً لمعطيات المجتمع وأنظمته، إلا أن الاندفاع قوي والموانع الاجتماعية قد يتم تجاوزها أحياناً.. لكن السلوك الحسن هو أن يبقى إلى ما بعد الزواج وهذا هو التصرّف السليم وما عدا ذلك يعتبر خطأً قد يؤدي أحياناً إلى مشاكل واسعة.

ويبقى المراهق في حالات اضطراب بين دوافعه الجنسية وبين ضوابط المجتمع وتقاليده حتى الزواج فيشبع غرائزه الجنسية وتبرز بذلك قواه في الميادين الأخرى.

إن أفضل الإجراءات في مساعدة المراهقين على اجتياز زمن المراهقة بأقل ألم وقلق ممكنين، هي بأن نفتح أمامهم باب الحياة الاستقلالية وأن نساعدهم على بلوغ مراتب الراشدين حتى الزواج في أبكر سن ممكنة. فلعل أفضل المجتمعات المناسبة للمراهقين والمراهقات هو ذلك الذي يؤمن لهم حياة تجمع بين التربية والتخصُّص وكسب المال والزواج المبكِّر فيبلغون بذلك حياة الرجولة التامة وتنتهي كل المشاكل والأزمات التي تنتابهم إبّان المراهقة.

الفصل الثالث

الإخبار الجنسي

مقدمة:

يتساءل العديد من الأهل والمربين: «أيجوز إخبار الولد بكل ما يتعلق بالجنس؟» ويغفل هؤلاء عن اعتبار هذه المسألة سيفاً ذا حدين، ويكتمل الحد الأول بالحد الآخر على النحو التالي: «هل من الأفضل ترك كل ولد يستقي معلوماته بوسائله الخاصة وفقاً للمناسبات والمصادفات أو حسب الأهواء؟».

لا يجوز، بأي حال من الأحوال، أن نعتبر أن الولد لا يجد مصدراً للمعلومات الجنسية سوى أهله أو المربين، وكل ما يحدث بعيداً عن نظر الوالدين أو المربي فهو غير موجود أو لا اعتبار له... هذا خطأ حتمي... فهناك محادثات الرفاق السفهاء أو المطّلعين على الأمور الجنسية بشكل خاطىء، وهناك منشورات تتناول هذا الموضوع بشكل دقيق نسبياً... إلخ. كل ذلك يُهمل عن قصد. كما أن الكبار يعتبرون أن أسئلة الطفل التي أُهملت أو تمّت الإجابة عليها بشكل مبهم أو ناقص قد تلاشت...

والسبب الأساسي الذي من أجله تعتبر هذه المعضلة معضلة زائفة يكتنفها الغموض والقلق، هو في قول الحقيقة بكل صراحة ووضوح. فجميع الأولاد يتلقون، بدون استثناء، تربية جنسية داخل عائلاتهم. وما التحدُّث عن ولادة الأطفال من الملفوفة أو هبوطهم من السماء، أو الحصول عليهم من طائر معين، أو من عند القابلة... سوى تقديم تربية جنسية لهم. كما أن الإجابة على التساؤلات عن ظواهر الولادة بقولنا: إن هذه الأمور معقدة، ولا تستطيع فهمها الآن، وأن الأطباء والمختار ورجل الدين يلقنونها بكل وضوح

عند الزواج، هو أيضاً تربية جنسية... والأم التي تجيب ابنها الصغير الذي سألها: كيف وضعت أختي الصغرى؟ ـ لا أدري... فقد أخذوني إلى عيادة الطبيب ومددوني ولم أستطع رؤية ما حدث... هذه الأم أيضاً بإخفائها الارتباك الذي أحدثه سؤال ابنها، قد قامت بدور من أدوار التربية الجنسية المتعددة. وفي حال رفضنا الإجابة نهائياً، فهذا أيضاً نوع من أنواع الإجابات التي يشعر من خلالها الولد أن هناك أشياء سرِّية لسنا فخورين بها كثيراً، وهي أشياء وسخة... أو مخيفة، وهذا خطأ الأهل. فليس المهم أن نتساءل هل تعلَّم الأولاد أم لا، بل المهم أن نعرف أن التربية الجنسية يجب أن تؤسس على أُسس حقيقية ولا يجوز أن تكون محاطة بالمراوغة والأكاذيب شبه الصحيحة.. هنا ينبغي التبصُّر وإدراك الأمور وتنحية العقد التي نحيا بها جانباً ـ نحن الكبار ـ.

أولاً ـ الاطلاع غير المُدرَك على الأمور الجنسية:

إذا كان الجنس في خدمة النوع ـ وهذه مسلَّمة ـ فإن ذلك يتم عند الحيوان بشكل غريزي وبكل سهولة ولا حاجة إلى أن يتعلم الحيوان الناشيء ذلك... بينما نرى أن أطفالنا هم بحاجة إلى الاطلاع في هذا المجال... يعتقد الكثيرون لو أن صبياً وصبية تربّيا معاً بعيداً عن كل مجتمع إنساني وعن كل تربية، سيتعرّفا جيداً وبدون مساعدة، على إتمام الأفعال الضرورية للتكاثر. فالجسم يعرف أشياء كثيرة ضرورية يبدو العقل وكأنه يجهلها... وهذا ما يدفعنا إلى التكلم عن نوع من «الاطِّلاع غير المدرك» الذي يسبق العلم الحقيقي... ففي حال لم يُعلِّم الجنس للفرد منذ ولادته بشكل صحيح، يمكننا القول بأنه يولد معه وينمو وينضج بشكل متوازٍ مع الاطلاع غير المدرك الذي لا يفارقه. فالولد يعرف كل شيء خيالياً، وبما أنه رجل صغير فإنه يتوق إلى المعرفة الحقيقية. أضف إلى ذلك أنَّ الإنسان دفع ثمن نمو قدراته العقلية مقابل التأمين على غريزته. فالمولود الجديد يعرف التقاط حلمة ثدي أُمه ويقوم بحركات الرضاعة الضرورية لحياته وذلك دون تداخل أي صراع عاطفي أو أخلاقي مما يشكك في سلوكه. وكلما تقدَّم الفرد في

المجتمع، أو تعلَّم كثيراً، كلما أصبح معرضاً للضياع. . كل هذه الاعتبارات وغيرها تحاول التنظيم والتكيف مع متطلبات المجتمع المتحضِّر وبذلك فهو بعيد جداً عن الظروف الطبيعية. . . والحيوان المتوحش لا يتطلب أي مساعدة عند وضع صغاره، أما في حالة التدجين فتصبح مساعدة صاحب المزرعة أو الطبيب البيطري ضرورية، وبالنسبة إلى المرأة فإنها تتخلَّص من أوجاعها بقدر ما تكون معتادة على حياة قريبة من الحياة الحيوانية وهذا البرهان هو بالمقارنة فقط. . . من ناحية أخرى قد نجد جهالات كبرى حول المواضيع الجنسية عند طلاب الكليات والجامعات قد تضحك فتياناً مبتدئين. . . وقد دلت الأبحاث الإحصائية على أن متوسط عمر التجارب الأولى في الحب تتأخر عند الصبيان والبنات الذين يتلقون دروساً ثانوية أو جامعية أكثر من أولئك الذين تتوقف الدراسة عندهم بعد المرحلة الابتدائية. . .

فدور المربي لا يكمن في عملية كشف السرّ، بل بقدر ما يتيح للولد إمكانية الوعي لذاته لأن السر هو بمتناول الفرد بشكل من الأشكال، وهناك أخطاء كثيرة تقع في هذا المجال وأهم هذه الأخطاء الموقف المرتاب الذي يتخذه الراشدون وإجاباتهم المشبوهة أحياناً، هنا يجب عدم الشرود أو الاستطراد أو التلكؤ. . . فقط إجابات صريحة وواضحة ومقتضبة. . .

لا يجوز إهمال التعقيدات النفسية التي تنشأ عند الولد بشكل خاص أو عبر النمو الإنساني بشكل عام. لأننا بذلك ندرك الطبيعة بشكل سيّىء، ونصبح عرضة لمقارنة هذا النوع من المعرفة المنتشرة مع ما ندعوه إحساسات باطنية وما ينتج عنه من إحساسات جوهرية لجسدنا. لماذا لا نقبل إلى جانب الباطنية الفردية شيئاً من باطنية النوع بكامله والذي ينتج عنه مفهوم توالد الحياة. فكل شيء موجود في الجينات حتى صورة الفعل الضروري للتوالد. فبطن الأم يُصبح باكراً مركز اهتمام «بالنسبة إلى كل التطورات والإنماءات الجنسية» وقد تظهر حركات عاطفية عنيفة ضد ما يحتويه هذا البطن تارة بقصد الحصول عليه وطوراً بقصد القضاء عليه. هذا المحتوى اليسري يكون بتصوُّر الأطفال إما عضو الأب أو أحد الإخوة أو الأخوات في المستقبل. من

هنا ولأسباب أخرى عديدة يصبح إحساس الأطفال مضطرباً. كما نعتقد أنه لا يجوز أن نقع في الخطإ التقليدي الذي يقابل فكرة الجنة التي نلقنها للأطفال عادة بفكرة جهنم وآلامها. . . وحيث أصبحت هذه المفاهيم غير معبرة عن محتواها بشكلٍ جيد. كل ذلك يحصل تحت تأثير الوعي المستمر لمختلف أجزاء الجسم التي يُحتمل أن تُحدث لذة. فماذا يقابل المراحل الثلاث الرئيسية: الفمية ـ الشرجية ـ التناسلية ـ التي كشف عنها فرويد في السنوات الأولى من وجود الإنسان على الأرض؟ إنّنا نرى عدة مراحل ثانوية تساعدنا في متابعة التطور الليبيدي عند الولد عن كثب، وهناك دراسات عديدة في هذا المجال. . .

وما ينبغي أخذه بعين الاعتبار، هو أن تصورات اليافع تبدو وكأنها وجدت من التقاء صورة حدسية عن العمل التناسلي ضمن فكرة غامضة مع الإمكانيات العاطفية المعطاة لعمره. ففي المرحلة الفمية تُدخل التصورات الجنسية أفكار المصّ والأكل والقضم، بينما تسيطر على المرحلة الشرجية مظاهر هضم المأكولات لعملية الهدم. فالموقف الفمي يقابله رغبة في تجسيد الشيء المحبوب أو المكروه. وتظهر المرحلة الثانية كأنها متصلة برغبات الإبعاد أو بميكانيزمات إسقاط الأحاسيس والأفكار التي تنتابنا تجاه الآخرين. جاء في قول للدكتور سبيتز (Speetz): «إن ملامسات الأعضاء التناسلية للطفل من قبل مرضعات مهملات أو مربيات لم تعطِ نتيجة ولذلك دُفع لملامسة أعضائه بنفسه، فعملت على إنماء المظاهر الغرامية أو غير الغرامية التي يلتجىء إليها إثر تأثره بتصرفات المرضعة التي حاولت تهدئة الطفل بوساطة هذه الملامسات. . .» كل ذلك يفسِّر تكوين العواطف من النوع القابل للتأثر أو النوع العدواني، ويمكن أن تتكوَّن، وفقاً للمرحلة التي توصَّل إليها الفرد، تفسيرات جديدة للطريقة الفمية أو الشرجية أو الجنسية.

نلاحظ أن المعرفة الغامضة مقرونة بالغريزة الموجودة ، ولكنها لم تبلغ نضجها بعد، وحتى الغريزة نفسها لم تبلغ النضج أيضاً، وليس لديها طرق تعبير سوى تلك التي تقدمها الحساسية ذات الإمكانيات المحدودة والتي تتمثل

ببعض مناطق الجسم. ومما لا شك فيه أننا نجهل درجة وعي هذه التصورات منذ الصغر، وهناك فوارق في الوعي بين المجتمعات وتباعاً بين الأفراد فكيف السبيل إلى التخلص من هذا الغموض الذي يكتنف الأمور الجنسية.

ثانياً: عوائق في طريق المعرفة الواعية:

يجب تحويل ما ندعوه المعرفة اللاواعية إلى معرفة واعية. ومع نمو الفرد تزداد قدراته العقلية تدريجياً. يبدأ الولد بطرح الأسئلة، ومحاولة معرفة الأشياء بعد أن يكون قد قارن عالمه الداخلي بعالمه الخارجي. فتجد أن المفاهيم الجنسية الأولى تحتل جزءاً من المفاهيم التي تتيح للولد التمركز في العالم بالنسبة إلى الآخرين، فتختلط الحشرية الجنسية بالحشرية العامة عند الولد نفسه (راجع جدول تحولات النمو الجنسي في الفصل السابق).

إن مشاكل العالم العائلي والأشياء التي يستطيع الولد رؤيتها وسماعها واستنتاجها من حوله تلعب دوراً مهماً في توجيهه، فالولد الوحيد، في عائلة غير منفتحة، ينبهه أهله في سن مبكرة، كما أنه لا يتساءل كثيراً عن مشاكل الولادة (والفرق بين الجنسين). أمَّا الولد الموجود ضمن عائلة عددها كبير فإنّه يرى بعينه سر التناسل كما يستفيد من مرافقة عدة إخوة وأخوات. كما أن شروط السكن الملائمة أو غير الملائمة، وتوافق أو عدم توافق العمل الجنسي بين الوالدين، إضافة إلى الأحاديث والمناقشات المفتوحة، كل ذلك لا يقع في أذن صماء أو تحت نظر أعمى. فالولد مدعوّ بدافع داخلي كي يعي معنى غريزته الجنسية ومدى تفاعله مع ما يفرضه العالم الخارجي.

لا يستطيع الطفل استيعاب كل التفسيرات التي تقدَّم له. ويقول الدكتور مايرلي: «إن الولد بحاجة إلى تكرار التفسيرات الجنسية عدة مرات بسبب نزعته الطبيعية إلى النسيان وعدم إمكانيته على الحفظ»؛ بينما يقول علماء آخرون، إن الولد لا ينسى هذه الأشياء، هذا يعني أنه لا يستطيع تحقيق التكامل العاطفي وليس عنده أي تخلُّف عقلي. فالتجربة الأكثر صدقاً قد لا تتحقق على سطح الأرض من قبل أي فرد. وبعض الأفعال الجنسية قد لا

تندمج فعلاً بالشخص مهما تكرَّرت التجربة. . . تبقى النسـاء في حالـة خوف من فض البكارة حتى بعد زواجهن بعدة سنوات. . .

لا يمكن أن يتم التكـامـل العـاطفي إلا بعـد إزالـة كـل العقبـات التي يواجهها الطفل عـادة بعد أن يتعـرَّف عن وعي تام عـلى كل الحقـائق الجنسية ومـا يليها من أمنيـات. تصبح هـذه العقبات عـادية إذا لم تعـزَّز دائماً بشكـل اصطناعي وبوساطة عقبات أخرى غير مجدية تأتي من محيط الولد. وفي حال لم يـطرح الأولاد أسئلة عن بعض المواضيـع فذلـك لأن الكبار عـادة وبدون أن يتذكروا ذلـك قد رفضـوا إجابتهم كـما أن الكبار قـد يعطون أحيـاناً إجـابات متناقضة، من هنا يشعر الأولاد عادة بالممنوع أو المحرَّم أو ما لا يجب تخطّيـه، في حين يعتمد أولاد آخرون عدم الاتكال على الكبار وأنه لا يجوز التكلم عن الجنس إلا بكل رصانة؛ أو إخفاء ما تعرَّف إليه الولد حول هذا الموضـوع من الكتب أو من الـرفاق عن الأهـل. يبقى هذا الحـل النـاقص أقـل ضرراً من ناحية الصحة العقلية من الحل الذي يقضي بأن يتهرَّب الولد من كـل المشكلة ويتـوقف عن رؤية وفهم كـل ما لـه صلة بـالجنس. . . يحـدث هنـا نـوع من الحـذف الذهني الخـطير الذي يؤدي نفسيـاً إلى السيطرة عـلى كـل الشخصيـة وجعلها مريضة. فشعور الـطفل بـالذنب والخجـل يرافقـه ذلك طـوال حياتـه الجنسية حتى الشرعية منها. فالولد الصغير يكره والـده لأنه لا يستـطيع تحمـل فكرة أن أمه تتقبل برضى محاولات التقارب التي يقـوم بها والـده، يسهم ذلك في تعزيز قناعته الأولى بأن الحب هو عمل عنف وبأنه اعتداء من الرجل عـلى المرأة.

وهكـذا تتعدَّد القصص والـروايات حـول معرفـة طريقـة الحمل وولادة الأطفال بشكل لا متناهٍ؛ لكنها تحمل جميعها بذور الحقيقة أو ما يشابهها.

فالإعلام العلمي لا ينفي كل إمكانيات الوقـوع في الأخطاء والأهـواء. كـذلـك يجب أن يـأتي وقت منـاسب لتقبـل هـذه الأشيـاء. فـما هي الـطرق الإخبارية أو طرق الإعلام الجنسي؟

ثالثاً: الأساليب المختلفة للإعلام الجنسي:

يأتي الإخبار الجنسي أو الإعلام الجنسي في عدة أساليب جمعها العلماء ونظموها في ثلاثة أوجه:

١ - **الإعلام غير اللفظي** - ويتم بالتجربة الحية وبأشكالها المختلفة، ومما لا شك فيه أن هناك تجارب طبيعية مرغوبة وهناك تجارب تعيسة، شاذة تؤدي إلى صدمات نفسية متنوعة.

يبدأ الولد باكتشاف أعضائه وموقعها الطوبغرافي في جسمه، إلى أن يُدرك بشكل عام الفرق في الأعضاء التناسلية الخارجية عند الجنسين، والوضع الذي يتخذه كل من الفتاة والصبي عند التبوُّل... فوجود الإخوة في المنزل يساعد في تكوين هذه الملاحظات... مثل هذه المعارف تساعد الناشيء على التخلُّص من أمور كثيرة ومتاعب لاحقة. فكلما اطلع الولد باكراً بالملاحظة المباشرة كلما كان حظه أقل من ناحية الاضطراب. تهتم الفتاة الصغيرة باكراً بأعضاء الولد التناسلية أكثر من الاهتمام المعاكس ذلك لأن أعضاء الذكر يمكن رؤيتها أكثر من أعضاء الأنثى، وهي تتأسف لأنها محرومة من هذه الأعضاء، بينما لا يأبه الصبي لأعضاء الفتاة التي تبدو له غير كاملة. تقع هذه الحوادث في الحمَّام مثلاً وهي زائلة وليس لها أهمية إذا لم يعطها أحد أهمية، وفي حال كان في العائلة إخوة وأخوات يستطيع هؤلاء تقبل فكرة الجنين بسهولة.

إن تعرّي الأهل أمام أبنائهم وبناتهم ينبىء باتخاذ ميل لحب التظاهر الذي لا يبدو طبيعياً في سن الرشد، لكن ذلك يهدِّد الطفل بأن يصبح مخلاً بالنظام... كما أنه لا يجوز أن نصدَّه إذا حاول رؤية جزء من أعضاء جسم أمه أو أبيه، فالرفض في هذا الموقف هو طبيعي بالنسبة إلى الكبار والطلب من قبل الولد هو طبيعي أيضاً، وفي حال الرفض يجب ألَّا يكون بغضب وتوبيخ كي لا نخلق عنده شعوراً بالذنب.

فكثير من الأمور تمر تحت نظر الولد ويمكن أن تصلح كمادة تفكير وتأمل، فهو يعلم مثلاً أن والديه يتقاسمان الغرفة نفسها، بل السرير نفسه

وأن ليس له الحق بالدخول إلى هذه الغرفة دائماً، خصوصاً عندما يكون الأب والأم معاً وحدهما. يكفي ذلك كي يأخذ الولد فكرة أولية فظة عن الحياة الزوجية... وقد يرى كبر بطن أمه أو إحدى النساء عندما تكون حبلى فيفكر ويستنتج.

إجمالاً إن المشاهد العادية اليومية هي درس مستمر في التربية الجنسية (خصوصاً الأفلام على التلفزيون ومشاكلها ونتائجها...)؛ لكن هذا الدرس متفكك، إنّما قد يقوم بربط كل هذه المتفرقات والتوصُّل إلى الاستنتاج والمعرفة الجنسية...

وفي القرى الجبلية أو في الريف يتمكن الأولاد أحياناً من رؤية الحياة الجنسية عند بعض الحيوانات، كما يحضرون ولادة البقر أو الكلاب التي يعتنون بها، فيدركون معنى عملية الإخصاب وضروراتها... منطقياً لا ينقصهم شيء كي يتعلموا. وكل إعلام لفظي مكمِّل لذلك يبدو أنه غير مجدٍ... فبالنسبة إلى حياة الفتى العاطفية هناك فرق شاسع بين ما يحدث بين الحيوانات وما يحدث بين البشر، والاستنتاج من هذا لذاك يتطلب عملية عقلية معقدة؛ لذلك ينبغي تنظيم وتصميم تجربته كي يمكن تطبيقها على حالة الإنسان الخاصة وهناك مصاعب وفيرة على طريق التفكير هذا...

هناك حالات عديدة وشواذات متنوعة... فقد ذكر «رينه اللندي وهيللا لوبستين» أن: «وجود العراة الذين لم تألف الفتيات رؤيتهم قرب المدارس يترك في بعض الحالات آثاراً خطيرة، فهو يربط الخوف وانطباع التهديد بملاحظة ذاتية تترك انفعالاً شديداً لدى الأولاد»[1].

ففي كل المجالات إذا لم يوافق التأثير الخارجي درجة التطور الداخلي للفرد أو يتناسب مع إمكانياته الطبيعية، فإنه يؤدي إلى عدم توازن في الشخصية أي إلى خلل ما... وفي حال انخرط الولد قبل الأوان في عالم لم

---

(١) L'éducation sexuelle chez l'enfant, Dr. André Berge Que Sais - je?. Paris - France.

يهيأ له بعد، يتوقف تطوره وقد يحصل له أعراض مختلفة في حياته الجنسية... إن أفضل معالجة للأحداث السيئة الطارئة أو التجارب الخشنة والتعيسة هو التفسير الهادىء والموضوعي الذي يتيح تحديد المشاكل بكل وضوح وبأقل مأساوية...

«فرجل مطّلع يساوي رجلين» لأن الجهل يخيف دائماً. لذا وجب الإعلام الجنسي البسيط والصحيح وفي حينه، ولا يجوز مطلقاً التغاضي عن الموضوع، لا شيء يوقع التباساً سوى المفاجأة: فكل ردود الفعل الدفاعية، بما فيها الهرب، يمكن أن تكبت، عندما لا تدرك الخطر بوضوح... لهذا نجدنا بحاجة إلى إعلام تستوعبه كل من العاطفة والذكاء على حد سواء، إذ إن الإعلام بالتجربة أي غير اللفظي، لا يمكن أن يكفي مطلقاً....

٢ - **الإعلام اللفظي العادي** - يعتبر العلماء أن وعي الحقائق الجنسية بوساطة الكلام مرحلة مهمة في تطور الفرد العاطفي. ولا يمكن اجتياز هذه المرحلة دون مساعدة أحد، فقد لا يجد الطفل الكلمات المناسبة وحده، أما الكلمات التي يوحيها إليه رفاقه فغالباً ما تكون نابية وفظة؛ فللكلمات قدرة هائلة فهي تحوِّل الفعل نفسه من فعل شريف ورائع إلى فعل بشع وقذر. فللولد الحق في التعرُّف على هذه الأمور برضى أو بدون رضى أهله. ففي حال استوعب بعض المعلومات مصادفة، فإنه يبقى على شعور بأنه استوعبها بالخدعة أو بخجل؛ فهو يتذكر كل شيء لكنه لا يجرؤ على التكلم أو التحدُّث في الموضوع؛ لكن إذا كان جو المنزل مصدر ثقة أي لا يبدو أي فرد مصاباً بالحرمان، فالإعلام الجنسي لا تعترضه أية مشكلة فيتعرَّف الولد عليها بدون متاعب، أجل فالمعرفة التي تبقى غريزية وغير واعية لا تتناسب وحاجات المخلوق الذكي والموهوب الكلام. يقول الدكتور أندره برج: «أن نسمي الأشياء بأسمائها هو أفضل وسيلة لوضع حد للترجيحات المزعجة، فالإعلام اللفظي يجلب في كثير من الأحيان الارتياح والهدوء كما يؤثر في السلوك الاجتماعي في المناسبات... ولقد استطعنا ملاحظة بعض التحسينات في الطباع وفي الشؤون المدرسية بدون ارتياب بعد توضيح هذه المسائل بشكل

مرضٍ . . . يوجد ست سنوات تقريباً بين تأثيرات الولد الأولى فيما يتعلق بالجنس وبين إدراك الجنس بشكل مقبول»[1].

ففي إحصاءات جرت في فرنسا تبين أن ٩١,٥٪ من الطلاب الذين استشيروا، أعلنوا أنهم حصلوا على أول تأثير جنسي من مصدر غير سليم، و٧٩٪ منهم قالوا بأن أثر ذلك كان سيئاً. بينما الفئة التي تلقَّت تعليماً جنسياً في الوقت المناسب على يد مربيهم، أجابت نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١,٢٪ منهم بأن أثرها كان سيئاً بينما الباقي اعترف بنتائجها الحسنة على حياته.

نشر الدكتور پول لاموال Paul la Moile في كتابه «من أجل تربية جنسية حقيقية» نتائج بحث أجراه بنفسه بين الأهل والفتيان البالغين. دلَّت هذه الأبحاث أن الإخبار الجنسي لا يعود إلى تدخل الأهل إلاَّ في ١٠٪ من الحالات بالنسبة إلى الصبيان وفي ١٧٪ من الحالات بالنسبة إلى الفتيات. وقد أدَّت نتائج الجداول العديدة لأبحاثه إلى الخلاصة التالية:

١ ـ إن الاتصالات الجنسية تبدو محقَّرة عند كل واحد من اثنين من أفراد العيِّنة التي اتخذها.

٢ ـ يتساوى الرجال والنساء تقريباً في الخجل خلال الاتصالات الجنسية.

٣ ـ تكره النساء هذه الاتصالات بنسبة أكبر بكثير بينما يكون الرجال مخطئين بنسبة أعلى.

هذا الشعور بالذنب عند الرجال ألاَ يُفسِّر الصعوبة الخاصة عند الوالدين بالاهتمام بتربية أولادهم الجنسية؟

بينما يقول جيزيل: «إن سياسة الصراحة المتطرفة والباكرة تخلق الصعوبات بدل أن تحلها».

لكن الحكمة الصحيحة تقضي بأن نرد على كل سؤال بمفرده دون أن

---

(١) المرجع السابق Education sexuelle، André Berge.

نستطرد أكثر إلى ما يطلبه الولد قبل بداية المراهقة. ولا يجوز أن نتجنب الأسئلة الصعبة، إنما نطلب مهلة إذا اضطر الأمر عدة ساعات كي نجد الصيغ التفسيرية، وكي لا نكون مفاجئين بالأسئلة؛ فكل المواضيع أو الأسئلة يمكننا الإجابة عنها بجو من الثقة يفسح في المجال أمام الفتيان بالاطلاع على كل شيء. ومن ثم نترك للولد الوقت الكافي كي يستوعب المعطيات الجديدة، لكننا لا نتوقف مطلقاً عن الكلام أمامه وكأننا نخبىء أمراً ما.

هذا الإعلام اللفظي العادي يجب أن يتم بشكل عام في جو العائلة نفسها، وأن تبقى لهجة المُخبر طبيعية قدر الإمكان، ولا يترك شيئاً حوله غامضاً إلا ويتكلم عنه. فكل ما هو بسيط دقيق وملموس لا يشكل اضطراباً مثل الأشياء الغامضة والمعقدة أو المشحونة بالانفعال. فالموقف الذي يأخذه الولد حيال مختلف المشاكل في الوجود يتعلق بشكل واسع بالموقف الذي لاحظه عند والديه. فالخوف مرضٌ معدٍ... والولد الصغير عنده أسئلة يطرحها، لكن المهم بالنسبة إليه أكثر من الجواب، ردة الفعل والشرح وأسلوب الشرح عند الكبار، المقصود أن العلاقة الإنسانية التي تقام معه يجب أن تكون على شكل حوار بسيط وهادىء مع ثقة تامَّة...

للثقة أهمية بالغة. فبداية المحادثة عن الموضوع الجنسي هي برهان الثقة، وهي في الوقت نفسه عامل من عوامل وضع الثقة. ما يجب تجنبه منذ الصغر هو أن علم الجنس يصبح بحثاً سرِّياً ويرتفع جدار من الصمت حول هذا البحث يؤدي غالباً وبشكل مزعج إلى وضع حدود بين الأجيال... فالأفكار السرية تميل إلى فساد الأخلاق لأننا نعتقد بأنها مخطئة وغير سليمة. فالأهل الذين يهلِّلون فرحاً لأنهم تخلصوا من مناقشة مخيفة، لا ينسون دائماً أنهم أضاعوا أفضل فرصة مناسبة لكي يبقوا على علاقة حميمة وصادقة مع ما يمر في رأس أولادهم وبناتهم. غالباً ما يتمنى الأهل القيام بعملية إعلام جنسي على الساخن أي بسرعة عند بداية المراهقة وتطوى الصفحة بعد ذلك... حول عماذا يدور الفضول عند اليافع في بداية المراهقة؟ فهو بحاجة إلى أن يعرف بوضوح: الفرق بين الجنسين وكيفية مجيء الأطفال إلى العالم. وبعد

ذلك بقليل يريد تطبيق العمل الجنسي كي يثبت رجوليته وإمكانياته في المساهمة بالعمل الجنسي من أجل النوع. عندها يشعر بأنه قد بلغ الرجولة وسن الرشد وتأكد من كل قواه بوضوح. . . أضف إلى ذلك مشاعر اللّذة التي ترافق هذا التطبيق العملي.

وفقاً لاختبارات بينه ـ سيمون Binet - Simon يبدأ الولد بإدراك وجود جنسين في عمر الثلاث سنوات وأنه ينتمي إلى جنس واحد منهما. فهو إما مثل أمه أو مثل أبيه. وتدريجياً يدرك الفوارق المختلفة بين الجنسين.

أما بالنسبة إلى هذه الفوارق وبالنسبة إلى موضوع الحمل والولادة فسنراها في الفصل اللاحق حيث يرشد الأهل إلى كيفية التعامل مع الأبناء في بداية سن المراهقة. . وتكون الإجابات ضمناً وبشكل تربوي مناسب.

من الأمثلة التربوية المناسبة نذكر التجربة التالية التي حدثت مع السيدة إيفون روسو Ivonne Rousseau في كتابها المعروف «علم الجنس عند الطفل» تقول: «اعتقدنا أنه يجب رفض كل تفسير، واستنتجنا بعد فترة أننا كنا على خطإ. نحو عمر الثانية عشرة عاد م.ر. من المدرسة مع هذه الشتيمة المميزة «عاهرة» فصاحت الأم: لا تقل ذلك! أرجوك هذا فاحش! وقام الوالد بجهد كبير، لكن الشتيمة عادت عفوياً إلى كلام الولد بعد مرور عشر دقائق. فنزل الغضب والقصاص عليه. . . ومع ذلك عادت وظهرت الشتيمة من جديد. . .

ماذا يعني هذا؟ سأل الولد. لا أستطيع تفسيره لك الآن! كن مطيعاً وكفى! وبعد عدة أيام ظهرت الشتيمة تحت تأثير أقل إثارة لذة أو غضب أو حزن. . .

هكذا راجت العبارة بين جميع رفاق الولد. فاستسلم الجميع للأمر الواقع؛ ولكن قامت محاولة لتفسير الكلمة للأولاد فكان الدرس طويلاً ومرَّ بالمشاكل الأخلاقية وعلم الصحة الجنسي والزواج. وقد كان الأولاد على اهتمام بالغ الأهمية. لكن ذلك انتهى بارتياح. فقال أحدهم: «هناك الكثير من

الأشيــاء التي كنت لا أفهمهــا وإني أراهــا بــوضــوح الآن» وهكــذا وافق الآخرون. . . وبعد ذلك لم تظهر الشتيمة مطلقاً. . .

هكذا كلما كبر الولد ازدادت اتصالاته بالعالم الخارجي، فمن الضروري أن يصبح هكذا! لكن الـوقايـة العائليـة تتناقص بـالمقابـل، إنما يجب أن يجـد تـدريجياً في قـواه الشخصية الـوقايـة اللازمـة ـ ولهذا السبب بـالذات نجـد أن الإعلام اللفظي العائلي ضروري بالنسبة إليه.

نجد من ناحية ثانيـة أن الأهل يخشـون غالبـاً أن يظهـروا أنفسهم وقد صدموا بسبب تدخلهم الخاطىء أو غير المناسب. لأننا قد نخطىء بالطريقة أو بالأداء أو. . .

إن أفضل تفسير هو ذلك الذي يفهمه الـولد بـأقل عـدد من الكلمات: إنه التفسير الذي يكتفي بإنارة طريق الوعي في فكره أي «وعي الـذات». . . فغالباً ما يكفي أن نفسح في المجـال للولد كي يكـوِّن من ذاته الصلة مـع أُمه ومن ثم ظهور المولود الجديـد، فنقول لـه: ألم تلحظ ذلك؟. . . سنـرى ذلك في الفصلِ اللاحق. لا طريقة أفضل من طريقة التوليد.

قد يطلب الـولد استعـلامات تشريحيـة وذلك حسب عمـره وتفكيره ولا يجـوز أن نرفض طلبـه. . . ويصل معـك إلى كيفيـة تكـوين الـطفـل ولمـاذا؟ و. . . .؟.

يمكن أن نعطي فكرة أولية عن اتحاد بذرتين أو خليتـين أو بالمقـارنة مـع الأزهار أو الحيوانات وذلك وفقاً لعمره، وللأب مشاركة في تكوين هذه الخلية التي ستصبح جنيناً في بطن أُمه ومن ثم طفلاً يولد ويكبر. . .

الشرح التفصيلي يبقى للفصل اللاحق.

مما لا شك فيه أنه لا داعي لأن يتم الإعلان عن كل هـذه التفصيلات دفعة واحدة، إنما يجب أن تكون على استعداد للإجابة على كل شيء بشجاعـة ولا تتجنب أي سؤال. فحـين يدخـل الأهل في هـذا الـطريق لا يـرون شيئـاً بعيداً. يجب أن يكون بمتناولهم صيغ صحيحة وخالية من الفظاظة. فإذا تركنا

ثغرات في التفسير الذي اعتمدناه، هذا يعني أننا فتحنا الباب أمام شطحات الخيال والأفكار المزعجة. وهكذا تدريجياً يبدأ الإخبار الجنسي باتخاذ الدور العلمي عندها يستطيع المربي أن يقدِّم لوحات ومقاطع توضيحية.

نصل هنا، حتى على مستوى الإعلام اللفظي العادي، إلى منعطف تجدر الإشارة إليه باهتمام. فقد رأينا كيف أن الولد في المرحلة الأولى كان همه معرفة أصل تكوينه، وبعد أن يكتشف هذه الحقائق، لا يدرك ذلك على أساس أنه نتيجة الحب فقط، بل سيدركه على أساس أنه سيكون أحد المشاركين في هذا الحب الذي كشف عن قسم كبير من أسراره، وبذلك يصبح اهتمامه شخصياً وعاطفياً بهذا الموضوع. هكذا يصبح الموضوع أكثر دقة لأن القضية الشبقية تصبح واردة عنده.

ضمن هذا الإطار الذي رسمناه، يستطيع الولد أن يتمم معارفه بنفسه. ولكن لا تعترض عليه إذا التجأ إلينا أيضاً، وخصوصاً في بعض النقاط التي يجب أن تعده لها ولا تتردَّد عن الكلام معه في أي سؤال أو مسألة يريد مناقشتها.

يبدأ الاضطراب عنده حول كل ما يتعلق بقيامه بالأعمال الجنسية... هل نحصل على الأطفال حين نشاء؟ كيف يحدث أن يكون هناك بنات - أمهات أو زوجات بلا أطفال؟ هل تؤدي العلاقات الجنسية دائماً إلى إنجاب البنين؟ علينا أن نجاوب على كل هذه الأسئلة ومثيلاتها بإخلاص وصدق... سيأتي توضيح ذلك...

هكذا نستطيع القول إن الغريزة الجنسية هي قوة كبيرة ضرورية للحياة، لكنها مصدر لكثير من الشك والتردد، وعليها البحث عن طريقها خلال سنوات النمو، لكن هذه المشاكل والترددات تجد طريقها إلى الحل بسبل طبيعية، خصوصاً بعد أن يعي الفرد معنى أعماله وتصرفاته.

المهم ألّا تضيِّع الغريزة ومعانيها الصحيحة فتؤدي بصاحبها إلى الاضطرابات وأنواع الفساد المختلفة. السؤال الأخير الذي يمكن طرحه: هل

يستطيع المربي عندما يتطرق إلى مثل هذا الموضوع تجنب إصدار بعض الأحكام الخاصة الصادرة عن آرائه أو طريقته في رؤية الأشياء؟ أو هل يستطيع المربي إعلام الولد دون أن يأخذ موقفاً معيناً تجاه التصرفات الخاصة؟ هل الحياد الكامل ممكن؟ وإلى أي حد يصبح ممكناً؟

تبقى إشارة صغيرة في هذا المجال من الإخبار اللفظي: قد يصبح الولد مضطرباً إذا لم يجد عند الذين يربونه إشارة إلى ما اتفق على اعتباره حسناً أو سيئاً؛ فغالباً ما يُكثر الأهل من استخدام هذا الموقف الطبيعي فيقعون غالباً في خطإ الاستفادة من كل ذلك كي يفرطوا في الأخلاقية على حساب الصحة العقلية. فالتشديد على النواحي الأخلاقية قد يضر أحياناً، لذا يجب اعتماد موقف مرن من قبل الأهل.

أخيراً، ما هي هذه الغريزة الجنسية التي يقال عنها إنها سوية والتي لا يتبنى المجتمع أي مظهر من مظاهرها؟ على الأهل خلال دورهم الإعلامي إظهار معنى الغريزة بشموليتها وقيمتها. هكذا تذوب مع المثل الأخلاقية التي يواجهها الفرد في مختلف مستويات الحياة، لكن غنى الطبيعة يبدِّد هذا التوقّد، وكل عمل لا يؤدّي مباشرة إلى التناسل لا يبقى عملاً مبرراً، ولكن على هذا المستوى، هناك أمور عند المخلوق البشري أكثر مما هناك عند باقي المخلوقات في الكون، هو تداخل عنصر الشعور ومفهوم الحب. وبفضل هذه الصلات تتغير طبيعة الغريزة وتزداد غنى. ففي حال ربطناها فقط بوظيفة التكاثر لتبريرها نكون قد جعلناها حيوانية أكثر منها إنسانية. فعند الجنس البشري، يعود الفضل إلى الحب كي يتمنى الزوجان إنجاب النسل وليست ضرورة إنجاب النسل هي التي تؤدي إلى الحب. فاتحاد الرجل والمرأة يسير نحو النضج التام الذي يتحقق بشكل أفضل كلما استطاع المخلوق البشري المشاركة أكثر في كليته الجسدية و«العاطفية» والذهنية والأخلاقية. ففي هذه الذروة لا يعود للزوجين من هدف سوى الرغبة في الموافقة على استمرارية النجاح وذلك بمنح الحياة لمخلوق جديد يصبح بشكل من الأشكال صورة دائمة لحبهم.

ضمن السياق الأخلاقي الذي تكلمنا عنه لا بد من ذكر كلمة عن المظاهر اللاشرعية في الجنس وارتباطها بمواقف مختلفة وبعض أنواع الشذوذ. أضف إلى ذلك ذكر ناحية مهمة من التربية الجنسية ألا وهي التربية الصحية وأخطار الأمراض التي تسببها بعض العلاقات الجنسية السيئة.

هكذا يعطى الولد إمكانية التفكير وإمكانية تطوير تصرفاته ومسالكه في الحياة، فيصل إلى مرحلة النضج كي يتلقى تعليماً جماعياً واعياً ضمن نطاق آخر ربما بعيداً عن الأجواء العائلية.

٣ ـ **الإخبار العلمي** ـ بعد قيام العائلة بواجباتها على أكمل وجه يأتي دور المدرسة حيث تقدِّم الإعلام العلمي، إذ يبقى على الولد تنظيم معلوماته والعمل على تكاملها في مختلف أوجه نشاط الحياة.

فقد أخذت المدرسة على عاتقها مهمة توزيع المعرفة العلمية وفيها يتعلم الناشىء سبل العيش في مجتمع زملائه، بعيداً عن البيئة المنزلية. فالانخراط في المدرسة يبدأ بشكل جدي في حوالى السادسة من العمر أي عند بداية مرحلة الكمون والنضج، وهذه المرحلة بالذات تتناسب مع الاكتسابات العقلية والاجتماعية، ففي هذه المرحلة تصبح الدوافع الغريزية غير مدمِّرة لكنها تستمر بشكل خفي.

فالولد الذي يدخل المدرسة بين سن ٤ و٦ سنوات لم يكن قد تلقَّى الإعلام اللفظي العادي الذي ذكرناه سابقاً. ممَّا لا شك فيه أن هناك تداخلاً بين الإعلام اللفظي والإعلام العلمي، من هنا كان وجوب تعاون البيت والمدرسة وبشكل فعَّال فتقوم مناقشة حول توزيع الأدوار خلال اجتماعات المربين مع الأهل وذلك كي يتخطى الطفل مراحل نموه بنجاح...

يوصي الخبراء في هذا الشأن بأن يتبع الإخبار العلمي الإخبار اللفظي العادي، ولا يسبقه مطلقاً. ففي الأجواء الريفية يمكن أن يبدأ بأشياء ملموسة، كملاحظة الحيوانات الصغيرة والاعتناء بها، وهذا لا يصح في المدينة، هنا يأتي دور المدرسة في تأمين أمثلة مشابهة للأمور الطبيعية في الريف

وعلى مرأى من جميع التلاميذ. هذه التنشئة المشتركة يمكن أن تكون مدخلاً إلى دروس العلوم حيث يكون التشديد على علم الجنس، إنما، شرط ألاّ نضع ستاراً مظلماً على كل ما يتعلق بالتناسل. هنا لا بد أيضاً من إعداد معلمين لهذه الغاية مع إتقان أساليب علمية ونفسية وأخلاقية لهذا الشأن، كما ينبغي أن يكون هؤلاء (أي المعلمون) قد تخلصوا من العقد العاطفية وأصبحوا في حالة استقرار عاطفي على الأقل وبدون ذيول كبيرة لعقدهم العاطفية السابقة. من المظاهر الأساسية لمهمة المدرسة نذكر:

١ - **تنظيم المعلومات وعقلنتها** - تقوم العائلة بمعالجة القضايا الجنسية من الزاوية العاطفية، هنا ينبغي معالجة القضية من وجهة نظر غير عاطفية وذلك بوضع الولد بين مجموعة حيث تكون الأهمية فقط لمشاكل الدورة الدموية وعملية التنفس. ليس المقصود إلغاء وظائف التناسل من المناهج، بل لنعطيها منزلة الشرف التي تعطى عادة للابن الضالّ بعد عودته.

سوف لا تُعالج مسألة وضع منهاج مدرسي منظَّم، علماً بأن ذلك قد وضعته لجان مختصة في وزارة التربية في كل البلدان المتقدمة وهذا أمرٌ ضروري، إنما سنذكر بعض أنماط التعليم التي تتلاءم مع محتوى هذه المادة. ومن هذه الأهداف نذكر:

١ - يجب أن تقدم المدرسة إعلاماً دقيقاً من الناحية البيولوجية والتشريحية والفيزيولوجية.

٢ - يجب أن يُفهم علم الصحة بشكل دقيق في الوقت المناسب وفي المجال الجنسي.

٣ - يجب التعرض لدراسة المشاكل الأخلاقية والاجتماعية التي تنشأ عن الممارسات الجنسية وكيفية النظر إليها من الوجهة العلمية.

لا تعود هذه الأهداف إلى الميادين التعليمية نفسها، فالهدف الأول مثلاً هو من اختصاص أستاذ العلوم الطبيعية، والهدف الأخير هو من اختصاص أستاذ الفلسفة، أما الهدف الثاني فإنه يدخل في ميدان التربية الصحية التي

أصبحت ميداناً قائماً بنفسه، ورب قائل إنه يمكن إدراج منهج التربية الجنسية تحت عنوان التربية الصحيّة... كما يفضل آخرون أن يوضع منهاج خاص بالتربية الجنسية يزداد عمقاً وتوسيعاً كلما تقدمنا في السلم التعليمي. وقد كانت التجارب في الدول المتقدمة ونوقشت مواضيع مهمة ضمن المنهاج كالحب والزواج، وعلاقات الفتيان والفتيات ومشاكل المراهقة وغيرها.

وقد دلَّت التجارب أننا إذا تكلمنا مباشرة مع المراهقين ووافقنا على إعطائهم الحرية الكاملة للتعبير عن تفكيرهم الحقيقي يتوصل هؤلاء إلى نوع من الشعور بالانشراح. فلا يجوز أن نمنحهم أخلاقاً نظرية، بل ينبغي أن نجعلهم يناقشون مشاكلهم بكل وضوح وبدون تكلُّف خبيث ليدركوا مشاكل الآخرين ويصبح بإمكانهم تخطي مصاعبهم.

لا يجوز التعمق في مثل هذه المواضيع مع الأولاد خصوصاً من الناحية الفيزيولوجية والعقلية... هنا تجدر الإشارة إلى أن على المعلمين البحث عن الاهتمامات الأساسية لصفوفهم دون اعتماد أساليب قضاة التفتيش... فأمام بعض الضحكات المميزة، حيث أن الأستاذ يعرف الدافع، يستطيع هذا الأخير أن يجعل الولد يفكر بالأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى بعض الضحكات المضطربة أو المليئة بالأشياء الخفية. وقد تكون هذه وسيلة لإظهار هذه المواضيع ذاتها ولكن من زاوية أُخرى بغية إزالة الالتباسات.

يقترب هذا المظهر الاجتماعي للإخبار الجنسي في المدرسة من المظهر الأخلاقي وهو أكثر ذاتية من الإعلام الجنسي الذي يعود إلى العائلة. فقد نستطيع في المدرسة كشف بعض الأمور عبر الاستشارات الخطية، حيث كتم الأسماء ممكنٌ بذلك يتشجَّع لإظهار بعض الخفايا الضرورية دون المجازفة بأن تخلق هذه الخفايا صلة ودِّية بين المربي والولد. فلا يجوز أن ينسى المعلم أن دوره الأساسي هو التعليم وأن عليه أن يقابل تلاميذه بكل موضوعية باردة، وعليه أن يسعى ألَّا يعقِّد نموّ تلاميذه بدل أن يسهله مهما كان ذكياً...

يقوم أُستاذ العلوم الطبيعية بتحضير درس أو أكثر حول ظاهرة التناسل من وجهة نظر موضوعية كأية ظاهرة أُخرى بالنسبة إليه، المهم هو إتمام

البرنامج، فلا يجوز أن يُدرس جسم الإنسان وكأنه مكوَّن من قطعتين منفصلتين بل هو متصل ومتكامل. أن تتكلَّم عن مجرى البول أو البروستات أو الخصية أو عن المبيض والقناة والرحم، كل ذلك لا يشكِّل صعوبة كبيرة. فالخطر الوحيد يكمن في أن المعلم ينتظر ردود فعل من قبل التلاميذ لأن هذا وحده يكفي لإثارتهم. إن البرنامج المنظم بحكمة ووعي يقود الولد خلال سنيه المدرسية إلى المعرفة العلمية لوظيفة التناسل في العالم الحي. تملك هذه النظرة المتكاملة طابعاً تربوياً، إذ إنها تحوِّل الانتباه عن النواحي الصغرى في الموضوع.

بالنسبة إلى علم الصحة ودوره في الحياة الجنسية، من المستحسن أحياناً استدعاء الطبيب الخاص بالمدرسة الذي من شأنه أن يقدِّم بعض المحاضرات التي تناسب عمر وجنس مستمعيه. إنها طريقة رائعة بأن يجمع الطبيب بين عمله كطبيب وعمله التربوي، وهذا سهل تنفيذه لفصل الجنسين في المدرسة نظراً لإجراء الفحوصات الطبية. يشعر الولد عندئذ أننا فعلاً نعالج مشاكل تهمُّه شخصياً. فيقدِّم الطبيب للمراهقين طريقة انتقال الأمراض وكيفية معالجتها. بينما يتلقى الأولاد الأصغر سنّاً طرق النظافة وبصورة خاصة للأعضاء التناسلية.

هكذا ينبغي أن يحصل تنسيق بين الأساتذة والأطباء للقيام بمهامهم على أكمل وجه. فدور الأطباء مهم للغاية في تهدئة الكثير من الاضطرابات والحشريات الموجودة عند الأولاد.

تكون معلومات التلاميذ الجنسية في الصف الواحد متفاوتة المستويات، فكل منهم يدخل المدرسة وهو مزوَّد بمجموعة من المعلومات التي حصل عليها من مصادر مختلفة. فنجد الاستعلاء عند البعض لادعائهم المعارف المميزة عن غيرهم، وقد نجد بعض الأولاد يقفون على الحياد قائلين في أنفسهم لرفاقهم... أنت لا تزال صغيراً... وغير ذلك من المواقف. المهم أن المدرسة تسعى رغم كل ذلك للمساواة بين المعلومات وجعلها مادة تبادل ومن ثم مشاركة الجميع بها.

فعندما ينتصب جدار من الصمت بين المربين والأولاد أو حتى في المنزل، هذا يعني أن الأولاد يكتمون حتى بعض الأسرار التي استطاعوا انتزاعها من الكبار... ففي الحالات المتطرفة، نستطيع مشاهدة تكوين «دوائر المتلقين» مثل ذلك الذي يجد وصفه في صحيفة التحليل النفسي لقناة صغيرة، ولا يحق لأحد أن يخون أفراد العصابة (الرفاق) مهما كان الأمر. وقد تصل بهم الأمور إلى حياة جنسية جماعية، وقد يحصل أخطر من ذلك مع عصابة الحشاشين... فضررها النفسي يبدو واضحاً ليس فقط حسب المناسبات إنما حسب الأفراد الذين يصبحون أكثر عرضة للانتقاد كلما أصبحت حساسيتهم أكثر إرهاقاً.

إذاً فالمشاركة في المعارف يمكن أن تحدث خارج أجواء الراشدين، وهي تأخذ دوراً خفياً، معارضاً، يمتزج أحياناً بالعدوانية والكبت، كما أنها تقفل الطريقة المنفتحة وتصبح الأمور أكثر مأساوية.

غالباً ما يعتقد الكثيرون أن التربية المشتركة بين الصبيان والبنات تجعل الإخبار الجنسي في المدرسة غير ممكنٍ... إلا أن التجارب والأبحاث أشارت إلى خلاف ذلك، فالمعلم وحده يتعرَّض إلى التعب أكثر من التلاميذ. ففي حال تمَّ تقديم الإعلام بطريقة علمية وموضوعية مع الاهتمام الزائد بعدم جعلها عاطفية، من قبل المدرسة، يمكن أن تكون التربية المشتركة منظمة، وقد رأينا كيف يمكن فصلهما خلال الفحوصات الطبية، كما أن الألعاب الرياضية قد تفصل الصبيان عن البنات وفي حال اضطررنا إلى ذلك تجري الأمور بشكل طبيعي..

لا بد وأن مشكلة الإعلام تتصل بمشكلة إعداد العقول والقلوب، ومن ثم وضع خطة تربوية ملائمة من النواحي النفسية والعلمية والعاطفية، وقد رأينا عدة أشكال للإعلام (غير لفظي، لفظي عادي، وعلمي)... هنا نفتح الطريق إلى أسلوب ممزوج من الأشكال الثلاثة وهذا ما سنراه في الفصل اللاحق.

الفصل الرابع

كيف نتعامل مع أبنائنا في البيت
وفي الأمور الجنسية

من الفيزيولوجيا إلى السيكولوجيا

غير مسموح أن نهمل أولادنا
في الأوقات الحرجة

مقدمة:

بضع كلمات إلى الأهل: يشكل الإعلام الجنسي لولد ١٠/١٣ سنة مشكلة على غاية من الصعوبة بالنسبة إلى الذي يتكلّف بهذا الأمر. يؤكد العديد من الأهل أن الولد يتوقف ظاهرياً عن الاهتمام بهذه الأشياء التي تعود إلى جسده، أو بمشاكل الحياة الكبرى. فالفضولية التي كانت عند الولد حول كل ما يتعلق بالتوليد والتناسل قد كُبتت، لم يعد يطلق أسئلة عن مصدر مجيء الطفل، أو الفوارق العضوية بين الصبي والبنت، ولا يعود يلعب مثلاً لعبة الطبيب أو لعبة الأم والأب. ويبدو كأنه قد تحرَّر وقتياً من اهتماماته القديمة.

في الحقيقة خلال الفترة التي تفصله عن عاصفة المراهقة كانت الرغبة الجنسية في حالة كمون أو بالأحرى كانت تطغى عليها عمليات اكتشاف الحقائق العلمية في العمل المدرسي ومعاشرة الرفاق الأصدقاء. لكن يجب أن نفهم أن الجنسية مستمرة في لعب دورها تحت تأثير الخيال والاستيهام واللعب.

من هنا نجد أن الحوار بين الأهل والولد ضروري جداً. فعدا عن

كونه يعزِّز الاتصال الوثيق فهو يكوِّن واقياً فعّالاً ضد التهيؤات المكبوتة التي تمّت نحو عمر ٥ ـ ٦ سنوات عند نهاية المرحلة الأوديبية.

بالتأكيد فالخجل على أنواعه، والأحكام التي يقيمها وعينا، كلها عناصر ضرورية في عملية النضج السيكو ـ عاطفي عند الفرد. لكن، مثل كل نظام كبتي، يجب أن يكون لها عمل تعويضي تحت طائلة طابع الظلم الذي يصل إليه لاحقاً.

أولاً: الإعلام الجنسي الحقيقي:

ركض الولدان بسرعة نحو الطاولة لتناول الطعام بلهفة زائدة وكأنها أول حفلة شاي تقام في العالم: إنهما سامر وليلى. نظر إليهما أهلهما بشيء من الغيرة لهذه الرغبة الزائدة إلى الطعام.

ما هذه الحيوية، قالت ناهدة ابنة عم الوالدة، لم أتوقف عن تأملهما منذ الصباح فأنا معجبة بحيويتهما.

أجابها سامر بنوع من الخبث: سيكون ابنك الذي ستضعينه قريباً مماثلاً لنا. فالسيدة ناهدة ستضع مولوداً في وقت قريب، والأولاد وجدوها موضوعاً مناسباً لطرح أسئلة كثيرة تدور في رأسهم.

ليلى: في السنة الماضية كنت تلعبين معنا في القفز ولعبة الحبل، لكن اليوم لا يحق لنا أن نزعجك فأنت تنتظرين ولادة طفل ستأتينا بابنة خالة جميلة.

رفعت الأم حاجبيها ونظرت إلى الفتاة بشيء من التعجب وقالت: هم. . هم. . بينما سامر يتأمل وجه والده الذي يشعل سيجارة وهو يقول: «هناك شيء لا يسير كما يجب؟» يجيب الصبي: «في عملنا بالزورق لا تساعدنا ليلى لأنها فتاة. . .».

غضبت ليلى وانفجرت قائلة: «وما الفرق؟ فأنا سأدخل مثلك الصفوف الثانوية هذه السنة وأكمل دروسي، وسأصبح مهندسة أيضاً (على أساس أن الهندسة للشباب غالباً. . .) ووالدتي تعمل أيضاً في المعلوماتية».

ـ أجاب الأب بكل هدوء: لا شيء مستحيلاً تصبحين امرأة مهندسة أو من روّاد الفضاء، بدون أن يمزح أو يهزأ ـ سامر انظر إلي إذا أمكن واسمعا إليّ معاً ـ أرى أن لديكما أسئلة كثيرة تريدان إجابات عنها، وأرى أن الرفاق يروون أشياء وأشياء في الثانوية منذ عمر الثامنة أو التاسعة ربما. توقف كل من سامر وليلى عن الكلام، ثم أكمل الوالد: هل أنا مخدوع بتقديراتي؟

ـ لا . . . إنما . . . .

ـ آه . . . صحيح . . . .

تمام إذاً لست مخدوعاً؟ . . .

ـ هناك العديد من الأشياء التي لا نفهمها عند الصبيان وعند البنات . . . لكننا لا نتجرأ على التحدث عنها! قال سامر . . .

ـ وضعت ليلى أنفها في كأس الشاي والحليب الذي تشربه خجلاً.

أكمل الوالد: «إذا أردنا أن نبدأ الحديث فهو طويل، لكن، بإمكاننا إنهاءه في خلال هذه العطلة الطويلة.

ـ ألا يمكننا قراءة ذلك في كتاب مع الصور؟ سألت ليلى.

ـ بكل تأكيد أجاب الأب، ثم ذهب وأحضر كتاباً مليئاً بالصور ثم أخذ يوضح الفرق بين الصبي والفتاة على الصور، ويعمل على إيقاف عصبية ليلى.

ـ الأم: إذا نظرنا إليكما من الوراء فأنتما متشابهان تماماً (بمزح).

ـ لكن من الجهة الأمامية، أضاف الوالد، هناك فرق أساسي، فالأعضاء الجنسية مختلفة بين الصبي والفتاة، أنت يا سامر لديك قضيب في أسفل البطن تستخدمه في التبول.

أكمل سامر: وتحته عندي أيضاً كيس صغير في داخله بيضتان هكذا يقول الرفاق.

أكمل الأب: إنهما الخصيتان وغلافهما وهما غدتان لهما وظيفة هامة.

صرخت ليلى: وأنا ليس عندي سوى هذا الشق! لا قضيب ولا خصيتان . . .

ـ أوقفها الوالد قائلاً: لكن لا يا عزيزتي فلديك أعضاء جنسية مخبأة داخل بطنك في الحوض، هناك غدتان تشبهان الخصيتين تسميان المبيضين ـ يتوقف الأب قليلاً ثم يكمل ـ لكن المشابهة مع سامر تنتهي هنا، فلن يكون عندك قضيب ذكري، بل قناة مهبلية تدعى «المهبل».

ـ آه إذاً أنا عندي مهبل وليس عند سامر مثله (مسرورة في نفسها).

ـ وما هذا الشق الذي يظهر إلى الخارج سوى فتحة المهبل أكملت الأم.

ـ وعندك ثقبان، أحدهما للتبول والآخر خلفه لفرز البراز.

ـ صرخ سامر: ألدينا كل هذه الأعضاء منذ الولادة؟ فقد تعرفتم إلينا منذ الولادة وأدركتم أن ليلى فتاة وأنا صبي؟

ـ أجابت الأم: نعم رأينا فوراً ذلك (وهي تبتسم بثقة).

ـ سأل سامر: وما نفع الخصية والمبيض؟ هل لهما وظيفة معينة؟

ـ أعتقد ذلك، أجاب الأب، إنهما يصنعان «الهرمونات» وهي مركبات كيميائية، وتحت تأثير هذه الهرمونات الذكرية والأنثوية تتكون وتنمو الأعضاء الجنسية عند الذكر أو عند الأنثى، فعمل الغدد على أهمية بالغة.

ـ صرخت ليلى: أنا لا أفهم شيئاً فقد كثرت التعابير علي وأكاد أن أخلطها بعضاً ببعض.

ـ أجاب الوالد: ستفهمان بشكل أفضل عندما أصف لكما وظيفة هذه الأعضاء. فهذه الغدد تصنع الهرمونات ولكنها تصنع أيضاً الخلايا الجنسية.

ـ قبل ولادتنا؟

ـ وطوال حياتنا.

ـ ماذا تقول؟ . . . مع ضحك . . . في حين أن الوالد يقلب صفحة في الكتاب.

ـ تدخلت الوالدة قائلة: الخلية هي أصغر عنصر حي نعرفه، فكل مخلوق حي، إنسان، حيوان، أو نبات يتكون من خلايا.

سامر: نعم... نعم... لقد تعلمنا عنها في المدرسة...

ثم (ملتفتاً إلى أخته): أنت ستدرسين عنها في العام المقبل.

الوالد: وهناك أنواع عديدة من الخلايا نراها تحت المجهر وهي إما في العظام أو العضلات أو الدم أو الأعصاب... إلخ. بينما تنحصر مهمة الخلية الجنسية بالتكاثر.

ـ تكاثر ماذا؟

ـ تكاثر النوع، عزيزتي، رجل وامرأة يولدان طفلاً. فالخصيتان تنتجان الخلايا الذكرية «حوين منوي» والمبيض عند الأنثى الخلايا الأنثوية أي «البويضة».

ـ سامر: وكيف يعمل الحوين المنوي والبويضة كي يصبحا طفلاً؟

ـ يمتزجان فور لقائهما ويكونان خلية جديدة تصبح «البيضة». هذه البيضة تنمو وتصبح جنيناً في بطن الأم ومن ثم طفلاً يولد ويكبر ويذهب إلى المدرسة...

ـ وكيف نعرف الصبي من الفتاة؟ أو كيف يحصل ذلك؟

ـ لكي نفهم جيداً: انظر داخل الخلية تجد هذه العصيات في النواة. إنها «الكروموزومات = Chromosomes» يوجد منها ٤٦ في كل خلية من خلايا جسمنا، ما عدا الخلية الجنسية فالحوينة المنوية Spermatozeide تحتوي على ٢٣ والبويضة الأنثوية ٢٣ أيضاً.

ـ ليلى... وهكذا تتكون البيضة من ٢٣ كروموزوم ذكري و٢٣ كروموزوم أنثوي.

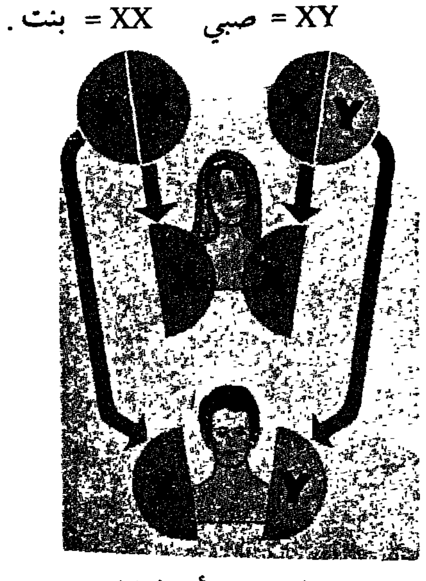
ـ صرخا معاً: لماذا هذه الكروموزومات مجتمعة تكون صبياً أو ابنة؟

ـ هذا بالمصادفة أو بالحظ؟ لا أكثر ولا أقل.

ـ الوالد: بعض الحوينات المنـوية
تحمـل كرومـوزومـاً يشبـه X
والأخرى تشبه Y:
إذا حصلنا على X = فتاة؛
Y = صبي.

ـ هذا علم الرياضيات،
هنا صرخت ليلى.

ـ الوالد انظر الشكل:
XX = ابنة XY = صبي.



الأم: فأنتما معاً نتيجة مزيج من الكـروموزومـات، وقدأخـذ كل واحـد منكـما ٢٣ من الأب و٢٣ من الأم. وهذا مـا حدد جنس كـل منكـما وحسب المصادفة والحظ... كما يتحدَّد لـون الأعين والشعـر والقامـة وحتى مزاج كـل منكما...

ـ أضـاف الوالـد: هناك دقـة في الميكانيكـا البشريـة، إنمـا هنـاك دائـماً مفاجأة... ولذا فإننـا نجد أن كـل شخص فريـد ولا يمكن أن يكون صـورة طبق الأصل عن مخلوق آخر.

ـ تتأمل ليلى وجه أمها ووجه والـدها وتقـول بدهشـة: فعلاً أنـا فريـدة وتضحك...

لكن سامر يراوده سؤال: هل يكون عندي حـوينات منوية؟

ـ الوالد: ليس عندك الآن إنما خلال سنتين على الأكثر تبـدأ الإفرازات الكاملة وتدخل عمر المراهقة أي تنتقـل من مرحلة الـولد إلى مـرحلة الشاب رجل المستقبل.

ـ وهل هذا يؤلم؟ صرخت ليلى.

ـ لا يا عزيزيّ لا تخافا ـ نشعر بشيء من الغرابة ليس إلا فسامر يكبر بسرعة في هذه المرحلة ويصبح صوته خشناً. وسيجد أن شعراً سينبت حول القضيب الذكري وفي الخصيتين، والأعضاء هذه تكبر، كما ينبت الشعر في الذقن ويبدو الشاربان. . .

ـ سامر: يصبح عندي لحية وشاربان.

ـ لكنك ستتزعج قليلاً قبل أن يصبح بإمكان الخصية أن تكون حوينات منوية.

ـ وبعدها أصبح رجلاً؟

ـ أنت الآن رجل، فالآن بدأت الغدد عندك بصنع ذلك إنما بمعدل قليل، ستصنع المزيد عندما تكبر.

ـ وأنا! أنا! ماذا عن حالتي صرخت ليلى.

ـ سأقدم لك لوحي الشوكولا إذا سمحت لي أيضاً بسؤال.

ـ طيب أجابت ليلى وهي تأخذ لوحي الشوكولا.

ـ سامر: كيف تتكون الحوينات المنوية ومن أين تأتي؟

تتكون الخصية من أنابيب ملصقة ببعضها البعض تتلاقى في قناة أوسع حيث تتكون الخلايا بلا توقف. فالحوينة المنوية هي خلية لها رأس وذنب طويل يساعدها في التنقل عبر القناة، فهو ينتقل كي يبحث عن المخرج. فهي تتجمّع بادىء ذي بدء في عضو صغير يحاوط كل خصية يعرف باسم البربخ (Epididyme). ولكي يبحث عن مخرج يكون أمامه مسار طويل عليه اجتيازه! شهرين تقريباً.

ـ أكمل أرجوك!.

ـ تصل الحوينات المنوية أولاً إلى قناة ناقلة Canal déférent تدخل في البطن. من ثم تأتي إلى الحويصلة النطفية Vesicule Seminale تكون هذه

الأكياس وراء المبولة، هنا تمتزج إفرازات الحويصلة النطفية مع إفرازات البروستات التي تقدم لها مواد غذائية، هذا المزيج يشكل المني.

ـ آه إذاً البروستات ليست مرضاً.

ـ أبداً إنها عضو من أعضاء الجسم الضرورية.

ـ ليلى: إذاً المني يرتاح وراء المبولة؟

ـ لا يرتاح بل يتجمع هناك قبل أن ينطلق نحو الخارج.

ـ سامر: إن جد رفيقي أحمد قد أجريت له عملية البروستات واعتقدت أنها عملية تشبه عملية الزائدة.

ـ الوالد: يتم استئصال البروستات عندما تتضخَّم فتمنع البول من الخروج. إذ عليه اجتياز قناة البول في القضيب المفتوح في رأسه حيث يسمح له بالخروج...

ـ سامر: ومن أين تخرج الحوينات المنوية؟

ـ الوالد: إنها تتبع قنوات البول نفسها وتخرج من البلوطة Glanf أو الحشفة. إنما بشرط أن يكون القضيب في حالة انتصاب فالقضيب ينتصب بسبب اندفاع الدم في خلاياه الإسفنجية، وهذا الفعل يظهر عند سير الدم السريع في العضلات الإسفنجية ووفقاً لتناغم غدد أخرى في الجسم أهمها الغدة النخامية الموجودة في الرأس.

ـ وعندما أخجل ويحمر وجهي، صرخت ليلى، هذا يعني أن الدم يسير بسرعة في وجهي؟

ـ الوالد: وكذلك فإن دفعاً من الدم يحدث القذف، إذ تظهر الحشفة بوضوح عند الناس المختونين (المطهرين)، لأنها تكون ظاهرة دائماً عندهم.

ـ ما هو (التطهير)؟ صرخت ليلى.

ـ الوالد: عند بعض الطوائف والأديان هناك عادة ختان الطفل فور

ولادته. وما عملية التطهير سوى اقتطاع هذه القطعة من الجلد التي تغطي رأس الحشفة وقد تكون ضيقة جداً عند بعض الأولاد مما يضطرهم إلى ذلك.

ـ سامر: نعم فبعض رفاقي يقولون لي إنهم مطهرين!...

ـ الوالد: في الإسلام كما عند اليهودية هذه العادة شبه إلزامية حتى لو لم يكن هناك حاجة صحية إلى ذلك.

ـ سامر: وكيف تخرج الحوينات المنوية؟

الوالد: تكون موجودة في السائل المنوي، لا تنس، وهذا يخرج بقذف قوي وسريع، باحثاً عن بويضة أنثوية داخل رحم المرأة... سنعود إلى ذلك لاحقاً.

تعترض ليلى على استمرار سامر بطرح الأسئلة، يقف سامر ويقول لها: تفضلي الدور للآنسات والسيدات...

ليلى: أنا بنت صغيرة ولست امرأة، فيقترب الوالد منها، وقد بدت حزينة، فيلاطفها في حين تقبلها والدتها واضعة يدها على شعرها: لا تخافي...

ـ الوالد: تصل الفتاة إلى عمر المراهقة قبل الصبي وستصبحين امرأة عندما يصل سامر إلى حالة الرجولة.

ـ هل سيصبح عندي ثديان مثل أمي؟

ـ الوالدة: بالتأكيد يا عزيزتي، وسيظهران تدريجياً ابتداء من عمر ١٢ سنة... التغيير الأهم يحصل في بطنك، في أعضائك الجنسية والمبيض إذ يصبح بإمكانه صناعة هرمونات، أحدها الفوليكولين Folliculine، الذي يؤثر في غدد الثديين، وتكبر حلمتاهما أكثر من حلمتي سامر.

ـ ليلى: وهل يصبح عندي شعر مثلكما؟

ـ نعم تحت الإبطين وبين الفخذين.

ـ تتنهَّد ليلى بارتياح.

ـ لكنك ستنزعجين قليلاً، إذ يُصبح جلدك أكثر خشونة وتظهر حبوب الشباب أحياناً بشكل مزعج، إنما ذلك لا يستمر طوال الحياة، بل لفترة قصيرة.

ـ الأم: وتبقى قضية مزعجة قليلاً أيضاً هي الطمث أو الحيض.

ـ ما هو الطمث؟ صرخت ليلى.

ـ الأم: لا تخافي يا ابنتي، الحيض عبارة عن سيلان دم يحصل بشكل منتظم كل شهر ابتداء من أول المراهقة.

ـ ليلى: هذا هو الطمث إذاً!

ـ الأم: يسيل الدم في المهبل بكل هدوء، نضع قطعة قطن أو قماش لحماية الألبسة، ويستمر الطمث من ثلاثة إلى سبعة أيام، ويأتي كل شهر تقريباً عند المرأة حتى تبلغ سن (٤٥ ـ ٥٠) سنة.

ـ معنا تلميذة كبيرة في الصف لا تلعب معنا في أيام حيضها، لأنها تتألم حتماً، وقد لا تتألم، وربما تتألم من الخوف.

ـ ليلى: إذا كانت الفتاة في حالة الطمث فهل هذا يعني أنها تستطيع إنجاب أطفال؟

ـ الأم: نعم يا عزيزتي، هذا يعني أن الفتاة الصغيرة الآن ستصبح امرأة في المستقبل القريب.

ـ سامر: تفضَّل والدي، وأرنا الصور والرسوم.

ـ الوالد: انظر هذا هو المبيض بكل أجزائه.

فالمبيض يكوِّن بويضة كل ٢٨ يوماً تقريباً، وعندما تظهر البويضة خارج المبيض فهذا يعني أنها أصبحت كاملة وصالحة للتلقيح بعد اجتيازها الممرات اللازمة.

ـ ممر باتجاه واحد؟ سأل سامر متأثراً بمشاكل السير في المدينة.

ـ كلا، أجابت أُمه، بالاتجاهين، فهناك اتصال مع الخارج عبر الرحم.

ـ وما هي الرحم؟ سألت ليلى.

ـ أجابت الوالدة: في الرحم يتكون الطفل وينمو حيث يكون محاطاً بسائل يدعى «البروجسترون = Progestérone»، وهكذا تصبح الرحم كالعش بالنسبة إلى العصافير وكمسكن مريح للجنين.

ـ كيف يتكون الطفل من لقاء البذرتين؟

ـ أجابت الأم: عندما تنضج البويضة تترك المبيض وتذهب لتستقر في قناة كالخرطوم «Trompe» حيث تطفو في سائل قليل وتتنقل فيه بهدوء، في حين أن الحوينات المنوية تتحرك بسرعة وذلك بسبب ذنبها الطويل. ها قد وصلنا إلى لقاء البذرتين، فالحوينات تدخل الرحم من عنقها فيصل منها القليل، فمنها ما يتعب أو يذوب في السوائل المحيطة، فقط النشيطة منها تصل إلى الداخل. وعند وصول أول حوين منوي Spermatozoide إلى البويضة التي تعوم بهدوء في السوائل، يدخل البويضة ويمنع أي حوين آخر من الدخول بعده. . .

ـ فيكوِّنان معاً البيضة التي سيتكون منها الجنين ثم الطفل. . .

الأم: لكن الحياة تعود لتستمر في الرحم فلا تبقى البويضة حيث كانت.

ـ وإذا لم يلتقِ حوين منوي البويضة فماذا يحصل؟ سأل سامر بدهشة.

ـ لا يحدث الحمل، حتماً، أجابت ليلى، ولكن ماذا تفعل البويضة؟

ـ الأم: تنتظر البويضة إلى نهاية مدة الحيض فإذا لم يتم التلقيح فإنها تخرج من الجسم عبر المهبل مع ما جمعته من دماء ومواد تحضيرية لاحتضان البيضة الملقحة، وهذا هو الحيض المعروف وهكذا يحصل.

ـ صاحت ليلى: فالمرأة التي تحمل لا يحدث عندها الطمث؟

ـ حتماً يا عزيزتي فالحبلى مثلي، أجابت الخالة، لا تعود إليها حالة الحيض، لقد فهمت تماماً يا ليلى.

ـ وهل دم الطمث كالدم الذي يسيل من جرح في البدن مثلاً؟

ـ كلّا لا يكون دم الطمث كدم الجرح.

ـ كل شيء إذاً منظم مُتقن، أجابت ليلى.

ـ نعم كل شيء منظم بفضل الغدة النخامية الموجودة في الدماغ، والتي تهتم بتنظيم كل هذه الأمور وتعطي الأوامر لتدفع كل الغدد والأعضاء كي تقوم بوظائفها بشكل متناسق.

ـ وهل هناك خزان من البويضات ـ سأل سامر ـ عند كل امرأة؟

ـ كلا، أجابت الأم، فقد قلنا إنه في كل شهر يهيّىء المبيض بويضة واحدة تسلك الطريق التي ذكرنا، وتتهيأ كل الأعضاء التناسلية لخدمتها وخدمة الجنين الذي سيتكوَّن، وإذا لم يحصل الإخصاب فكل هذه المواد تترك الجسم بوساطة الحيض...

* * *

فرح سامر وشقيقته ليلى كثيراً، حين ناداهما الوالد الذي ذهب وهيأ رحلة إلى شاطىء البحر مع العائلة بكاملها...

في اليوم التالي كانت ليلى أول من وصل إلى الحديقة، وبكل رصانة أخذت تقلِّب كتاب والدها. ثم وصل كل أفراد العائلة معاً إلى الحديقة، فركضت ليلى تسأل أمها بسرعة...

ـ كيف يحدث أن بويضة وحوين يكوِّنان طفلاً؟

هل نسيت قصة الكروموزومات يا عزيزتي؟ تذكري X وY وقد أعطى كل من الوالد والوالدة ٢٣ كروموزوماً تحمل في نويّاتها قسماً من الرجل وقسماً

من المرأة. في حين تنمو البويضة وبفضل هذه الكروموزومات تنمو كل أقسام الجسم عند الطفل معها...

ـ كيف تنمو البويضة؟ وما الذي يجعلها تنمو وتكبر؟ صرخ سامر.

ـ أجاب الوالد: تتكاثر الخلايا بسرعة، فتنقسم أول خلية إلى اثنتين ثم كل واحدة منهما تنقسم إلى اثنتين، فنحصل على أربع ثم على ثمانٍ وهكذا دواليك ومن ثم تظهر الأعضاء المختلفة للجسم.

ـ ليلى: وبعد ثلاثة أشهر ماذا يشبه الجنين؟

ـ يكون قد تكوَّن بخطوطه الرئيسية، متخذاً شكل الطفل مع تحديد جنسه.

ـ في أشهر ستة؟ يكون قد اكتمل تقريباً.

ـ ولكن، تسأل ليلى، كيف يعمل كي لا يختنق مدة تسعة أشهر بدون هواء! أو مع قليل من الهواء يدخل الرحم.

ـ كلا يا عزيزتي، أجابت أمّها، يتنفَّس الجنين ويتغذى بطريقة خاصة. منذ بداية الحمل تنشأ آلية صغيرة «المشيمة le Placenta» وهي كتلة لحم تنمو على جوانب الرحم وتنتهي بحبل يدعى الحبل السرّي يصل الرحم بالطفل.

ـ أين؟ في أي مكان؟

ـ في وسط البطن... وبوساطته تتم تغذية الجنين. عندما ينبض قلب الأم يرسل دفقاً من الدم يحمل الأوكسجين والمواد الغذائية من جسم الأم.

ـ إنه سعيد، هذا الطفل، قالت ليلى، ليس بحاجة إلى أن يتنفس أو أن يأكل، ورغم ذلك فهو يكبر. لكنه غير قادر على تحمُّل تغيرات الحرارة، كما أنه يتأثر بالأحداث التي تطرأ على أمّه.

ـ هذا هو الجنين الذي يتخذ شكل الطفل الذي يتكون تدريجياً.

ـ سأل سامر: وهل تبقى الخلايا بحالة تزايد مستمر؟

ـ الوالد: يتباطأ التكاثر قليلاً كلما كبر الجنين. لكن تكاثر الخلايا يستمر حتى ونحن كبار. فالخلايا القديمة تستبدل بخلايا جديدة تكوِّن الأعضاء. . .

ـ نهض سامر صارخاً: وكيف يتكوَّن التوأم؟

قامت ليلى تساند أخاها: نعم، ولدا جيراننا هاني ونـدى ولدا في اليـوم نفسه.

وأكملت الخالة: فادي ومنير قريبا والدكما ولدا في اليوم نفسه أيضاً.

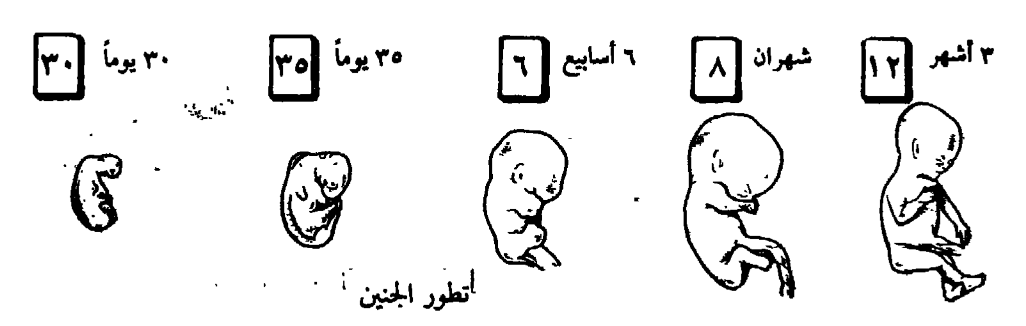
ـأجابت الأم: في حال تكوّنت البويضة وانقسمت إلى شطرين،ينمو جنينان معـاً ويدعى هذا الحمل بالتوأم المثيل أي من الجنس نفسه (حالة فادي ومنـير) بينما حالة هاني وندى فإنه حدث مصادفة أنه كان يوجد بيضتان في الوقت نفسه في مجرى الرحم. وكـل واحدة منهـما استقبلت حوينـاً منويـاً مختلفاً. كـان هنـاك بيضتان مختلفتان، حدث ذلك كـما لو كـان الحمل حصـل في أوقات مختلفـة. مثلكما تماماً لكن حضانتهما كانت في وقت واحد.

ـوكيف تتم تغذيتهما معاً سألت ليلى؟

ـ أجابت الأم: تتكون هناك مشيمتان وكل جنين يتصـل بحبله السُّري الخاص، لذلك يطلق عليهما اسم توأمين مختلفين.

ـ سامر: كيف تستقر البويضة في الرَّحم؟ وهل تختار مكانها مصادفة؟

ـ ليس هناك مكان خـاص، بل إنها تـزرع نفسها في مكـان ما وتتكـاثر خلاياها تدريجياً.



تطور الجنين

ـ سامر: لذا يجب ألاّ تمرض المرأة الحامل لأن ذلك يؤثر في الجنين فيدخل الميكروب جسمه مع الطعام والغذاء والأوكسجين.

ـ بالضبط يا سامر، أجاب الوالد.

ـ نعم أتخذ كل الاحتياطات، يا عزيزي، كي لا ألتقط أي مرض معدٍ. لكنني حزينة لأنني لا أستطيع أن أريكَ طفلي فور ولادته.

ـ لماذا؟

ـ لتجنب أخطار العدوى، لا يحق للأولاد دخول عيادات التوليد، فقد يحملون معهم ميكروبات، والمولود الجديد سريع العطب. . .

ـ اقتربت ليلى من خالتها ووضعت أذنها على بطنها وقالت: إنه يتحرك وهل رأسه إلى فوق أم إلى أسفل.

ـ أفضل الوضع الثاني أجابت الخالة.

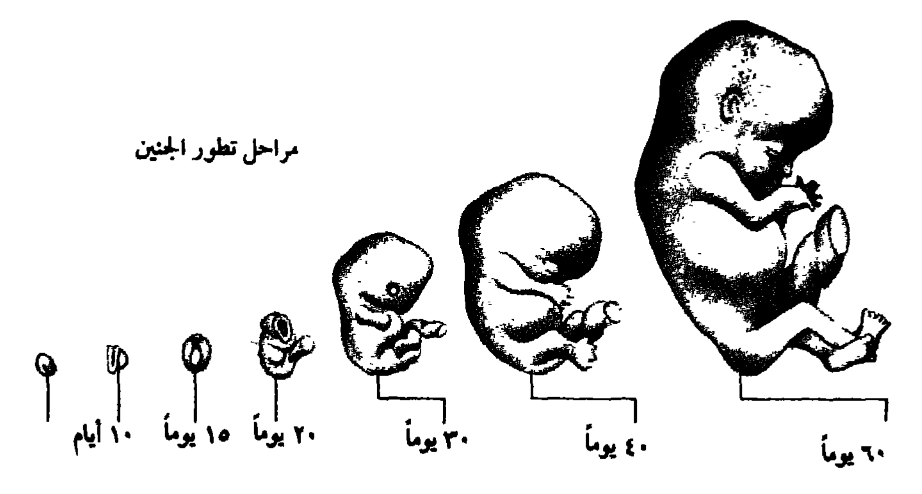
ـ هل ولادة الأطفال شيء بسيط أم صعب؟ سأل سامر الذي كان قد أخذ هدنة في طرح الأسئلة.

ـ إذا كان الجنين جالساً، يقال إنه يتهيأ للمحاصرة، فلا تكون الولادة سهلة، ولكن بشكل عام الولادة فعل طبيعي، واضح، وبسيط. . . قالت الأم.

ـ هل تخافين يا أُمي؟ قالت ليلى بدهشة.

ـ لماذا أخاف، أجابت الوالدة، فأنا أعلم بكل ما يجري ولن أكون وحدي، فزوجي دائماً معي.

هكذا يقرر الطفل الخروج ويخرج بعد مرور ٢٧٠ إلى ٢٨٠ يوماً بعد عملية إخصاب البويضة. يسيل الماء أولاً من المهبل ثم يتسع عنق الرحم تدريجياً فيظهر رأس الطفل أولاً، وبعدها يخرج نهائياً من الرحم ويتقدَّم في المهبل.



ـ هل يزحف؟ بدا سامر مدهوشاً وكذلك أخته ليلى.

ـ كلا يا عزيزيّ، يُدفع نحو الخارج بضغط من أمه، فالرحم مطاطة بشكل غريب لأنها تستطيع أن تتمدَّد كي تسمح بخروج طفل كبير قد يصل وزنه إلى أربعة كيلوغرامات أحياناً، كما أنها قادرة على الانقباض من تلقاء نفسها، لكن مع ضغط التنفس وشد عضلات الأم يتهيأ للولادة بدون ألم تقريباً.

ـ سألت ليلى بصوت هادىء: إذا قلنا ولادة بدون ألم فهل هذا يعني أن هناك ولادة بألم.

ـ الوالد: أنتِ منطقية جداً، معك حق يا عزيزتي، بقيت الولادات تتم بآلام مبرحة حتى زمن ليس ببعيد. فإن تقلصات الرَّحم واتساعها، تؤدي إلى آلام شديدة.

ـ وكيف توصلوا إلى معرفة طرقٍ تساهم في تخفيف الآلام؟

ـ لقد درس الأطباء المسألة، اليوم، مع القابلة يتم شرح كل المراحل وتصبح الأم هادئة لأنها تعلم كل ما سيجري لها.

ـ وكيف تعرف الأم أنها ستلد في هذا اليوم؟ سألت ليلى.

ـ منذ أن تشعر بأول تقلّصات للرحم تـذهب لزيـارة عيادة الـطبيب أو إلى المستشفى، فيفحصها الطبيب أو القابلة كي ترى مـا إذا كان عنق الـرحم قد تمدَّد، أو إذا ظهر رأس الطفل. تزداد قوة التقلصات تدريجياً، وتقترب من بعضها البعض. وعندمـا يقترب رأس الـطفل من الخـارج يلتقطه الـطبيب أو القابلة ليساعد الأم على إخراجه.

ـ وأخيراً يظهر الطفل، (تنهَّد سامر).

نعم هذه هي الولادة الطبيعية، وفي حال كان الـرأس هو الـذي يظهـر أولاً فإن باقي الجسم يخرج بسهولة. ومن ثم يقطع الطبيب حبل السرة الـذي يصل الطفل بأمه.

ـ صاح سامر: ألا يضرّ قطع الحبل هذا؟

ـ الأم: كلا. . . يحتفظ الطفـل بأثـر لهذا الحبـل طوال حيـاته في وسط البطن (الذكرة = Nombril).

ـ وهل يصرخ الطفل كثيراً فور الولادة؟

ـ حتماً يصرخ، ليس من الألم بل ليحاول إدخال أكبر قدر من الهواء إلى صدره الذي لم يكن تعوّد على ذلك وهو في بطن أمه.

إنه يفتح فمه وأنفه ليدخل أكبر كمية ممكنـة من الهواء والأوكسجـين إلى صدره، وفي حال كـان الولـد غير قـادر على التنفس فـإنه يعـطى الأوكسجين الاصطناعي بوساطة الآلات أو يوضع في حاضنـة Couveuse مجهَّزة بـوسائـل التنفس.

ـ سامر: فالطفل المولود حديثاً إذاً يشبه الضفدع وهو وسخ جداً.

ـ الأم: نعم هو وسخ عند الولادة، لذا تقوم الممرضات بتنظيفه بعنـاية بإزالة المـواد اللزجة والمـواد المخاطيـة من أنفه وحنجـرته كي يستـطيع التنفس جداً، بالإضافة إلى تنظيف جسمه، ويجب لفه بالأقمطة لئلا يـبرد ووضعه في سرير خاص به وتدفئته جيداً.

ـ سامر: لقد سمعت أن والدة رفيقي هاني قد أجريت لها عملية قيصرية عند الولادة، فما معنى ذلك؟

ـ تصبح العملية القيصرية ضرورية عندما لا يستطيع الطفل أن يمر عبر المهبل إما لأن عنق الرحم لم يتسع بشكل كاف، أو لأن الطفل أكبر من الحجم الطبيعي، أو لأن حوض المرأة ضيق جداً. تجري العملية بسرعة فيقوم الطبيب باستحداث فتحة في البطن ويصل إلى الرحم ويسحب الطفل.

ـ ولكن بماذا تشعر الأم؟

ـ تكون عند ذلك نائمة فلا تشعر بشيء. وعندما تستيقظ تجد أن ابنها بقربها ينام في سريره.

ـ تنبّهت ليلى قائلة: ولكن كيف يخرج التوأم ومن يخرج أولاً، ألا يضايق أحدهما الآخر؟

ـ يخرج الأول بشكل طبيعي ثم تتقلص عضلات الرحم وتنفتح من جديد ليخرج الطفل الثاني لاحقاً وبسرعة أكثر من الأول.

ـ هل يكون التوأم صغيرين عند ولادتهما؟

ـ نعم ولكن ليس أقل من المعدَّل الأدنى لنضجهما.

ـ وما هي حالة الأطفال الذين يولدون باكراً أي قبل مرور ٢٧٠ ـ ٢٨٠ يوماً؟

ـ يولد طفل السبعة أشهر ويحيا طبيعياً، ويمكن وضعه في هذه الحالة ضمن حاضنة تؤمن له الأجواء المشابهة تماماً لأحشاء الأم. انظر الشكل.

وعندما يصبح قوياً معافىً ويمكننا إعطاؤه مقويات أكثر من كونه موجوداً في أحشاء أمه، يُعاد بعدها إلى أمه.

ليلى: وهل وضعتمونا أنا أو أخي في حاضنة؟

الأم: كلا يا عزيزتي فقد كانت ولادتكما طبيعية ورائعة.

ـ ليلى: وهل أرضعتنا الحليب من ثدييك أم رضعنا الحليب المصنَّع؟

أجابت الأم: لقد أرضعتكما جيداً. وكان عندي الحليب الكافي لذلك، وكنتما ترضعان جيداً. . .

سامر وليلى يتأملان أمهما بدهشة، فلم يكونا على علم مسبق بذلك.

سامر: وهل كل الأمهات يفعلن ذلك؟

الأم: كلا يا عزيزي، فهناك أُمهات لا يستطعنّ أن يؤمنّ الحليب الكافي لأطفالهن، فقد يكون حليبهنّ قليلاً أوشحيحاً أو قد يجف نهائياً، وقد يكون هناك أُمهات لا يزدن ذلك عن قصد. عندها تتم تغذية المولود الجديد بالرِّضاعة وبالحليب المجفف في علب خاصة وهو سهل على الهضم. . .

سامر، يتمتم قائلاً: لكن والدي لم يشرح لنا ماذا تفعلان ليتكون الطفل؟

ليلى تغطس في الماء بعد أن احمرَّ وجهها وتقول: تعني كيف يحب الرجل المرأة؟

سامر: هذا ما أريد معرفته. وقد نظرا معاً إلى الوالد والوالدة.

ـ إنكما جريئان، قال الوالد. لقد رأيتما أشياء كثيرة، انظرا في الرسم المقابل كيف أن الوالدين يلاطفان طفلهما، وقد يقبلان بعضهما البعض. . . ولا بد أنكما تلاحظان أن بيني وبين أمكما أسراراً أكثر. . . إننا ننام في غرفة مستقلة، ولا بد أنكما تسمعان رفاقكما يتحدثون عن «علاقات حب». فهذا التعبير يعني هنا العلاقات الجنسية، واليوم سأُحدثكما عن هذه العلاقات كي لا تبقى. ولادة الأطفال عملاً سحرياً بنظركما. . .

«يخرج مني الرجل من القضيب خلال عملية القذف و. . .».

ـ تكرر ليلى: القذف، القذف؟

ـ الوالد: إنها آلية قوية تساعد الحوين المنوي كي يصل إلى البويضة

بعد أن يدخل الرجل عضوه الجنسي في مهبل المرأة. ولكي يدخل يجب أن يكون في حالة انتصاب، أي قاسياً، صلباً...

سامر: ولكن ما الذي يجعل القضيب في حالة انتصاب؟ فعندما أنهض في الصباح من فراشي يكون القضيب عندي في حالة انتصاب ويكون ليّناً، طريّاً بقية النهار...

الوالد: لا شك أنّك لا تزال إلى حدٍ ما صغيراً، فالانتصاب يحدث عندك ليلاً. إنما يمكنك أن تُثار بوساطة لعبة عنيفة، لعبة رياضية أو أي شعور يجلب لك اللذة. عند الراشد الرغبة تحدث الانتصاب، الرغبة الطبيعية نحو شخص آخر، الرغبة التي تنظر بها إليه وكأنك تريد أن تلتهمه....

الأُم تضحك: قائلة: كم أنت نهم!؟ لكن ذلك ليس خطأ. فهذه الرغبة تشبه النهم تجاه الطعام والحلوى، فأنت عندما تعجبك قطعة حلوى يسيل اللعاب من فمك... هكذا عندما ينشأ الحب بين رجل وامرأة وتتملّكهما الرغبة فقد تدفع بهما إلى الاتحاد الواحد في الآخر، فيتقاربان ويتداخلان ويتحد جسماهما فتحدث بعض التبادلات الفيزيائية التي تحضّر لهذا الاتحاد.

سامر: وما علاقة ذلك بقطعة الحلوى، في السينما عندما يتبادل البطلان الحب لا يكون هناك حلوى!...

الوالد: عفواً يا عزيزي إن والدتك قد أخذت الحلوى مثلاً لتعبر لكما عن الرغبة المشابهة فقط؛ فإذا رغبت أنا في أمك الآن فلا علاقة لذلك بقطعة الحلوى أو أكلها، فأنا أكون مسيَّراً بالحنان الموجود بيننا، ولذا تراني أرغب في ملاطفتها ويستمر ذلك كي نصل إلى الاتحاد ومن ثم تحقيق هذا الاتحاد بلذة تشبه إلى حدٍ ما لذة الراغب في أكل الحلوى.

ـ نعم هذه الرغبة تعتبر جزءاً من الحب، فالرجال والنساء يرغبون بالاتحاد، وليس فقط لإنجاب الأطفال بل للحصول على اللذة...

ـ وعند الحيوانات!..

ـ أجابت الأم: بالنسبة إلى الحيوانات تشبه الرغبة الجنسية رغبة أكل الحلوى، ولكنها لا تبدو مثل الرغبة الجنسية عند الإنسان الذي يرغب في تقاسم الأحاسيس والمشاعر... والحنان... إلخ.

ـ ليلى: والمرأة كيف تشعر بهذه الرغبة؟.

ـ تشعر باللذة القصوى عندما يسيل السائل المنوي في مهبلها، ويكون كل من الرجل والمرأة في حالة هدوء وسعادة، إنها أفضل ساعات الراحة التي يخلدان إليها.

ـ ليلى: ومتى يلتقي الحوين المنوي البويضة؟

ـ بعد بضع ساعات من القذف، وهذا غير ممكن إلاَّ في خلال بضعة أيام من الشهر، لذا إذا أراد الزوجان عدم إنجاب الأطفال فعليهما تفادي العلاقات الجنسية خلال مدة نضج البويضة عند المرأة.

سامر: وماذا يفعل الرجال.. ألا يغضبون؟.

الوالد: كلا، لأن المولود يجب أن يتكون برضى الزوجين.

ليلى: إذا كان الزوجان لا يريدان طفلاً، فهل عليهما الامتناع عن العلاقات الجنسية؟

الأم: كلا؛ تستطيع الأم أن تأخذ حبة كل ليلة، هذه الحبة تمنع تكوين البويضة خلال شهر بكامله، وبذلك يمكنها إقامة علاقات جنسية دون التعرُّض للحمل.

ـ سامر: وإذا لم تتكوَّن البويضة، فهل هذا يعني أن المرأة لا تنجب طفلاً بعد ذلك؟

ـ الوالد: كلا يكفي أن تتوقف في الشهر اللاحق عن تناول الحبوب فتعود إلى حالتها الطبيعية وتصبح حاملاً.

ـ ليلى ـ بعد الالتفات إلى سامر ـ: أليست هذه هي الحبوب التي يقال

عنها إنّها ممنوعة والأديان تحذر استخدامها؟ . . .

ـ الأم: هذا صحيح، يتم التحدث كثيراً عنها في الصحف والمجلات والتلفزيون، وتمنع بعض الديانات استخدامها لأنه لا يجوز وفقاً لتعاليمها حدوث العلاقات الجنسية إلّا من أجل الحفاظ على النوع، أي للحصول على الحمل. وفي ما عدا ذلك فهو خطيئة . . .

ـ ليلى: وهل توافق النساء على ذلك؟

الأم: بعض النساء يستجبن لهذا المنع، كما أنَّ المرأة التي تستخدم الحبوب هذه تشعر أنها منزعجة ومن ثم تقلع عن هذه العادة. كما يفضل البعض احتساب أيام الحمل في خلال الشهر وتحاشي العلاقات الجنسية في أثنائها.

ليلى: وكيف يستطعن ذلك، ومتى تكتمل البويضة؟

ـ مبدئياً يمكن ذلك، فإن الحرارة ـ أي حرار الجسم ـ تتبدل وفقاً لدورة الحيض. . . يكفي أن تقيس المرأة درجة حرارتها كل صباح فتدرك أيام حدوث الحمل الفعلية (طريقة طبيب ياباني أوجينو). لكن هذه الطريقة تنقصها الفعالية العملية . . .

ـ ليلى: ألم يتم اكتشاف وسيلة تمنع الحوينات المنوية من التوجّه نحو البويضة؟

ـ نعم، أجاب والدها، يستطيع الرجل انتشال القضيب عند القذف ليرمي المنيَّ خارجاً، لكن ذلك ليس ممتعاً لا للرجل ولا للمرأة. وقد يضع واقياً عليه، وهو غلاف من الكاوتشوك المطاط الصلب، يمنع قذف الحوينات المنوية داخل المهبل.

سامر: ألم يتم اكتشاف طريقة مماثلة للنساء؟.

ـ نعم، لقد تمَّ صنع حاجب وهو قبعة من الكاوتشوك توضع على مدخل الرحم بحيث لا يستطيع أي حوين منوي من الدخول، عندها لا

تستطيع البويضة أن تلتقي أي حوين منوي.

ـ أضاف الوالد: هناك نساء يستخدمن وسيلة تُدعى Sterilet وهي من البلاستيك يضعها الطبيب في الرحم.

كل هذه الوسائل تدعى «وسائل منع الحمل» وهذا هو هدفها.

ـ ليلى: إذا كانت وسائل منع الحمل موجودة فلماذا قالت خالتي في الأسبوع الماضي «إن ابنها الثالث جاء دون قصد منها ومن زوجها»؟.

الأم: هذا من إهمالها، لكن ذلك لا يشكّل مشكلة لخالتك إذا كان الولد الجديد يكلِّف الكثير، فإذا كانت العائلة فقيرة فذلك يعتبر كارثة بالنسبة إليها. لأن الولد يتطلب تغذية ولباساً وتربية... إلخ...

ـ سامر: كما في الهند، هناك الكثير من الأولاد الذين لا يجدون طعاماً، ولذلك انتشر الفقر والبؤس بينهم.

ـ ليلى: ألا تساعدهم الحكومة؟

ـ في البداية، نُصح النساء باستخدام «مانع الحمل عند النساء»، أما اليوم فإن عمليات التعقيم تجري عند الرجال والنساء معاً.

ـ سامر: أعرف الحليب المعقم، لكن ماذا تقصد بالتعقيم هذا؟

ـ الأب: التعقيم عملية توقف الحمل بشكل نهائي. فعند النساء يكفي أن تربط مدخل القنوات. وبهذه الطريقة لا تستطيع الحوينات المنوية الوصول إلى البويضة.

أما عند الرجال فيمكن تضييق القناة الناقلة، فيحدث القذف كالسابق إنما بدون الحوين المنوي، أي لا يكون موجوداً ضمن السائل المنوي.

ـ ليلى: إن هذه العملية تبقى وتستمر طوال العمر ولا يعود بإمكاننا أن نعيد الحمل ساعة نشاء؟

الأم: إن ذلك صحيح، من غير الممكن العودة إلى الحمل، فالرجال

والنساء الذين يريدون منع الحمل بهذه الطريقة يدركون فعلاً أنهم لا يريدون أطفالاً مطلقاً.

ليلى: عندما أصبح كبيرة سأُفضل استخدام الحبوب على طريقة منع الحمل بشكل نهائي.

الوالد: وعليكما أن تدركا أن هناك ثنائيّاً يكون متشوقاً جداً كي يكون عنده طفل وثنائيّاً آخر لا يرغب في كثرة عدد الأطفال.

الأم: وهناك ثنائي يكوِّن طفلاً ولكنه يموت بسبب عدم الإفرازات الصحيحة، فترمي الرحم الجنين خارجاً خلال بضعة أسابيع.. يُطلق على هذه العملية اسم «الإجهاض».

سامر: ألا تقوم النساء بالإجهاض عمداً؟

الأم: نعم تستطيع كل امرأة ترفض طفلها أن تقوم بعملية إجهاض، ولكن كلما كان ذلك باكراً كلما كان أفضل....

ليلى: آه! ما هذه الحياة! أناس تريد الأطفال وآخرون لا يريدون أو لا يريدون المزيد! كم من المشاكل المعقدة تواجه الإنسان؟

* * *

ذات يوم، بينما ذهب الوالدان إلى السوق، بدأ الولدان باللعب وأخذا يقلّبان صفحات بعض الكتب، وأخذ كل واحد منهما يتقلب من لعبة إلى مجلة إلى صورة... إلخ.

ليلى: (تنظر إلى خالتها الحبلى) أراك متعبة!.

خالتها: أصبح حمل الجنين ثقيلاً علي، أليس كذلك؟

سامر: بأقل من شهر تستطيعين أن تحمليه بين ذراعيك، إنه يتهيأ للقيام برحلة.. هاها...

الخالة: بعد أن تضحك؛ ربما سيبدأ رحلته الآن، يبدو أنه هادىء فالليلة السابقة تحرَّك كثيراً.

ليلى: ألا تخافين من ذلك؟.

الخالة: لماذا الخوف فقد مررت يدي على بطني لأطمئنه أنني أحبه.

ليلى: وهل تحبينه قبل مشاهدته؟

الخالة: ستكون مفاجأة سارة عندما أتمكن من رؤية طفلي ومداعبته بين ذراعي، ومن ثم أطعمه وأُقدم له الدفء والحنان... إنما سيمر عليَّ وقت تتراكم فيها أوساخ كثيرة، مع البرد والضجة والصرخة الأولى...

هو. لا. لا. فما هي ردات فعل المولود الجديد؟

الأم: أنا متأكدة أنه سيضحك للملائكة التي ستحمله إليَّ...

ليلى: في الأسبوع الأول من حياته لا يرى أشياء كثيرة، فقط يتأثر بالضوء، وبما يحيط به.

سامر: يتعرَّف أولاً إلى أُمه ثم إلى أبيه، فهو يتبع الحركة بعينيه. وقد يتعرَّف إلى وجه والده لاحقاً. وكأنه مكتشف جديد في عالم مجهول... إلى ما هنالك من مواصفات الطفل الرضيع..

ليلى: ولماذا يمص الطفل أصبعه وأحياناً أصابعه؟ ثم استغرقت في الأحلام الضائعة.

سامر: وأنت أيضاً لم تتركي حليّاً من مجوهرات أُمك إلاَّ ومصصتها.

ليلى: ماذا تريد أن تقول؟ بغضب! فالطفل في هذا العمر يحوِّل كل شيء إلى فمه... ما على الأطفال سوى الأكل والنوم وفرز الأوساخ من الجسم وذلك كي يكبروا...

سامر: وقد يصبح الشرج مركز اهتمامهم ومصدر لذة عندهم عندما يخرج البراز منه...

ـ كما يريد الأطفال الحصول على استقلاليتهم باكراً ويعارضون الأوامر المفروضة عليهم، ويصرخون كثيراً كي يحصلوا على ما يريدون.

ـ على كل حال، أضاف الوالد، عندما يصرخ الولد كثيراً، ينام بعد ذلك، وغالباً ما يكون مسروراً في نومه، يحلم ويتخيَّل ملذاته. أليس كذلك؟

ـ أتذكر، صرخ سامي، أنني كنت أرغب في الجلوس على الأصيص (الزهرية).

ـ الأم: نعم نتذكر ذلك لأنك كنت تقوم بأول أعمال المعارضة لأوامري. تجلس قليلاً على الأصيص وكان يجب أن تنتهي بسرعة ولكنك كنت تبقى، لتعاندني، وأنا لم أكن قاسية معك لأنني أريد أن تتوازن عواطفك ورغباتك وواجباتك.

ـ ليلى: وهل هذا مهم؟

ـ الأم: نعم يا عزيزيّ فالطفل بحاجة إلى التعرف إلى أعضاء جسمه وبصورة خاصة الأعضاء الجنسية فيلاطفها ويلامسها.... بذلك يتعرَّف إلى جسمه. وإذا منعناه من ذلك فإنه سيصبح شقياً وتعيساً في المستقبل.

الوالد: يبقى أن أحدثكما قليلاً عن طبيب نمساوي يدعى سيجموند فرويد S. Freud. فقد قام باكتشافات غريبة عن طفل الأسابيع الأولى. فقد حدَّد لماذا ترغب المخلوقات البشرية في المعانقة والتقبيل عند الفرح، ذلك لأن الفم كان الجزء الأول من الجسم الذي أحسَّ باللذة، وإذا أراد الرجال ملاطفة وملامسة «أحشاء امرأة» فذلك لأنهم احتفظوا ـ دون معرفة واعية ـ بذكرى عن الأيام الحلوة التي مرت بهم وهم في أحشاء أمهاتهم.

ـ ليلى (بعد أن تملكت الدهشة الطفلين): «ألا نحتفظ إلا بالذكريات الجميلة»؟

ـ الوالد: لا... بالتأكيد، نحتفظ بكل شيء، كالولد الذي تلقى توبيخاً من والديه لدى لمسه أعضائه الجنسية فإنه يحتفظ بهذه الحادثة في ذاكرته، وعندما يصبح كبيراً يخاف من ممارسة بعض التصرفات المتعلقة بالجنس أمام والديه أو أمام الناس... فيشعر بأنه مذنب... هذا الشعور قد يؤدي بحياة البعض نحو التهور والانحراف...

المهم أن تبقى العاطفة بين الأهل والولد، لأن عدم الضرب يدلُّ على أن الوالدين يحبون أولادهم، وكذلك الضرب الخفيف أحياناً فهو برهان على محبة الأهل، ذلك لأنه دليل على اهتمامهم بأولادهم.

* * *

زارت العائلة سيدة يوم الخميس الماضي ومعها طفل صغير، تحدثت مع الوالدة، واقتربت ليلى وحملت الطفل قليلاً ولاطفته. وبعد أن ذهبت السيدة قال سامر متمتماً: «يمكننا القول بأنك تحبين الأطفال يا ليلى؟

ـ ليلى: إنه حسود، لا بل مريض من الغيرة!..

ـ الأم: أتريدان الشجار الآن بسبب الطفل. كلنا بحاجة إلى العطف والحنان. وغمرت ابنها وقبلته.

ـ الوالد: لقد أصبحتما كبيرين ومن العيب أن تتشاجرا من أجل أمور تافهة كهذه. فمن الطبيعي أن يتعلق الطفل بأمه لأنها ترضعه وتقدم له الطعام وتسهر على راحته وتشجعه.

قفزت ليلى إلى والدها وقبلته فقبلها وجلست بقربه قائلة: أغمض عينيك يا أبي! وضحكت. ثم تابعت: أنا لست حسودة وضحكت لأخيها وقامت وقبلته.

الأم: فطالما غضبت يا سامر ودفعت والدك كي لايقترب مني ويلاطفني وأبعدته مراراً.

الوالد: وأنت يا عزيزتي (مشيراً إلى ليلى) كم مرة طلبتِ مني أن أرسل أمك إلى بيتنا في الجبل كي تبقي معي بمفردك؟

ليلى: وهل غضبت مني؟

الوالد: أبداً، بل أفهمتك أننا معاً بحاجة إلى أمك كي تبقى معنا هنا.

الأم: والآن لقد نسيتما كل ما حدث معكما في سنيكما الأولى، ومن

الآن فصاعداً أصبحتما كباراً ويمكنكما أن تقعا في الحب إنما بدون خوف ولا عقد! . . .

وقرُب الظهر فذهب الجميع إلى حوض الماء الخاص بهم في الحديقة. ونزلوا إلى الماء عراة جميعاً. . .

الوالد: هذه هي الفوارق بين الكبار والأولاد ستصبحان ناضجين، وبذلك لم نخبىء عنكما شيئاً.

سامر: وهل يحدث ذلك في كل البلدان؟

الوالد: قد يحدث وقد يحدث العكس تماماً.

ـ الأم: إن حياة النساء قد تطورت مع الزمن. إنما الأهم من ذلك هو تغيير عقلية الناس وأفكارهم عن الحب والجنس. منذ فجر التاريخ كانت الأرض تعتبر إلهة حسنة أو سيئة وفقاً للمواسم التي تقدمها. وكذلك كانت المرأة فهي أرض خصبة إذا أنجبت أولاداً كثراً، وينبذها المجتمع إذا كانت عاقراً. . .

ـ ليلى (صارخة): ليست هي المذنبة إذا لم تنجب أطفالاً، وليست أرضاً إنها إنسان! إنما هل باستطاعتها أن تحيا وتعمل دون أن يكون لها أولاد.

ـ بالتأكيد، أجاب الوالد، وهذه فكرة جديدة. فمنذ قرن تقريباً لم يكن بإمكان الرجال القبول بأن تكون المرأة عالمة أو طبيبة أو. . . .

سامر: ولكن هناك متفوقات في هذا المجال. مثل العالمة المشهورة ماري كوري وطبيبة الأطفال التي كنا نزورها إلى. . .

ليلى: وأنت ماما، هل عانيت كثيراً ولقيت صعوبات في دروسك الجامعية؟.

الأم: كلا يا عزيزتي ولم يكن أحد ليقدِّر عند ولادتي أنني سأكون متفوقة في الرياضيات خصوصاً وأنني فتاة، وقد تمَّ ذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة.

ـ ليلى: أرأيتها، لقد نجحت أمي في شيء صعب لكنه ضروري. . . فقد حافظت على أنوثتها، ومارست مهنة للرجال.

ـ الوالد: إنها تعمل أكثر مني، وتحفظ مكاناً خاصاً للحب واللذة، وبذلك فإن حياتها تعتبر ناجحة في كل جوانبها.

سامر: اللذة، اللذة (وهو يفكِّر)، بابا! الأسبوع الماضي سمعت تلميذاً من الصف الثالث المتوسط يصرخ: «تحيا اللذة المنفردة» ورأيت تلامذة من رفاقه يضحكون من هذا الكلام. هل هناك لذة منفردة؟

الوالد: نعم يا عزيزي وتدعى الاستمناء Masturbation. فقد اكتشف تلميذ صف الثالث المتوسط هذه اللذة المنفردة بدون شريك من الجنس الآخر، ولهذا السبب عرفت باللذة المنفردة.

سامر: وكيف يحصل على ذلك بمفرده؟.

الوالد: بلمس أعضائه الجنسية حتى يشعر باللذة أو الإنعاظ وهذا ما يُعرف بالاستمناء.

ليلى: الاستمناء ممنوع حتماً لأنه يعرِّض صاحبه إلى الأخطار. أليس كذلك؟

الوالد: كلا لا يشكل الاستمناء مرضاً ولا خطراً على الفرد، إنما إذا تعوَّد فرد على هذه العادة فسيصبح من الصعب عليه لاحقاً أن يحب شخصاً آخر وأن يتقاسم اللذة معه، أفهمت!

ليلى: انتبه يا سامر ممنوع عليك تصرفات من هذا النوع مثل تلميذ المتوسط الثالث. عليك أن تلعب وتقرأ الكتب مع والدي وأنا أساعد أمي.

الأم: لقد تحدثنا كثيراً وفهمتما كل شيء. لكنني فكرت مع والدكما بأن. .

الوالد: لقد فكرنا والدتكما وأنا. . .

سامر: بماذا؟

الأم: ما رأيك بابنة عمك نهلا؟.

سامر: أُحبها كثيراً ونستطيع أن نمارس الحب معاً بكل سرور...!

الوالد: آه نعم، ولكن حدثنا عنها قليلاً.

سامر: إنها جميلة جداً، لكنها أكبر مني قليلاً، لقد بلغت السابعة عشرة... لكنني أشعر أحياناً بأنها مريضة وأنني أقوم بمساعدتها والاعتناء بها... أستطيع أن أتكلم معها بدون خجل أو تردد.

الوالد: أنت تخافها.. سأفشو لك سراً، تحدث معها، اجعلها تضحك، حاول أن تكون ثقتك بنفسك قوية... وخلال عشر سنوات على الأكثر سيكون عندك «صديقة طفولة».

الأم: وكذلك سيحصل معك أنتِ يا عزيزتي فتشجَّعي ولا تخافي...

انتهت صفحات الكتاب فطواه سامر وصرخت ليلى «وصلنا إلى النهاية...» بعد عشر سنوات نستطيع أن نتزوج ونمارس الحب ونرزق بنيناً!...

ضحك الجميع..

الوالد: يبقى سؤال واحد: هل التقيتها أحياناً برجال «استعرائيين».

سامر: بمن؟

الوالد: برجال يرغبون في إظهار أعضائهم الجنسية بشكل فاضح وكأنهم يتركون أزرارهم أو معاطفهم مفتوحة.

سامر: نعم رأينا مرة في الحديقة العامة رجلاً متعرياً فخفنا منه وابتعدنا عنه... إنه مريض.

الوالد: كلا ليسوا رجالاً خطرين، فقد أصابتهم مشاكل عندما كانوا صغاراً، لكن أحداً لم يهتم بهم، والآن فهم ينتقمون بذلك، وخوفهم من الرجل هذا جعله يشعر باللذة.

سامر: ألا يأتي ويلمسنا؟.

الوالد: بالطبع كلا، لكن هناك أمراضاً جنسية عديدة ستتعرف إليها في مناسبات لاحقة وبعد أن تكبرا قليلاً، المهم الآن ألّا تتبعا أي شخص يرغبكما في السير وراءه إلى مكان ما ولو كان ذلك بشكل محبب، اصرخا اطلبا النجدة وأنتما في الشارع فكل الناس تساعدكما من أول صرخة...

ليلى: أنا لا أخاف يا أبي وأعدك بأنني سأصرخ بكل قواي عندما ألتقي برجل من هذا النوع.

الوالد: أتمنّى بألا تلتقي بمثل هؤلاء الرجال كي تتجنبي مفاجآت غير سارة. فالحياة الجنسية ليست سراً مخيفاً ولا سحراً، فإذا لم يعرف الإنسان أسرار جسده فكيف نطلب منه أن يكون متوازناً؟ يجب أن نتعلم كيف نحيا داخل جلدنا... من المؤسف أن يبقى الأهل صمّاً وخرساً تجاه أسئلة أولادهم.

ليلى: ليس مثلنا، فقد تعرَّفنا إلى كل شيء بفضلكما، وأنا فخورة بكما.

سامر: لا نخاف من أنفسنا من الآن وصاعداً!...

الأم: المهم ألاّ تخجلا من جسدكما، ولا تخافا من جزاء تدفعانه ثمناً للذات الجنسية، وإنكما تتقبلان الحياة كما هي مع ما قد يتخللها من صعوبات معقدة ومواقف صعبة وعليكما حلها بكل صبر وأناة...

الفصل الخامس

المشكلات الجنسية
معرفتها مسبقاً تسهِّل إمكانية اجتيازها

مقدمة:

إن مشكلات أولاد المدارس الابتدائية والمتوسطة، من النواحي الجنسية، تتعلق بحب الاستطلاع والتعرف إلى كل شيء. من هنا يصح القول القديم بأنه «لا يوجد أطفالٌ معقدون بل يوجد آباء وأمهات معقدون فقط» وهذه المسألة تتوارث مع الزمن وتنتقل العقد الجنسية من جيل إلى آخر. . . فإذا لم تصحَّح الأمور بتربية جنسية سليمة وواضحة فإن الأجيال ستبقى حيّةً في عقدها، كيف لا ونحن على أبواب عصر المرض العضال الذي يهدِّد البشرية جمعاء: إنه مرض السيدا Sida (الإيدز).

أولاً ـ عرض لبعض الآراء في المشكلات الجنسية:

كوّن كتاب «الصبيان والجنس» للدكتور «بوميروي» انطباعاً سيئاً ومخيباً للآمال بسبب الانتشار الواسع للمعلومات والمفاهيم الخاطئة المتعلقة بالأمور الجنسية، وبسبب الكبت والخرافات والمخاوف المتصلة بهذه الأمور، وذلك من خلال مقابلته لأكثر من ٧٠٠٠ طفل وراشد يعانون من بعض المشكلات الجنسية. فالتعبير الذي تواتر على ألسنة معظم هؤلاء هو «لو أُتيح لي فرصة الحصول على المعلومات الكافية المتصلة بالأمور الجنسية، أو لو كانت اتجاهاتي نحو هذه الأمور أكثر انفتاحاً، لما تعرضت في حياتي لهذه الورطة».

ففي حال أفادت المعلمة أو الأم عن وجود مشكلة جنسية عند الطفل، فلن يكون ذلك بعيداً عن أن المعلمة أو الأم تعاني مشكلة في إدارة شؤون هذا الطفل، وكذلك إمكانية التدخل في حل مشاكله. . .

يعترض بعض الوالدين، وينكرون على نحو مطلق، الافتراض القائل بوجود بعض الاهتمامات أو الحياة الجنسية عند الأطفال. قبل فرويد كان المجتمع يرى أن الأولاد يتصفون بالحياد الجنسي، طيلة المراحل السابقة لنضج الغدد الجنسية في أثناء المراهقة. فالواقع أن الأطفال يتمتعون، منذ سن مبكرة، برؤية أجسامهم وأجسام الآخرين عارية أيضاً، كما أنهم يجدون لذة ونوعاً من النشوة، عندما يلمسون أجسامهم وأجسام الآخرين... فالملاعبة الجنسية، والعادة السرية، وأسرار الولادة... هي مظاهر شائعة ومبكرة عند الأطفال، وتشكل جانباً من عملية النمو السوي؛ ونوعاً من حب الاستطلاع المرغوب فيه، والذي يمكّن الطفل من معرفة العالم الذي يعيش فيه، والجنس لا يمكن أن يكون سراً، خصوصاً في عصرنا هذا.

ـ إن حب الاستطلاع الجنسي، والتجارب الجنسية، تأخذ أشكالاً متعددة، وهي تتضمن المظاهر التالية: الميل إلى الجنس الآخر، والجنسية المثالية، والميل إلى ارتداء ملابس الجنس الآخر، والتعري، واختلاس النظر. كل ذلك يتوقف على الاتجاهات الوالدية نحو الجنس وعلى طريقة معالجتهم لمشاكل الأولاد.

وهذا ليس من ذنوب الآباء والأمهات، فقد نشأوا في رعاية جيل يعتبر البحث في الجنس أمراً محرّماً. كما أن هناك بعض الوالدين الذين واجهوا بعض المشكلات الشخصية المتعلقة بالمسائل الجنسية، فالمشكلة الأساسية تكمن في فهم المضمون الجنسي أكثر من الممنوعات والمحرمات...

أما فرويد ومع مطلع القرن العشرين الحالي فقد اعتبر أن عقدة أُوديب هي أساس كل المشاكل؛ فهي مشكلة أحاسيس قوية تكوِّن الحياة العاطفية عند الطفل بين ٣ و٥ سنوات، وهي تعتبر نوعاً من المزيج مركباً من جهة من رغبات حب الولد لأحد والديه من الجنس المعاكس، ومن جهة ثانية من عدوانية حسودة مع رغبة في الموت نحو أحد الوالدين من الجنس نفسه (أي جنس الطفل). تكلّم عن الصبي الذي يريد قتل والده كي يتزوج أُمه (قصة أوديب الملك الذي تزوج أمه بعد أن قتل والده) أو عقدة الفتاة التي تتمنى

اختفاء أمها لتتزوج أباها (عقدة إلكترا) وتكلم أيضاً عن الشكل السلبي أي عندما يحدث العكس فيتعلق الطفل بأحد الوالدين من جنسه ويكره الجنس الآخر.

يقول فرويد: يمر كل الناس (خلال هذا العمر) بهذه العقد مهما كانت حضارتهم التي ينتمون إليها. فهذه العقد تلعب دوراً أساسياً في بناء الحياة العاطفية. فإذا كبتت هذه العقد بدون حل، فهذا يعني أن العقد هبطت في اللاوعي وبذلك تقوم بتغذية كل أنواع الاضطرابات في الشخصية. فكل أمراض الأنا وكل العقد الصغيرة التي تعترض الحياة اليومية كلها تعتبر تشعبات من العقدة الأساسية. لماذا تتعرّض هذه العقدة للكبت أو لعدم الحل المناسب (مشكلة الأحاسيس المتناقضة والحادة ضمن بوتقة الشخصية)؟ من ناحية لأنها رغبة محرّمة ورغبة في الإجرام، تتجاذب فيما بينها، المحظر الاجتماعي في ارتكاب المحرمات Tabou. وعقدة الوقوع في الذنب الاجتماعي من الرغبة في القتل، ومن جهة ثانية لأن تعابيره البريئة الساذجة منذ البداية تحدث ردود فعل عند الأهل، فتولّد الحصر النفسي. هذا الحصر يؤدي إلى طمس العقدة في اللاوعي أو كبتها حوالى السادسة من العمر، مما يؤدي إلى مرحلة الكمون. وعندما تتفتح الغرائز الجنسية في المراهقة، فتعود العقدة للظهور من جديد. فتأخذ مصيرها النهائي لتوجيه الرغبات الجنسية للراشد.

كما استطاع فرويد أن يكتشف عقدة الخصاء فأصبحت مرافقة لعقدة أوديب منذ العام ١٩٠٨. في مجال أوضح، أصبحت عقدة الخصاء مرتبطة بالجذع الناتج عن عقدة الذنب المتولدة من عقدة أوديب. فالخوف من العقاب الناتج عن تحقيق الرغبات المذنبة، يولد عند الصبي استيهام خصائه من قبل الأب (بقطع العضو التناسلي عنده) وعند الفتاة خصيها من قبل الأم (ولقد قطعت لها العضو الذكري الذي توهمت أنه كان عندها مثل أخيها). كل ذلك يجري حسب فرويد في مرحلة الطفولة بين ٣ و٥ سنوات التي تتميز بالاهتمام بالعضو الذكري.

من غير المستطاع إدراك وحدة عقدة الخصاء عند الجنسين إلا على هذا

الأساس المشترك. فهدف الخصاء - العضو الذكري - الذي يوحي بأهمية متساوية عند الفتاة وعند الصبي - فالمسألة المطروحة هي نفسها: الحصول على العضو الذكري أم لا؟ فإن عملية تقبل الفرد لنفسه (ولجنسه) هي أساس تأكيد الذات في المراحل اللاحقة بشكل سوي، تتم بين ٣ و٥ سنوات وهي ترتبط من جهة بالناحية التشريحية بالنسبة إلى الجنس، ومن جهة أخرى بنظام العلاقات العاطفية التي تحصل خلال المرحلة الأوديبية.

هكذا أعطت النظرية الفرويدية هاتين العقدتين (أوديب والخصاء) رؤىً جديدة بالنسبة إلى العالم يونغ Yung. إن عقدة الحياة العادية هي مظهر متطور لهذه المشاكل التي تعتبر محطات في الحياة العاطفية.

من غير الممكن إنهاء العقد الصغيرة إلا بالعودة إلى الطبيب، وهذا بدوره عليه العودة إلى المنابع الأولى التي تبقى هي هي في كل العالم وفي كل العصور. فالمخاوف والأحزان وكل أنواع الهلع... حتى الهستيريا... كلها ليست سوى تحولات من الخوف من الخصاء مرتبطة بالشعور بالذنب الأوديبي، إحدى أشكال النارسيسية، فتصبح التأكيد المشعر للجنس كردة فعل لتهديدات عقدة الخصاء.

قام المحلِّلون النفسيون بعد فرويد، بتركيبات أكثر ذكاء استناداً إلى المفهوم الفرويدي للاوعي وللأنا الأعلى ولميكانيزمات الدفاع عن الأنا ولعقدة أوديب - الخصاء المزدوجة، قاموا بتفسير كل أنواع التصرفات المبتذلة والمتكررة في الحياة العادية وكل أنواع «الانفعالات» و«الارتباطات»...

فالإنسان الثوري هو مخلوق لم يستطع اجتياز عقدة أوديب حسب رأي الفرويديين، وهو يعمل على تحويل عدوانيته (الموجهة أصلاً ضد والده) إلى عدوانية ضد السلطة، كل ذلك بغية اجتياز عقدة خصيه وتأكيد قدراته (بوساطة عضوه الذكري، من هنا ميله الدائم إلى اقتحام شيء ما). فالراهب المتحبس، الذي يعتبر نفسه مخصيّاً تماماً، أقلع عن مجابهة والده واتحد مع أُمه (الكنيسة) وانسحب من أحشاء أُمه نهائياً.

فقد قال يونغ عن فرويد: «لم يتردَّد فرويد عن إنزال عقده الشخصية

على الإنسانية عامة وأهمها عقدة أوديب. . . وهكذا حصل الانفصال بينهما وبشكل نهائي عام ١٩١٣.

ثانياً: أهم المشكلات الجنسية:

سنشير هنا فقط، إضافة إلى ما ورد في المقدمة، إلى: العادة السرية، الملاعبة الجنسية، الهوية الجنسية، وحب الاستطلاع الجنسي.

١ ـ العادة السرية (تعرف بالاستمناء أيضاً): ـ يمارس الأطفال هذه العادة في فترة ما من حياتهم، وهي تسبب قلقاً كبيراً عند الأمهات لا مبرِّر له. فرغم انتشار الأفكار التقليدية حول مضمون العادة السرية ـ أي ملامسة المناطق الجنسية للحصول على اللذة ـ فإنها لا تؤثر أي تأثير سيِّىء في النمو العقلي الجنسي للطفل (سواء في الحاضر أو في المستقبل). إنما قد يسبب قلق الأمهات المتطرف مشكلة عند الطفل لا ضرورة لها، بالإضافة إلى معاناة الأمهات أنفسهن.

أكَّد «نيوسون»(١) في دراسة تناول فيها مجموعة أطفال «نوتنجهام» أن ٣٦٪ من أمهات الأطفال الذين لم تتجاوز أعمارهم السنة الواحدة اعترفن بأن أطفالهن يلعبون بأعضائهم التناسلية، كما أكَّدت الدراسة أنَّ ذلك يحدث عند الصبيان أكثر منه عند البنات. فيدرك الطفل بشكل مبهم لدى تقدمه في السن مشاعر اللذة التي تنتابه عندما تقوم أمه بتحميمه، فيكتشف الصبيان هذا الأمر في سن أكبر من سن البنات، وربما يعود ذلك إلى طبيعة تكوين الأعضاء التناسلية للذكر، وقد تحدث انتصابات متكررة في حال امتلاء المثانة والأمعاء، وتتلاشى هذه الانتصابات مباشرة بعد عملية التبوّل أو تفريغ الأمعاء.

ــــ وقد تزداد عادة لمس الأعضاء التناسلية عند الأطفال خصوصاً قبل النوم، إلا أن الأطفال الذين يلقون رعاية معقولة وتتوافر لديهم بعض الألعاب، لا يركزون بشكل متواتر على هذا المصدر للذَّة. . . أما في مرحلة الرضاعة

---

(١) Newson, J. & Newson, Infant Care in an Urban Community, Penguin Books Harmonds Worth, 1965.

المتأخرة، فلا يؤدي اللعب بالأعضاء التناسلية إلى اللذة فقط، بل قد يؤدي أحياناً إلى نوع من النشوة الجنسية، حتماً بدون عملية قذف.

تقوم المجتمعات الصناعية وذات الأديان التوحيدية، بتربية الأطفال على عدم ممارسة العادة السرية، لكن هذا التدريب ينهار في سن المراهقة، وبصورة خاصة عند الصبيان. وقد دلّت الدراسات على أن ٨٠٪ من الصبيان يمارسون العادة السرية في سن الثالثة عشرة، وقد بيّنت هذه الدراسات أن هناك ردود فعل شديدة عند الأمهات نحو هذا النشاط رغم أن العادة السرية غير مؤذية ولا تعوق النمو الطبيعي أو تسبب الجنون أو العقم أو الضعف الجنسي...

تبدو وظيفة العادة السرّية شبيهة بمص الإبهام قبل النوم، وهي تعني قطع الاتصال بالعالم الخارجي استعداداً للنوم. ويرى معظم علماء النفس بأن المعايير الدقيقة لضبط العادة السرية ـ حتى تلك التي يمارسها الأولاد في أثناء النهار ـ غير مناسبة، وان إعطاء الطفل قدراً معقولاً من الحرية لاكتشاف جسمه أمرٌ مرغوب فيه، ولا يجوز إعطاء العادة السرية أهمية أكثر من الأهمية التي تستحقها فعلاً.

لا يمكننا اعتبار العادة السرية كأي نمط سلوكي آخر ولا تصل إلى حدود المشكلة إلا إذا مورست على نحو متطرف. فالأطفال الذين يعانون من الحرمان وعدم السعادة وسوء التكيف يجدون في ممارسة العادة السرية مصدر عزاء وتعويض. وإن العنصر القسري الذي تنطوي عليه العادة السرية ـ ذلك المصدر الجاهز للإشباع الداخلي ـ يشير إلى نمو اجتماعي وانفعالي غير مناسبين. ويغدو الضغط الوالدي المعتدل، في مثل هذه الحالة، مناسباً ويجب اللجوء إلى استشارة الاختصاصيين إذا لم يكن هذا الضغط ناجعاً. يقول الدكتور هايم جينوت: «يكمن الحل في إحاطة الطفل بالحب، لأن الطفل الذي يتمتع بالحب والاهتمام بالعالم الخارجي، لن يجد في الإشباع الذاتي، طريقته الوحيدة للحصول على الرضا»[١].

---

(١) - Ginott H.: Between parent and Child, Stoples press, London, 1969.

٢ ـ الملاعبة الجنسية: ـ تبدو الملاعبة الجنسية، عند بعض الأطفال على شكل خلع الملابس أو الكشف عن جسم الصديق في أثناء لعبة «الطبيب» أو لعبة «العريس والعروس». غالباً ما تنتشر هذه الظاهرة في رياض الأطفال أي بين سن الرابعة والسادسة.

أظهرت بعض الأبحاث أن الملاعبة الجنسية مع الجنس الآخر ترتفع من ٥٪ في سن الخامسة إلى حوالى ٣٣٪ في سن الثامنة[١]، كما تبيَّن أن ٦٥٪ من الصبيان ينغمسون في هذا النوع من النشاط في سن الثالثة عشرة، وأن معدَّل النشاطات الجنسية عند البنات يقل عن معدل الصبيان لكنه يزداد مع تقدم السن... أما الملاعبة الجنسية بين الأطفال الذين ينتمون إلى نوع واحد فإنها تزداد لدى تقدم الأطفال في السن، ولا تأخذ هذه الملاعبة، غالباً، شكل العبث المتبادل بالأعضاء التناسلية لأفراد الجنس الواحد. وتبلغ نسبة حدوث هذه الظاهرة ٣٠٪ عند الصبيان في سن الثالثة عشرة وبنسبة قريبة عند البنات[٢].

تنتشر هذه العادة بين تلاميذ وتلميذات المدارس الليلية أكثر من انتشارها بين تلاميذ وتلميذات المدارس النهارية؛ إلَّا أنه لا يوجد دليل كاف على هذا النشاط المرحلي، يؤدي إلى جنسية مثلية طويلة الأمد في حياة الراشد.

يمكن القول حول هذا الموضوع، بأن الظروف المحيطة بالطفل، أو غياب وجود فرصة للاتصال مع الجنس الآخر، يؤثر في ظهور هذه النشاطات.

فقد أفاد الراشدون الذين شكلوا العينة لدراسات «كنسي» والتي حاولت استقصاء سلوكهم الجنسي في أثناء طفولتهم، بأنهم نشأوا في جو أقل تسامحاً

---

(١) Ramsey, C.V. The Sexual developpment of boys, American Journal of Pedagogy, 1943.

(٢) Pomeroy. W.B. Boys and sex/ Girls and sex Penguin Books, Harmonds worth 1970/2.

من حيث الأمور الجنسية، عما هو سائد اليوم. فقد كان السلوك الجنسي الذي مارسوه في طفولتهم يستلزم عقاباً قاسياً في تلك الآونة وأن عملية كبت جنسيتهم في مرحلة الطفولة لم تنجح في تحقيق أهدافها على المستوى الشخصي. وقد دلّت هذه الدراسات أن ٥٠٪ من النساء والرجال قد قاموا باتصالات جنسية مع أقرانهم قبل المراهقة، وأن الأثر الوحيد الذي خلفته الجهود الآيلة إلى كبت النشاطات الجنسية هو كتمان هذه النشاطات وممارستها سراً، بحيث يتخللها إحساس بالخجل وشعور باختلاس لذة ممنوعة. كما تبين أن كبت الدافع الجنسي عند البنات في مرحلة الطفولة والمراهقة، يشكل أحد العوامل الأساسية للبرودة الجنسية في حياة الراشدين في المستقبل.

٣ ـ الهوية الجنسية ـ والدور الجنسي: هناك مشكلة تثير القلق عند الوالدين ـ وبصورة خاصة الآباء ـ إنها مشكلة السلوك التخنثي عند الصبي، فيميل إلى ارتداء ملابس الجنس المضاد (أمّه أو أخته الكبرى. . .) أو إذا أظهر تفضيلاً لممارسة نشاط البنات كاللعب بالدمى أو الإخراج المسرحي، أو تصميم الملابس. . . إلخ.

ويكون هذا الانحراف مشابهاً عند البنات، إنما يسمح لهن بالانحراف نحو الدور الجنسي الذكري أكثر مما يسمح للصبيان، فقد ترتدي البنات البنطلون في الوقت الذي نتخيل فيه صبياً يرتدي «الفستان». كما يمكن أن يطلق بعض الأسماء الذكرية على البنات مثل «سمير، وسامي، وهاني. . . إلخ» كما تستطيع البنات الانغماس في بعض الألعاب أو النشاطات الخاصة بالصبيان وقد رأى البحاثة أن الصبيان أكثر وعياً من البنات بالنسبة إلى الدور الجنسي المناسب. فالمسألة الأساسية هنا هي مسألة «الهوية الجنسية للصبي» وهي عملية تطابق الصبي مع الجنس المذكر فهي تثير اهتمام الوالدين كثيراً. كما يثير قلقهم أيضاً احتمال ميل الطفل إلى أفراد من جنسه (الجنسية المثلية) الأمر الذي يثير الابهام والخلط بين «مسألة الهوية الجنسية» و«مسألة الجنسية المثلية»، حيث يسود اعتقاد خاطىء بأن المسألتين أمر واحد.

هنا، تبدو لنا ثلاثة اصطلاحات بحاجة إلى الإيضاح:

أ ـ **الانقلاب الجنسي** ـ ويشير إلى عملية التطابق مع الهوية النفسية للجنس المعاكس والتبني لهذه الهوية. ويرى العلماء أن ذلك يحصل في مرحلة مبكرة من العمر وعلى مستوى لا شعوري، ويقبل به الطفل تدريجياً في مرحلة متأخرة لدى تقدمه في النضج، ويغدو جزءاً مكملاً لمفهوم الذات على مستوى شعوري، بالرغم من إدراكه لانحراف دوره الجنسي.

ب ـ **الجنسية المثلية** ـ وتنطبق على العلاقات الجنسية القائمة بين أفراد ينتمون إلى جنس واحد، ويكمن الانحراف الأساسي هنا في عملية اختيار الشريك الجنسي.

جـ ـ **الارتداء المغاير**: أي الميل إلى ارتداء ملابس الجنس المضاد. ويشير إلى ميل قهري إلى ارتداء ملابس الجنس الآخر، وتتواتر هذه المشكلة في مرحلة الطفولة.

غالباً ما يُفسَّر الاهتمام الجنسي المثلي للفرد بشذوذ بيولوجي ناجم عن هرمونات وكروموزومات غير سوية. فالخبرات الحياتية المبكرة، تلعب دوراً أساسياً في العديد من حالات الميل الجنسي إلى أفراد الجنس ذاته. من المعتقد بأن العلاقات الضعيفة مع الوالدين وبصورة خاصة الوالد الذي ينتمي إلى الجنس نفسه أو البنت مع أمها، تساهم في نشوء «المثلية الجنسية». وهناك آراء تخالف ذلك بالمقارنة العملية.

هناك دليل قوي على أن العلاقات الأسرية المبكرة، تساهم بشكل أو بآخر في ظهور الجنسية المثلية، وبعض الانحرافات الأخرى، أما كيف يتم ذلك؟ فهذا أمر يبقى غامضاً ومن الصعب توضيحه بشكل علمي...

٤ ـ **العوامل المؤثرة في السلوك الجنسي**: ممّا لا شك فيه أن الجنس مفروض على كل فرد، منذ لحظة الإخصاب (التلقيح) حيث يحدد تآلف معين، من الكروموزمات الأبوية، والأمومية، الجنس الوراثي للجنين. ورغم أن الجنس يتحدَّد بيولوجياً منذ بدء الحمل، إلا أن الفروق البسيطة الأولى التي تميز بين الجنسين، لا تتضح قبل مرور عدة أسابيع من الحياة الجنينية.

يمكن معرفة جنس الجنين منذ الأسبوع السادس للحمل عبر فحوصات طبية خاصة.

إن الأنماط السلوكية الجنسية - كالتطابق مع جنس معين والإثارة الجنسية، واختيار الشريك الجنسي، وأسلوب الإشباع الجنسي - معقدة إلى حدٍ بعيد، ويتدخل في تعقيدها العديد من العوامل الوراثية والتشريحية والهرمونية والبيئية والاجتماعية والثقافية. وإن مسألة تحديد أهمية كل من هذه العوامل، وعلاقتها ببعضها، ما زالت موضع جدل ونقاش.

فقد وجهت «مارغريت ميد» ضربة قاضية لجميع المحاولات التي بذلت لتكوين نظريات نفسية متطرفة، تؤكد على الفروق المطلقة بين الرجال والنساء، إذ بينت أن الصفات التي تعتبر «أنثوية» بشكل عام، توجد في بعض المجتمعات عند الرجال والنساء على حد سواء، كما أن الصفات «الذكرية» توجد لدى أفراد الجنسين في بعض المجتمعات الأخرى[١].

كما قامت العالمة النفسية «لورين هات» بمراجعة الدراسات التي تناولت الفروق بين الجنسين وتوصلت إلى النتائج التالية: «إن الرجال أقوى جسدياً من النساء، إلاّ أنهم أقل مرونة، وأكثر طموحاً وميلاً إلى المنافسة من النساء، كما أنهم أكثر ميلاً إلى تفسير العالم بشكل موضوعي من خلال الأفكار والنظريات. أما النساء فيمتلكن أصلاً القدرات الحسية التي تسهل لديهن عملية تبادل الأفكار والعواطف الشخصية وينضجن من الوجهتين النفسية والجسمية بمعدل أسرع من معدل نضوج الذكور. والأنثى أكثر عطفاً وانتماء واتساقاً من الذكر، وتميل إلى تفسير العالم من وجهة نظر شخصية وأخلاقية وجمالية . . .»[٢].

من ناحية أُخرى جرت عدة محاولات لتفسير عملية اكتساب الطفل

---

(١) Mead, M. Sex and temperament in the primitive societies in from the South seas, Morrow, New York 1939.

Hutt c. Males and Females. Penguin Books Harmonds worth 1972.

لنماذج سلوك «النمط الجنسي» وقد أكّدت النظريات عموماً على أهمية دور التقمص في نشوء هذه النماذج السلوكية. وهنا عدة أنواع من التقمص:

أ ـ **التقمّص الاتكالي**: وهو الذي يدفع الطفل إلى إعادة انتهاج أسلوب والديه السلوكي، خوفاً من التهديد بفقدان حب والديه له، إن لم يقم بذلك.

ب ـ **التقمُّص الدفاعي**، ويشير إلى الحالة المسماة بالتطابق مع المعتدي حيث يتبنى الطفل أسلوب والديه الحياتي خوفاً من العقاب، وهو يتفق مع عقدة أوديب.

أخيراً يمكننا القول بأن عملية «التنميط الجنسي» تتم من طريق «التقمُّص» حيث يتعلم الطفل التطابق مع والديه من حيث السلوك، وعلى الرغم من التبسيط الزائد لهذه العملية يبقى التقمص جوهرها.

يحدث تغيُّر ضخم لدى الفرد في مرحلة البلوغ، كما يؤدي نضج الخلايا الجنسية إلى نتائج هامة في هذه المرحلة، والأمر الأكثر أهمية في هذه الفترة، هو بلوغ النمو الانفعالي والاجتماعي مرحلة النضج. فقد جاء عند أحد الكتّاب في وصفه للتوترات الشديدة التي تلازم البلوغ والناتجة عن إيقاظ الدافع الجنسي، بأن البلوغ هو القوة السرية التي تدفع بالرجال والنساء على حد سواء إلى الانهماك بالممارسات الجنسية.

قد تبدأ الاضطرابات عند الولد في أية لحظة بعد سن الحادية عشرة، حيث يغدو الطفل البكر من حيث البلوغ مشغول البال ومهموماً طيلة النهار تقريباً، وتزداد باستمرار صعوبة التنبؤ بسلوكه بالنسبة إلى الوالدين، وقد يبدو أحياناً ودياً أو مهذاراً وفي الأحيان الأخرى منسحباً وكتوماً، وتنتابه مشاعر الحب والكراهية، فيعترف بفضل والديه أحياناً، ويمتعض لدى تدخلهما بشؤونه في أحيان أخرى. فهو مكبل بقوى لا يفهمها بسبب الاضطرابات الناتجة عن التغييرات البيولوجية. فهو مبتهج تارة ومكتئب تارة أخرى، يثق بقدراته في لحظة ثم تغمره مشاعر عدم القدرة في لحظة تالية.

تتميز الاقترابات الأولى من الجنس المضاد بالخشونة والفظاظة وبعض العدوانية، وتتعرض الأم عادة لعدوانية ابنها عندما يريد التعبير عن استقلاله النامي. . . ويشتد هذا العدوان عندما تكون مشاعر الإحباط وعدم الكفاءة التي يعاني منها شديدة، وبعد فترة تصبح مشاعره أكثر رقة ووداعة تجاه أمه وأفراد الجنس الآخر. ولما كان المراهقون عرضة لمثل هذه المشاعر المثالية، لذا يجب عدم إظهار أية سخرية بهم عندما تبدو لديهم جميع الدلائل الانفعالية لغرام المراهقة (الحب السريع الزوال).

أفضل ما يمكن فعله للأهل هو تخليص الفتى من الغموض الذي يكتنفه ليفهم نفسه ويفهم الجنس الآخر، ويرسمون له طريقاً تصله إلى الزواج. . (راجع الفصل السابق).

وفقاً للتربية الجنسية التقليدية السابقة يكون الوالد عادة قد مرَّ بمرحلة مراهقة صعبة أوقعته ربما بمشاكل عديدة. وعندما يكبر الابن توقظ مراهقته ذكريات المراهقة عند الوالد فينظر إلى ابنه المراهق فيجد نفسه أمام المرآة محدقاً في ذاته المهددة فيخشى التورط مع ابنه فيها، ولذلك نشير هنا إلى العودة إلى الفصل السابق لحل هذه المشكلة.

المراهقة هي الفترة المناسبة التي يتعلم فيها الطفل طرق التقرب من أفراد الجنس الآخر، كما يتعلم العديد من أمور الدافع الجنسي، الأمر الذي يشكل جانباً مهماً من هذه المرحلة. دلّت الدراسات على أن ربع الصبيان وثلث البنات تقريباً، يقومون بتحديد موعدهم الأول مع أفراد من الجنس الآخر وذلك في الثالثة عشرة من عمرهم، وتتزايد هذه المواعيد على نحو سريع خلال السنتين التاليتين. فقد بيّن استقصاء جرى في إنكلترا أن ٧٨٪ من المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٧ سنة و٩٢٪ من الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ و١٩ سنة يخرجون مع البنات وأن ٩٣٪ من البنات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و١٧ سنة، و٩٦٪ ممن تتراوح أعمارهنّ بين ١٧ و١٩ سنة يخرجن مع الفتيان، كما أوضحت الدراسة أن البنات أكثر ميلاً إلى الخروج مع الصبيان في مرحلة المراهقة.

تهتم الفتيات في بادىء الأمر بفتيان من أعمارهن، ثم يلتفتن إلى الفتيان الأكبر سناً، بينما يهتم الفتيان بالفتيات الأصغر منهم سناً، ويبحث كل من الفتيان والفتيات عن شريك تتحقق فيه الصفات المرغوب فيها في نظر والديهم، وتنطوي هذه الصفات على سمات شخصية مرغوب فيها كالثقة بالنفس، والميول المحببة والمرح، والسلوك المتوافق مع السن، والأدب من حيث الحديث والعمل والمظهر الشخصي.

ومما لا شك فيه أن اللقاءات بين المراهقين من الجنسين تبقى مصدراً من مصادر عدم الأمن بالنّسبة إلى والديهم الذين يتبدى لديهم قلق حول المشاعر الجنسية المنبعثة حديثاً عند أولادهم والتي قد لا يستطيعون السيطرة عليها.

٥ ـ العلاقات الجنسية قبل الزواج: يثير هذا الموضوع نوعاً من الدهشة فيما لو سلّمنا بالاعتقاد السائد على نحو كبير، والذي يفيد بأن المجتمع الذي يعيش فيه فتياننا وفتياتنا هو من النوع المتسامح جنسياً. فقد قام «ميشال سكوفيلد» بدراسة تناول فيها بحث هذه العلاقات عند ١٨٧٣ مراهقاً فتوصل إلى نتيجة تفيد بعدم وجود درجة كبيرة من التسامح المتوقع. وجد أن ٣٤٪ من الصبيان و١٧٪ من البنات قد مارسوا الجنس فعلاً في الثامنة عشرة من أعمارهم. كما وجد أن الاتصالات الجنسية قبل الخامسة عشرة نادرة جداً. وقد باشر ١٤٪ من الصبيان و٥٪ من البنات هذا الاتصال في سن السادسة عشرة. كما وجد أن الخبرة الجنسية الأولى تحدث عادة مع شريك أكبر سناً سبق له ممارسة هذه الخبرة. أما الخبرة الجنسية الأولى بالنسبة إلى البنات فتكون غالباً مع أحد الراشدين.' يجري الاتصال الجنسي الأول عادة مع صديق، ويتم في منزل أسرة الشريك المبتدىء، دون قصد أو تحفظ، كما أفاد أغلب الذين مارسوا هذه الخبرة، بعدم السرور والمتعة، أما المرجع العام لدى البنات، فهو الخوف والخجل، بينما المرجع السائد لدى الصبيان: هو الإحباط وخيبة الأمل. رغم ذلك فقد تبين أن ٥٤٪ من الصبيان، و٦١٪ من البنات، قد حاولوا ممارسة هذه الخبرة ثانية، خلال الشهر الأول الذي تلا الخبرة

الأولى. وقد أفاد الصبيان بأنهم كانوا مدفوعين بالرغبة الجنسية، بينما كانت الرغبة في الحب هي الدافع عند البنات[1].

هذه الأرقام تعتبر مشكلة، لا يمكن تجاهلها، لذا ينبغي أن يتطلب الأمر اهتماماً وعلاجاً مناسبين لأنه مظهر من مظاهر الامتثال في مرحلة المراهقة.

فقد أفاد تقرير «كنسي»[2] عن الأطفال الأميركيين بما يلي: إن ثلاثة أرباع الصبيان الذين لم يتجاوز تحصيلهم الدراسي الصف الثامن، قاموا باتصالات جنسية، بينما أفاد ربع الصبيان الذين ذهبوا إلى الجامعات بمثل هذه الاتصالات. وقد علّل «كنسي» هذا الاختلاف كما يلي: «يتلقى الصبي الذي ينحدر من مستوى اجتماعي - اقتصادي منخفض، الكثير من المعلومات حول الأمور الجنسية من الذين يكبرونه في السن، ومن الراشدين الذكور. ويتصل جنسياً في عديد من الحالات، مع فتيات أكبر منه سناً، ولديهن خبرة جنسية. وغالباً ما تكون اتصالاته الجنسية كاملة، الأمر الذي ينجح فيه الصبيان المتحدرون من الطبقة الاجتماعية - الاقتصادية العالية».

من ناحية أخرى نجد تفاوتاً في المجتمعات، من حيث الاتجاهات نحو ممارسة الاتصالات الجنسية قبل الزواج. فقد بينت إحدى الدراسات التي تناولت ١٥٨ مجتمعاً، أن ٧٠٪ من هذه المجتمعات تسمح بهذه الاتصالات. وقد أشار «سكوفيلد» إلى عدم وجود دليل على أن العلاقات الجنسية قبل الزواج، يمكن أن تؤدي إلى تقوية أو تشجيع العلاقات الزوجية. بينما أظهر استقصاء آخر[3] أن ٩٠٪ من النساء الأميركيات المتزوجات واللواتي مارسن

---

(١) Schofield M. the Sexual behaviour of Young People Longmans Green, London, 1965.

(٢) Kinsey, A.C Pomeroy. W.B. & Martin C.E. op. cit.

(٣) Bugoss.. Ew & Wallin. P. Engagement and Marriage Lippin Cott, chicago 1953.

الخبرة الجنسية قبل الزواج، قد أفدن بأن هذه الخبرة قد دعمت علاقاتهن الزوجية.

٦ ـ **الحياة الجنسية بعد عمر الخمسين:** عندما يبلغ الرجل الخمسين من عمره تأخذ الغدد الجنسية بالضمور وتشح الإفرازات الجنسية الداخلية، ويفقد الإنسان كثيراً من حيويته ونشاطه الجنسيين، وإذا استمر الرجل في الاسترسال في استنفاد قواه، خانته خصيتاه وربما لم يستجب العضو الذكري لتوسلاته إلا نادراً. . .

والمرأة يترهل فرجها وتذبل نضارتها وتغيب من المهبل تعاريجه وانثناءاته المغرية، ويصعب آنئذ على الزوجين الوصول إلى اللذة العارمة، لكن الأعضاء تعود من وقت إلى آخر ومعها الشهوة الجنسية. وهكذا يشعر الرجال والنساء على السواء لدى اقترابهم من سن الخمسين بأن اندفاعهم الجنسي قد شارف على نهايته وأطلت الشيخوخة عليهم بوجهها الكئيب فينشأ عندهم نوع من الهلع والخوف وربما الإحباط.

من نتائج الأبحاث الطبية، أنه على الرجل استخدام قواه الجنسية بصورة منظمة ومقننة، فلا يفرط في بذلها فيستنفد حيويته وحياته، ولا يمتنع نهائياً عن ممارسة الحياة الجنسية وذلك للحيلولة دون ضمور هذه الأعضاء، فإهمال الخضيتين وعدم استعمالها بتاتاً يساعد على ضمورهما وعلى استعجال الشيخوخة الباكرة، فتقل حيوية الشخص ويتطرق اليأس إلى نفسه ويشعر أنه أصبح على هامش الحياة. كما ينصح الأطباء الشيخ الهرم عدم استثارة قواه بالإكراه، وأن يمارس عمله الجنسي في الصباح الباكر ليستفيد من الانتعاظات الصباحية التي تحصل نتيجة امتلاء المثانة، أما استثارة كوامن الغريزة الجنسية بالمهيجات والأدوية المقوية فإن ذلك يؤدي إلى استعجال الخطى نحو حافة القبر. . .

٧ ـ **سن اليأس Menopause** (عند المرأة): ينقطع الحيض عند ٤٠٪ من النساء بين ٤٦ ـ ٥٠ سنة وعند بعضهن الآخر بين الـ ٤٠ ـ ٤٢ سنة. لكن انقطاع الحيض الباكر يدل على اضطراب في وظائف الغدد التناسلية.

فتصاحب سن اليأس تغيرات وأعراض عديدة، فيتراكم الشحم بشكل طبقات تحت الجلد لتحيط بالوركين والبطن. وتكثر الاضطرابات الدموية كاحمرار الوجه فجأة والإحساس بالهبات الحارة والعرق والدوران أحياناً... هنا ينبغي الانتباه إلى السيلانات الصفراء لأنها قد تكون علامات أولية لسرطان الرحم...

كما يرافق ذلك أعراضٌ نفسية فتشكو السيدة هبوطاً نفسياً مع ميل إلى الحزن واليأس والبكاء، واضطرابات عصبية مترافقة بمحركات تدل على الضجر والتبرُّم وبخفقان القلب... لكن هذه الأعراض سرعان ما تخف شيئاً فشيئاً لتدخل الرجل في واحة من الهدوء بعيداً عن كل العوارض السابقة.

فخير علاج نفسي ملطف لها هو مسايرة زوجها وعطفه عليها كما جاء في آيات القرآن الكريم: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**... صدق الله العظيم.

خاتمة:

تلك هي بعض المشاكل الجنسية الأساسية إذ إن هناك مشاكل عديدة أُخرى يلزمها كتب كاملة لشرحها بالتفصيل كمرض السيدا مثلاً، والمخدرات، والجنس... وغيرها...

الفصل السادس

المعاني الحقيقية للتربية الجنسية

مقدمة:

إن سلوك الفتى حيال الأمور الجنسية، في حال اقترابه من النضج الجنسي، يتوقف على التربية الجنسية التي تلقاها في خلال طفولته، مما يدل على أن التربية الجنسية لا تقتصر على «كشف الحقائق الحياتية والبيولوجية» فقط بل تتضمن الأخلاق الجنسية والواجبات المترتبة على الكائنات البشرية تجاه بعضها البعض كما تتضمن المثل والقيم المتعلقة بهذه الأخلاق كالاحترام والمسؤولية والحب.

فقد وجد معظم العلماء أن التربية الجنسية الحقيقية يجب أن تلجأ أقل ما يمكن إلى الكلام وكما مرَّ معنا في مظهر للإخبار والإعلام الجنسي. فهو يقدِّم وسيلة كافية لترسيخ المفاهيم القيمة الأولى وذلك بإلغاء الأساليب الدنيئة أو الفظة لمعالجة الأمور الحنسية وصولاً إلى الكمال في الحب فيكون نتيجة انعكاس كل ميول الجسد والروح، فإن التعبير اللفظي يرضي المعلم عادة وكأنه يطمئنه على أساس أنه يقدم البرهان الحسي بأنه يتمم مهمته. وهو برهان وهمي لأن ما يُعبَّر عنه بالكلام هو غالباً أكثر فعالية، وما تم رسمه في الوعي لا يسهل اقتلاعه. هذا ما تؤكده الدراسات النفستحليلية.

أولاً: أهداف التربية الجنسية:

بكل بساطة لا يمكننا اعتبار التربية الجنسية إلاَّ تربية للوظيفة الجنسية. يقول الدكتور هيسنار: «عندما يبلغ علم الجنس أشده، يبدو لنا أنه يتضمن تركيباً من ثلاثة عناصر نفسية أو عوامل تطور، هي:

١ ـ قصدية ـ بيولوجية تظهر في الميل للرغبة الجنسية، أي تحليل الشعور بالعمل التناسلي المنسجم مع المجتمع بكل ما له من نتائج مادية.

٢ ـ انتقائية ـ نفسية تظهر بالميل إلى تثبيت الرغبة التي تولّدها الغريزة وذلك وفقاً لاختيار خاص أو ثابت لشخص حقيقي من الجنس الآخر.

٣ ـ فاعلية حركة أو موقف عملي يشعر الفرد بسببها بميل كله شبق للعمل الجنسي، يشجعها اختيار رفيق من الجنس الآخر فيستعد إلى الفعل المناسب.

ويؤكد المؤلف أن هذه العناصر الدينامیكية الثلاثة للغريزة الكاملة لا تندمج بشكل متكامل إلاَّ عند نهاية المراهقة على الأكثر حين يقول: «هي غائية جنسية مقتصرة على لذة جنسية عارمة بذاتها، انتقائية ضعيفة نفسياً وطبيعياً، وموجهة نحو الحرمان من قبل الأم والأهل، استعداد محقق غير تناسلي ومختصر بحد ذاته. تلك هي مميزات الوظيفة الجنسية الطفولية. لكن هذه العناصر الثلاثة، تتعرَّض لأن تصبح فاسدة خلال تطورها...»[1].

فالبحث عن تلبية الحاجة الجنسية الكاملة قد يتحوَّل أحياناً عن الغائية وتحل محله أبحاث شاذة توصَف بالانحرافات. ولهذا السبب استخدم فرويد تعبير «الانحرافات المختلفة بالنسبة إلى الولد الذي لا يستطيع إظهار غايته البيولوجية إلاَّ تحت أشكال غير أكيدة وجزئية».

وقد يتجه هدف الحب نحو شخص حقيقي من الجنس الآخر، أو قد يستقر على مخلوقات حية أو على أشياء خيالية أو لا يستطيع التخلُّص من توجيهه العائلي الأول، أو ربما ينتقل إلى شخص من الجنس نفسه أو أحياناً إلى أفراد ليسوا ناضجين بالنسبة إلى الحب.

وقد يصبح الاستعداد مشلولاً تحت تأثير المحرِّمات الأخلاقية التي تمنع

---

(١) L'education Sexuelle ibid.

تحقيق الهدف. كما أن العجز الجنسي وكل أنواع البرودة الجنسية التي غالباً ما تحصل، يمكن أن تؤثر في كل الحياة النفسية والأخلاقية عند كل فرد.

فإذا اعتبرنا التربية الجنسية تربية للوظيفة الجنسية، يجدر بنا القبول بحمايتها من المخاطر، وبذلك نفرض عليها نظاماً معيناً. لذلك نرى أن علم الجنس البشري لا يقتصر على وظيفته الجنسية فقط، وهل لا نعتبر جنسياً إلا ذلك الجزء من الجسم الذي يتعلق مباشرة بالتناسل؟ وماذا عن المميزات الجنسية الثانوية؟...

إن تعقيد الأمور النفسية لا يتيح إمكانية التحديد بوضوح لأن كل شيء متعلق بتأثير الهرمونات الجنسية. ولا أحد يستطيع نفي الفروقات الموجودة بين السيكولوجيا الذكرية والسيكولوجيا الأنثوية. تحمل الشخصية بكاملها سمة الجنس، ومن هذه الناحية تستطيع التربية الجنسية أن تتحدَّد وفقاً لهدفها النهائي الذي يسعى إلى تكوين رجل أو امرأة قادرين كل منهما على تأدية دوره بشكل جيد.

على هذا المستوى تندمج التربية الجنسية تقريباً بالتربية العامة ويكون الفرق بينهما في الطريقة التي نعالج بها المشكلة. يمكن تحديدها على أنها وسائل تهدف إلى تسهيل الاستخدام الأفضل للقوي التي تعتمد ديناميكيتها على غريزة التناسل، فهي تحافظ على النوع وتساهم في خير الجماعة. فقد جاء في قول لفرويد S. Freud: «يبدو أن علماء الاجتماع متفقون على القول بأن العامل الأساسي الذي يحوِّل غاية القوى الجنسية إلى أهداف جديدة هو عامل تمَّ الاتفاق على تسميته التصعيد، وهو يشكل أحد العوامل الأكثر أهمية في اكتساب الحضارة. ونضيف بسرور إن العامل نفسه يلعب دوراً في النمو الفردي...».

هكذا نرى أن التربية الجنسية لها أهمية بالغة في حياة الفرد، ومن الصعب أن نتكلم عنها بشكل وافٍ، وأن نضع خطوطاً أساسية لتحقيق عملية تكيف للدوافع الغريزية وفقاً لمتطلبات الحياة الفردية والاجتماعية.

ثانياً: تحضير الولد للقدرة على الحب:

يتطلب هذا التحضير مظهراً طبيعياً ومظهراً أخلاقياً. فالمظهر الثاني يُحدث التطور على مرّ الأجيال. مثلاً بعض الأفراد يستمرون بالحب كالمولود الجديد... أما مدرسة التحليل النفسي فقد ميزت بين مرحلتين في هذا المجال: الأولى تتعلق بالنضج الحسي عند الفرد والثانية بالنضج العاطفي، وكأن الجسم آلة موسيقية يجب أن تُدوزن هذه الآلة ومؤخراً يأتي التنفيذ، فالولد الصغير لا يتوق إلاّ إلى إشباع اللذة المركزة حول ذاته مثل كل المخلوقات الضعيفة، ولا يجوز أن تقارنه بالنارسيسية التي تكتفي بحب الذات، فهو بحاجة إلى مساهمة خارجية على الصعيد العاطفي لكنه لا يدري كيف يقوم بذلك؟

المخلوق البشري مخلوق حي يشعر ويتحرك لذا يستخرج لذّته من الحس والحركة: فشهوانيته تتأثر بأول وظيفة حياتية قام بممارستها وهي الوظيفة الهضمية. هكذا نجد أن عند الطفل، منذ مجيئه إلى العالم، تيارين أحدهما يتجه من الخارج إلى الداخل وهو يتلقى الإحساسات، وآخر من الداخل إلى الخارج ويتعلق بموقف ناشط لا يخلو من بعض النشاطات العدوانية. فتتأثر الحياة العاطفية بهذين التيارين كما يتداخلان في تحضير الفرد للقدرة على الحب.

إن اللذة الناتجة عن الرضاعة، وهي توجه كل الحياة العاطفية عند الرضيع، تستلزم نشاطاً دقيقاً ومركزاً، فهناك العديد من الصبيان والبنات يشعرون بهياجهم الجنسي الأول في خلال عمليات قتال أو صراخ حيث يجابهون بعضهم البعض باللعب أو بالغضب.

يحتفظ الحب عند الرجل بطابع أساسي نشيط، وعند المرأة بقابلية التأثر. إلاّ أن الطابعين موجودان في الحالة الطبيعية عند الجنسين إنما بنسب مختلفة. هكذا يحتاج المولود الجديد إلى الحاجات نفسها والتصرفات نفسها، فأطباء الأطفال وصفوه بأنه «جهاز هضمي» وأطباء النفس والأعصاب

يشددون على الترابط المعقد بين التطورات النفسية وإمكانيات التحرك في السنوات الأولى من الحياة... قال أحدهم: «يفكر الإنسان بعضلاته» وبمشاركة قناته الهضمية.

تعود هذه التجارب إلى التربية الجنسية، قبل أن يكون عند الولد أي وعي حقيقي مما يشعر به ومما يفعله، فهي تؤثر فيه وتحضّر مستقبله. كما أن هناك بعض الأحوال السيئة لهذه المظاهر الأولية لحيويته تضرُّ في هذا التحضير للقدرة على الحب. فقبل المعاناة على الطريقة الإنسانية أو على الطريقة الحيوانية يستطيع المعاناة على الطريقة النباتية التي تعاني من نقص المواد الأولة للحياة.

لا يستطيع الطفل أن يعطي دون أن يحصل مسبقاً على شيء، إنما كي يصبح الرضيع قادراً على الحب يجب أن يتلقى من الذين يعتنون به - لا بل من أمه بصورة خاصة - نوعاً من «الشحنة العاطفية» التي تدخله أولاً على طريق الإحساس. وهو لا يستطيع التصرف بها إلا في هذا المجال. من هنا نجد أن ملاطفات الأم ضرورية كي يستطيع الطفل أن يتقبل العالم الخارجي، وبدون ذلك يتعرَّض نموه الذهني العاطفي وحتى الفيزيائي للخطر وأحياناً بطريقة لا يمكن شفاؤه بعدها. فهناك دراسات وأبحاث وأفلام تظهر لنا الهبوط التدريجي للولد المحروم من أمه، حيث يتحول تدريجياً، مكتسباً صفة الأبله. تقول أنَّا فرويد: «إن الولد الذي يشارك أُمه لذاته الفيزيائية يتعلَّم محبة الشيء الخارجي ويتوقف عن محبة ذاته فقط». فالأم أو من يماثلها الشخص المرضع - أو كل من اهتم بالطفل الصغير - هي التي تعطيه أولى أمثولات الحب، فبفضلها يستطيع أن يتحد في الوجود العائلي والاجتماعي، وبفضلها يستطيع أن يحب في المستقبل، وبفضلها يستطيع أن يعيش...» وهذا ما أكده حديثاً الدكتور «بورجينيون» حول الترابط بين طول عمر الأفراد والظروف العاطفية الحسنة التي عاشوها في طفولتهم الأولى.

فقد تبين للسيدة أوبري أن زمرة الأولاد اللقطاء ينهمكون غالباً بالتأرجح في مراكز تجمعهم، فهذا التأرجح يمثل لهم الارتياح الوحيد الذي

استطاعوا تذوقه ـ إنه العشق الذاتي ـ يبدو أن هؤلاء الأطفال يرغبون في الحصول على هدهدة الأم. فاللذة الشهوانية التي يحصل عليها من هذه الممارسة لها بالفعل طابع العادة السرية، لأن هذه اللذة غير كاملة ولأنها معفية من كل صلة مع الآخرين. أضف إلى ذلك، لا ينتظر هؤلاء الأولاد شيئاً من أولئك الذين يقومون بمحاولات لتعويض النقص في الحنان. . .

يتصل دور الأم أساساً، عندما تقوم بتغذية الطفل أو تنظيفه، بالوظائف الهضمية فتدور حولها كل الانفعالية العاطفية الطفولية. يجب أن يُفهم تماماً أن الرضعة بالنسبة إليه هي شيء مختلف عن أية وجبة طعام عادية. وكذلك فإن عملية البراز هي شيء مغاير عن أي تخلُّص آخر من أي شيء مادي.

يقوم كل من هذين الفعلين بتأسيس أولى العلاقات الإيجابية مع الغير. . . فالصلة بين الأم والجنين، رغم كونها جسدية، ليست لا أخلاقية، لكنها تُملي بالعكس قيمة بيولوجية وتلبي حاجة ضرورية. فقد تساءل ستايكل قائلاً: «ما الفرق بين حنان الحبيب وحنان الأم؟ فالاثنان يعانقان ويلاطفان ويضمّان ويدغدغان؟. . .».

الجواب: يكمن الفرق في السجل العاطفي الذي تتردّد عليه أصداء هذه المظاهر. ففي حالة الحب الأمومي، لا يمكن أن يُرى سوى «غذاء للقلب» فهو نوع من الفيتامين الحقيقي للنمو وحيث يؤثر نقصانه في تصاعد طول القامة والوزن والنمو الذهني والاجتماعي وفي الصحة العقلية والجسدية. . . لذا نجد أن الطفل المحروم يتعرض لأكثر من مرض. . . وحتى بعض الأحيان تقع وفيات بسببه. . . وكذلك يجب على الأم أن تعرف كيف تعطي بطريقة مجانية بحتة، لأنها تعطي أحياناً من أجل الطفل وأحياناً من أجل سرورها الخاص. فإذا تصوَّرت أنها تجعل من الولد ملكيتها الخاصة، عندها يتخذ كل حنانها مسلك التهديد الحياتي حيث أن الولد يضطر للدفاع كي لا يقبل بالرزوح تحت هذا النوع من الحنان. هكذا نرى أن القدرة على الحب هذا تتعرَّض للإصابة في صميم نموها الطبيعي.

يحتاج الطفل الصغير، أحياناً، إلى الاحتكاك الجسدي بأمه لأنه يجد بين

ذراعيها مرحلة انتقالية بين الحياة المضمونة والدافئة في الرحم وبين العالم الخارجي المجهول المهدد بالأخطار. لكنه لا يستطيع البقاء طويلاً داخل الرحم أكثر من الحدود التي حددتها الطبيعة دون إحداث ضرر، ولا يمكن إطالة هذا النوع من الاتحاد دون إحداث ضرر خطير، وعليه أن يُصبح مُدركاً لجسمه كأنه شيء مميز عن جسم أُمه، ربما يحدث هنا التباس خطير إذا تصوّرت الأم أنها تريد الاحتفاظ بابنها كجزء منها، إذا ما رفضت العلاقة الثنائية بشكل واع . هنا يقول ستايكل وهو على حق: «إن أكبر أخطاء الحنان المتزايد يكمن في الإثارة المبكرة للإحساسات الجنسية الذاتية». يجب ألاّ يكون النضج الشهواني اصطناعياً لأن أضراراً خطرة نفسية تنتج عن ذلك. فكل إثارة ناشطة يمكنها أن توقف التطور العاطفي عند الولد. . .

ففي المراحل الأولى الفمية أو الشرجية لنموه لا يكون عند الولد تحذير جنسي كامل كما تظهره ممارسات تلك المرضعات الجاهلات اللواتي يهدئن الأولاد الذين بعهدتهنّ بملامسة أعضائهم التناسلية. يلاحظ انتصاب أحياناً عند الولد قبل مرحلة المراهقة، لكن ذلك لا يعني مطلقاً سوء تكوين، وقد ينتج ذلك عن ملاطفات مفرطة أو احتكاك جسدي حميم، فلا داعي للخوف مطلقاً. وقد قال فنيشل بهذا الصدد: «إن مسألة الهياج الحاد عند الولد لم تُحلّ بعد، لا نعلم كيف ينظم فيزيولوجياً الادخار الجنسي قبل المراهقة: قبل أن يُنشأ التفوق الجنسي وبالتالي الجهاز المخصص الملائم، فالإثارة والاكتفاء لا يمكن تحديدهما كما يحصل بعد المراهقة». كما لا يجوز الضغط على الأعضاء التناسلية عند الفتيات لأنه يثير الإحساسات الجنسية حتى قبل المراهقة. ولوقاية الولد بشكل صحيح من العُصاب يجب اتباع نصائح السيدة ماري بونابرت: «يجب تجنب محاولة إثارة المناطق الجنسية عند الولد. يجب الامتناع عن إعطائه أحصنة تأرجح، وألاّ نجعله يقفز على رجله، وألاّ نحمله متباعد الساقين على الظهر وألاّ نؤرجحه بحماسة، وألاّ نرميه في الهواء. وبحجة أقوى ينبغي تجنب كل شكل من أشكال الإغراء خارج أو قرب الأعضاء التناسلية مثل الإغراء الشرجي بالنسبة إلى الأولاد الصغار. يجب عدم إعطاء تحاميل Suppositoires، أو ملينات أو غيره. من الأفضل تجنُّب أخذ الحرارة الشرجية

تجاه هذه التطورات، ما هو دور التربية الجنسية؟ وماذا يفعل المربي أو المرشد لتحضير الناشىء لهذه القدرة على الحب؟

في الإجابة على هذه الأسئلة نقوم بسرد عدة نصائح وتوجيهات أساسية يجب اعتمادها، هي:

١ ـ يجب مساعدة الولد على القبول بانتمائه النفسي للجنس الذي ينتمي إليه فيزيولوجياً، للأهل دور مهم هنا بسبب رغبتهم في جنس الطفل الذي يريدونه.

٢ ـ لا يجوز تفضيل جنس على آخر في البيت كما في المدرسة وكذلك في المجتمع.

٣ ـ على الأهل مساعدة الولد في تنظيم ميول المحبة والعدائية، وذلك بإعطاء إجابات صحيحة لأسئلة الولد. ولا يجوز أن نشجِّع دوافعه العاطفية كثيراً ولا أن نخمدها كثيراً. فالتفاهم الجيد بين الأب والأم يعتبر الشرط الملائم لاجتياز المرحلة الأوديبية بدون عائق ولا مأساة. يجب أن يمثل الأب دائماً الضمانة وتتمثل عناصرها بصلابة أطباعه وثبات خلقه. فلا يجوز أن يظهر حبه لأولاده ببراهين كبيرة من العطف والحنان، فهو الممثل للقيم الاجتماعية، فعندما يدخل الولد إلى المدرسة يكون بحاجة أكثر من أي وقت إلى أبيه الذي يفيده ويساعده في نموه الذهني. وعلى الوالدين وخصوصاً الأب ألاَّ يتصور أن النمو الذهني يكمن كله في النتائج المسجلة في دفتر العلامات المدرسية. ولا يعني ذلك اختلاس دوره الحقيقي في ملاحظة وتشجيع الوعي الفكري عنده.

٤ ـ عند دخول المدرسة يبدأ الولد بالتخلص من العقد العاطفية والعائلية ويدخل مرحلة التوافق الاجتماعي، فتقوى عنده ميكانيزمات الدفاع عن الأنا (وأهمها الكبت، والهروب، . . .). ويبقى هنا دور الأب أكثر فعالية وتبقى المهمة الأساسية مع الأم هي تحضير الفتى للقدرة على الحب على أبواب مرحلة المراهقة، وذلك في مجال بعيد عن الغريزة

الأساسية، فتشجعه على صحبة النشاطات الخارجية، حيث يعمل على إعادة أو استرجاع المراحل الثلاث (فمية ـ شرجية ـ جنسية) عبر دخوله مرحلة المراهقة.

من المعروف أن مدرسة التحليل النفسي قد لاحظت أنه في المراهقة يبدو أن تحركات السنوات الأولى تتكرَّر بشكل مقنع مع تجديد للطابع الجنسي الذاتي الذي حدث في أول الحياة. يتميز هذا التجديد بهذه الحالة الجنسية البدائية أي بهذه الدوافع المتواصلة للميول الآتية من وظيفة التناسل العضوية هنا يتم تكرار موازٍ لمجرى مرحلة الكمون التي تسمح لنا بتفسير بعض الصعوبات المدرسية التي لا تعمل إلا على إنتاج الصعوبات التي نجدها فيما اعتبرناه تربية جنسية أولى عند الولد، وكل هذه الأمور توضح لنا أشكال عدم القابلية الذهنية واضطرابات في الانتباه والذاكرة أو الطريقة التي نتعرَّض لها عادة في المدارس عند الأولاد الأذكياء.

من هنا نجد أنه بإمكاننا متابعة التحضير للقدرة على الحب في المجال المدرسي وبشكل مستقل إلى حدٍ ما عن مشكلة الإخبار الجنسي أو العلاقات الجنسية. وتستطيع المدرسة بتنظيمها وبرامجها وأجوائها الخاصة أن تتابع التربية الجنسية الحقيقية حتى نهاية مرحلة المراهقة وسن الرشد، ليس فقط بتنمية روح المسؤولية عند الناشيء ومراقبة الذات والنمو الاجتماعي، بل بأن نثير اهتمامه وننشِّط همته نحو عالم أفضل يبنى على جميع المستويات ومنها العلاقات الجنسية.

ثالثاً ـ متطلبات الحياة والتكيُّف:

تناولنا حتى الآن المظهر الإيجابي للتربية الجنسية، كما أظهرنا بعض القيود المفروضة على الحياة الغريزية التي تساهم بشكل فعَّال في تركيب عملية التصعيد لإعداد الرجل والمرأة المتكاملين. كل ذلك يساهم في إغناء الشخصية وتكيفها مع متطلباتها الفردية ومع متطلبات المجتمع. إثر عقبات الجنس لاحظ فرويد الأمور التالية: «نشعر، أمام الولد في مجتمع متمدن، أن هذه العقبات

أو على الأقل عدم الإكثار منها. كل هذه الممارسات تعادل عملية اغتصاب...».

فلا يجوز الاستطراد بملاحقة مثل هذه النصائح وتطبيقها، ذلك لأن الأهل يتوصلون إلى وقت لا يتجرأون فيه على لمس الطفل، وهذا يوقعنا أيضاً بالصدمات النفسية. فالنصائح السابقة تؤثر ربما قليلاً في الفتيات أكثر من الفتيان حسب قول لأبراهام: «ما يبقى سليماً هو تجنب محاولة إثارة المناطق الحساسة جنسياً عند الولد»، وبنوع خاص ليس من المستحب أن ينام الأولاد مع أهلهم في السرير نفسه علماً بأن ألبسة النوم لا تكفي لإقامة حاجز معقول بين الجسدين، كما أنه ليس مستحباً أن ينام الولد في غرفة والديه لأنه مع كبره يخلق هذا التساكن موقفاً شاذاً. مع العلم أن الأمهات يجدن الأعذار المتنوعة للاحتفاظ بالأولاد في غرفتهن من أجل تنظيم البيت بشكل أفضل أو... يجب على الأقل إيجاد زاوية للولد وحده بوساطة قطع المفروشات الموجودة في البيت أو إقامة الستائر حتى يبتعد الولد قدر المستطاع عن السرير الزوجي.

وفي المرحلة الشرجية يحث المربون الطفل على النظافة فيكتشف التطابق الممكن بين الألم الآتي من تفريغ الطاقة المؤجلة واللذة الجديدة، لذة العمل بجهازه العضلي، فالإشباع الشهواني الحاصل من الإفرازات (الخروج والبول) لا يكون على مستوى اللذة الفردية بل إشباع القوة المحركة أيضاً، بذلك تقوى إحدى الرغبات الإيثارية الأولية: كالرغبة في إرضاء الأم، وهذا الشعور متمركز حول الأنا، لأن الولد لا يعطي حتى الآن إلاَّ بشكل نفعي لكي يحصل على حنان أكثر، بالحب يمكن أن يصبح نظيفاً أكثر. وبالعكس قد يصل إلى النظافة إنما تظهر عدوانيته بكثرة، إما بوضع البراز خارج الوعاء أحياناً أو باستخدام المفردات البذيئة عندما يكبر، وهذه عادة منتشرة بكثرة.

ومع وعيه التدريجي، يصل الطفل إلى حالة تصبح المنطقة الجنسية من الجسم كمنطقة شبق رئيسية. إلى هذه الحساسية المتزايدة للأعضاء التناسلية يبدو الاتصال الضمني حدسياً مع لذات المستقبل التي تحدثها هذه الأعضاء مع التلاقي مع الحب الخارجي الذي، حتى الآن، لا يلعب إلا دوراً ثانوياً

وغير دقيق على الصعيد الجنسي. فالجنس الحقيقي هو صلة وصل بين الجنسين... هكذا تتصعَّد الميول الشهوانية والمحركة جزئياً، بعد احتكاكها بالواقع، فتتحوَّل إلى ميول عاطفية محبة وإلى ميول عدوانية. إن الحب الجنسي عند الذكور في كل الأنواع الحيوانية، يحرِّك قوة عدوانية ضرورية للحصول على الشيء المحب كما أنها ضرورية لفض البكارة. أما في الحب الأنثوي السوي، فتكون المركبة العدوانية مستترة عادة أكثر، فقد يعود جزء منها ضد الفرد نفسه لكي يضفي على اللذة طابعاً ماسوشيسياً ملائماً للتضحية ووهب الذات فتلطف بذلك قدرة وعدوانية الرجل (هركول أمام أقدام أومفال)...

يُعجب الصبي عادة بأبيه ويلتمس حمايته ويحب وجوده. فلا يعارضه إلا في مجال كونه عقبة تجاه الحنان الأناني الذي يحمله إلى أُمه. كما أن الفتاة لا تنسى ملاطفات الأم الحنونة ولا تتنازل عنها حتى عندما تدخل في منافسة عاطفية مع تلك التي حضنتها بين ذراعيها. وهكذا تدريجياً في خلال مرحلة الكمون والنضج، تندمج الميول العدوانية والمهدمة وتحل مكانها ميولٌ بناءة تسعى للخلق والاكتساب والمنافسة... يعتقد الكثيرون خطأً أنهم يظهرون رجولتهم وشجاعتهم إذا استسلموا لأعصابهم وتوتراتها واعتماد مختلف أنواع الغضب والعنف؛ يقول فرويد: لا يدلُّ الغضب إلاَّ على رؤية خداعة من القدرة. ففي أحسن الظروف تؤدي القدرة على الحب المنبثقة من تيارات مختلفة إلى مفترق حيث أن أول طريق يؤدي إلى الحب الذي يتجه إلى أحد أفراد الجنس الآخر أما الطريق الثاني فإنه يؤدي إلى الصداقة.

هكذا كلما كبر الفتى تهيأ للحكم على نفسه بنفسه أخلاقياً وهذا ما يجعله يشعر ويحس بوجوده، أي أصبح يعي نفسه كفرد. هاهنا يتعلَّم الشعور بالآخرين وهي مرحلة رئيسية من نموه الأخلاقي، خصوصاً إذا تذكرنا قول «لاغاش» عندما يصف المجرم «يصبح غير قادر على الشعور بالآخرين». يبقى عليه أن يعي مرحلة عليه اجتيازها، هي مرحلة حيث يعرف نفسه أنه فريد بين الآخرين، هذه المرحلة الأخيرة تتعلق بالوصول إلى موضوعية حقة لم يتم التوصل إليها فعلاً إلا من قبل كبار الحكماء والعلماء والقديسين.

من مهمة التربية. فعلاً إن هذا التطور المقيَّد بالجسم والمثبَّت بالوراثة يستطيع أحياناً أن ينتج دون أي تدخل. يجب حصر التربية في معرفة آثار ما هو مكوَّن عضوياً سابقاً، وفي التعمُّق بذلك وتهذيبه خلقياً...» ثم يضيف لاحقاً: «رغم أن المربين يهتمون قليلاً بالتربية الجنسية فإنهم يتصرفون وكأنهم يشاركون الرأي حول الإعداد فيما يتعلق بالجنس وبالقوى الأخلاقية المدافعة ويعلمون مسبقاً أن النشاط الجنسي يجعل الولد غير قابل للتربية بالفعل، فيعتبرون كل مظهر من المظاهر الجنسية عند الولد رذيلة، دون أن يستطيعوا فعل شيء مهم ضدها...».

إن النتائج التي يحدثها الجنس من ناحية نمو الفرد لاحقاً لا يمكنها أن تحدث سوى أحاسيس لذة... وهكذا ردود فعل تخلق العقبات النفسية المعروفة في مجتمعنا (كالاشمئزاز والحياء، والأخلاق...) حتى تستطيع المدافعة فعلياً ضد هذه الإحساسات المزعجة... يؤكد فرويد: «أن تحسين الأوضاع الجنسية عند الناشىء يمثل أحد أهداف التربية الذي لا يمكن أن يحققه الفرد إلا ناقصاً وهو غالباً ما يبتعد عنه»... لذا فالجنس يجب أن يتكيف مع متطلبات الحياة الفردية والاجتماعية على حد سواء من ضمن مبدإ الحقيقة ومبدإ اللذة، لكن الناشىء سيكتشف يوماً ما أن اللذة المباشرة يمكن أن تلحق به مضايقات نوعاً ما كبيرة من جراء المقاومة التي تقاومه بها الحقيقة التي لا تسمح بالتكيف سلبياً حسب الرغبة. فالبعض يحاول نفيها والهروب في عالم خيالي؛ لكنه يعود في كل لحظة إلى مواجهة قساوة الأحداث. وفي نهاية المطاف يفضل نفي الحقيقة من أن يتصالح معها. يتعلم الناشىء في حال سيطرت عليه شهوة بحيث جعلته غير قادر على إرجاء إشباع رغبة حادة وغير متهيّىء للتضحية وقتياً بلذة مباشرة مقابل لذة أقل شدة ولكنها أكثر كمالاً وغنىً، بذلك يكون معرضاً للمهاجمة وبدون أي دفاع. عندها يصبح تطوره معرضاً للاصطدام وتكامل شخصيته معرضاً للخطر وتوازنه مختلاً.

ففي حال كان الذكاء وليد المعطيات الحسية والشهوانية، قد يؤدي ذلك إلى اضمحلاله من تدفق الإحساسات المتعجرفة التي تظلم البصيرة وتضيِّع استنتاج الأفعال.

يهدف التدخل التربوي، ليس لإخضاع الناشىء قسراً لهذا الواقع الجامد، بل لتحضيره كي يسيطر على الواقع سيطرة حسنة وذلك بإعطائه وعياً أكيداً ودقيقاً. . . من هنا نرى أن التربية الجنسية تلتزم بفعل يهدف إلى جعل الولد يقبل الأنظمة الاجتماعية. لكنها تصبح عديمة التأثير إذا اهتمت بهذا الفعل الوحيد على المستوى الجنسي. . . المهم كيف يستطيع الفرد تنظيم لذّاته الجنسية بسهولة إذا لم يتم تنظيم لذّاته في المراحل السابقة (فمية ـ شرجية)؟

فإذا كان الفطام أول القيود الاجتماعية المزعجة الذي يؤثر في اللذة الجسدية، والنظافة ثاني القيود الاجتماعية في الحياة، ففي حال نجح الأهل في تطبيقهما وتمّ النمو في جو من الحب، يبلغ نماءه الحقيقي في أحسن شروط. . . وذلك ضمن قانون الشهوات ألم نقل مع «إدوارد بيشون»: «أول سبب يتعلم الولد من أجله الكلام هو رغبته في الكلام. . . وهكذا فالرغبة هي التي تحمل الولد على أي استيعاب تريده». هنا تكمن معاني التربية الحقة.

إن الترويض بالقسر وحده خدّاع، فالولد لا يتعلّم بعمق إلاّ إذا رغب بأن يتعلم، ولا يمكن أن يرغب إلا إذا رأى الحسنات التي يجنيها. وهل يستطيع الفرد أن يصرف النظر كلياً عن نفسه؟ نجد أننا مضطرون دائماً لأن نشعر بحساسيته الأصلية، لكن هذا الحب لا يخفّف شيئاً من قيمة الأفعال المفروضة من قبل مثال أعلى صادق ولكنها تبقى ملوثة باللذة الشخصية التي ترافقها.

على المربي أن يدرك أن الولد لا يقدم تضحيات بلا مقابل، ولا نستطيع أن نقترح على الولد إلاّ بعض التبديلات المتتابعة التي تقوده إلى بلوغ اللذّات والأفراح بغية إيصاله إلى النمو الكامل وتوافقه التام مع الجماعة.

تأتي المرحلة الجنسية بعد الفمية والشرجية فتظهر بتلك الممارسات التي اقترح «كروشه» التعبير عنها باسم «اللذة الذاتية المصغرة Péatillomanie» لتمييزها عن العادة السرية عند الأفراد المراهقين.

مهما كان نوع سلوك الولد تجاه أعضائه الجنسية، فهو يُدرك أن الخطر

لا يكمن في حركته هذه إنما في تدخل الراشد بما يتعلق بهذه الحركة لأنها تجلب الانتباه وتتعرَّض إلى تثبيت ما لم يكن إلا ثانوياً أو على الأقل انتقالياً بشكل عادة قاسية. لا تدخل هنا أية قضية أخلاقية؛ أما إدخال أخلاقية الكبار فإنه يصبح نوعاً من العادات المضرة في حياة الناشىء. يُقاصَص الناشىء عندما يُخطىء ويشعر بتهديد غامض يدور حول جهازه التناسلي. هذا التيقظ الدائم لكل ما له علاقة بذلك البعد، والحرمان، وعدم التحدث عن الجنس... هنا نجد أن للإعلام الجنسي فائدة أكيدة لأنه يخفف من هذه المخاوف...

هنا أيضاً يساهم الأهل في تكوين عقدة الخصاء عندما يهددون الصبي بقطع «حنفيته» إذا استمر في وضع يده عليها وللابنة بقطع يدها... فإذا استطرد الأهل في أقوالهم المزعجة هذه بالقطع أو برمي هذه المعجونة الصغيرة للهرة... تفاقمت عقدة الخصاء وأصبح اليافع شاذاً... ومضطرباً وربما مجرماً في المستقبل... ولا حاجة إلى إعادة المشاكل الناجمة عن التربية السيئة التي يتلقاها اليافع.

كي يكون بإمكان الولد القيام بهذا التنظيم بنفسه مع الدقة الشخصية، يجب أن يشعر بلذة عند القيام بهذه الأعمال. وينحصر مصدر مثل هذه اللذة في الممارسة الحركية، فيحب الأولاد بشكل عام التمارين التي يكتسبون بوساطتها لباقة وضبطاً دقيقاً لعضلاتهم وتوازناً جسدياً شرط ألّا نفرض ذلك فرضاً عليهم. فعندما يحصل اليافع على سيطرة تامة على نفسه، والتي تحصل بالسيطرة أولاً على الجسد، من الأسهل عليه المحافظة على رأيه واضحاً، وتأجيل ملذاته بشكل معقول والقبول بتدرج القيم بعيداً عن كل إشباعات مفرطة.

فدور التربية ينحصر بشكل أساسي بجعله مخلوقاً مفكراً ومستقلاً بذاته. لا ننتظر المحاضرات الأخلاقية كي توصلنا إلى ذلك، بل علينا اتباع منهج مدرسي معين يجعل التلميذ يعي مسؤولياته. فالنصيحة المفضلة هي إدارة الحياة في الصف بشكل حقيقي، واتخاذ قرارات من كل قضية مهمة

للمجموعة المدرسية وإصدار قوانين وأنظمة تحسِّن سير الصف، مع توجيه للسلوك الأخلاقي والنظافة والضبط والترتيب... إلخ.

يؤثر التدريب الاجتماعي الذي يحصل عليه الولد في الحياة المدرسية، في التربية الجنسية. فعادات المجتمع وظروفه وتقاليده تشكل أسساً ضرورية لتكييف الغريزة. يتوجه اليوم الأولاد (بنات وصبيان) إلى التقارب من عمر مبكر وكل الحواجز التي كان المربون يسعون لإقامتها بينهم هي في طريق الزوال. هنا يجب تجنُّب حرب بين الجنسين في هذه المناسبة، بل من الأفضل تحقيق تعايش مشترك هادىء. يجب تشجيع روح التعاون الودي بين الجنسين وذلك على أساس مبدإ التكامل... هنا تشكل التربية الجنسية موضوع انطلاق مهمًا وأساسيًا.

وفي العائلة هناك عدم تجانس بشكل دائم لا من ناحية الجنس ولا من ناحية العمر.. وعلى عاتقها تقع مهمة إيصال الولد إلى حالة النضج العاطفي الذي يساعده على اجتياز مجتمع الراشدين.. لكن هذا النوع من المجتمع يحقق تركيب عدم التجانس العائلي مع التجانس المدرسي.

فعندما يصبح اليافع والداً والفتاة تصبح أماً، عندها تظهر نتائج التربية العائلية الأولى ونتائج عدم كفاية التربية المشتركة، خلال السنوات الأولى من العمر.

تكمن الأهمية في البيت في إمكانية اتخاذ موقف معين. فبقدر ما يستطيع الأهل معرفة لعب دورهم بنجاح كرجل وامرأة بقدر ما يكونون قد توصلوا إلى الزواج الحقيقي. فضمن هذا النطاق فقط يستطيعون مساعدة أولادهم في حل مشاكلهم العاطفية الأساسية والاستفادة قدر الإمكان من التربية المشتركة التي عاشوها.. وتصبح هذه التربية مثالية إذا قامت على تربية كل ولد حسب طبيعته الخاصة وحسب جنسه.

لذا ينبغي على الأهل قبول وتفهم ما يميز الطبيعة الحقيقية لكل جنس حتى يهتموا بها، أجل لأن هناك اندفاعات حية يجب توجيهها ولا يجوز مطلقاً القضاء عليها.

في المدرسة:

بما أن الأهل في البيت يبعدون الصبيان عن البنات دون أن تؤدي هذه الطريقة السكنية إلى أي اعتراض، فإننا نرى أن قسماً كبيراً من الأهالي والمواطنين لا يقبلون بأن يجلس الصبيان والبنات جنباً إلى جنب على مقعد دراسي واحد. لكن هذا الرأي يتجه نحو التغيير تدريجياً وقد تعددت المدارس المختلطة كثيراً رغم كل الاعتراضات.

بينما على مستوى التعليم العالي لم يكن هناك أعداد كافية من البنات ممّا يحظر الاختلاط حكماً. أما في عمر المراهقة فلا يزال الاختلاط خطراً؛ لكن عملية جمع الصبيان والبنات في المراهقة قد أثبتت تأمين الوعي المبكر للمراهقين رغم وجود مخاطر احتكاكات ربما غير مرغوبة. بالفعل تبقى هذه المرحلة تشكل اضطراباً بالنسبة إلى الكبار لأن مرحلة المراهقة ذاتها هي مضطربة، ليس لأنها مزعجة بحد ذاتها بل لأنها المخرج من الطفولة وبداية أزمة الاستقلالية، فالمراهق يصبح مجهولاً من أهله والخوف يكمن دائماً في ما نجهله.

هناك اعتراضات وتساؤلات عديدة حول موضوع التربية الجنسية: هل نحاول في الوسط المدرسي تنمية السمات الخاصة بالجنسين أم محوها؟ هل يجوز تنمية العنصرية عند الجنسين؟ ومفاهيم الأنوثة هل ينتابها نقص ومن المسؤول عن ضياع الرجولة؟ أو الأنوثة؟ ففي مختلف الأحوال يجب الاهتمام بالمعطيات السيكولوجية في بلداننا وفي مجتمعنا. فقد أظهرت عدة معاينات إكلينيكية أن تبديل أدوار الرجولة والأنوثة بين الأب والأم في العائلة يؤدي إلى حالة مرضية عند الأولاد. يدل ذلك على ضرورة التمييز بين أدوار الرجولة والأنوثة من أجل العائلة. لذا ينبغي، في إطار الحياة المدرسية نفسها، البدء بتحضير الصبيان والبنات لدورهم العائلي، ومن المؤسف أنه حتى في الصفوف العالية لا يزال هذا الموضوع غائباً تماماً في البرامج المدرسية. فمن المفيد جداً أن نجعل الصبيان والبنات في سن المراهقة يهتمون بسيكولوجيا الولد ومراحل نموه وأزماته... بذلك يحضّرون دورهم للمستقبل.

من المفضل، في حال لقاء صبي وبنت معاً، الاستفادة من لقاءاتهما بأن يتعرفا على بعضهما ويعيشا بذكاء وبروحية الحياة المشتركة والتقدير والاحترام المتبادلين. ومن المفضل أن يرى كل منهما الآخر ولو كان متبايناً عن رفيقه أو رفيقته، وعليهما ألا يُدركا أنهما متشابهان أو متطابقان، وليس من الضروري معرفة ما عندهما من أشياء مشتركة، وفي حال أن كلًّا منهما لا يعرف الجنس الآخر إلّا بالخيال، تصبح مداركهما وهمية ولا يتمكنان من إقامة أو تأسيس علاقات صحيحة لاحقاً عندما تصبح هذه العلاقات إلزامية.

كما ينبغي من ناحية ثانية محاولة إبعاد كل قلق عن المراهق أو المراهقة وتسهيل مرور كل منهما من مرحلة الطفولة المتأخرة إلى مرحلة الرشد، فبدون تسهيل هذه الأمور تكون المدرسة قد تخلَّت عن مهمتها التعليمية وإعدادها الناشىء من أجل الحياة.

وقد أصبحت التربية المشتركة (المختلطة) ضمن إطار ما يسمى بديهيات التربية الحديثة أو التربية الناشطة، وضمن مثل هذه المؤسسات لا يفصل الراشد عن الولد حاجز مرتفع بل يبقى الاقتراب والتفاهم بينهما معقولاً (صراع الأجيال). ولا يتأثر جو الصف المدرسي بالتلاميذ والمعلم فقط بل يتأثر أيضاً بأهل هؤلاء التلاميذ، هكذا على المدرسة الاقتراب من الأهل. فتربية جنسية مبكرة ومنفذة بشكلٍ جيد في البيت تسهل تدريجياً علاقات الصبيان والبنات في المدرسة وتمنع فساد هذه العلاقات.

يتأثر سلوك الأولاد بالطريقة التي يدرك فيها كل من الأهل والمعلمين قيمة كل جنس، وعلاقات الجنسين بعضهما ببعض، وبشكل عام سلوك الرجل والمرأة في الحياة. لذا فإن للتوازن السيكولوجي عند الأهل والمعلمين أهمية بالغة في مجال التربية المشتركة بين الصبيان والبنات. كما أن لأخلاقيات الأهل والمعلمين دوراً أساسياً في تكوين أخلاقية الأولاد؛ بالعكس، عرضت مشكلة حدثت في إحدى المدارس حيث حدث حب غير نظامي بين معلم ومعلمة وأصبح ذلك شائعاً لدى الجميع، فأدَّى ذلك إلى اضطراب التلاميذ وشاعت الفوضى بين الطلاب خصوصاً الثانويين منهم.

كما أننا نرى، على صعيد آخر، أن استخدام التقنيات التعليمية الناشطة تسهّل عملية التربية المشتركة، وكذلك العمل بفرق يخدم التعليم والمشاركة بين الصبيان والبنات.

تكمن أهمية التربية المشتركة في كونها تهيّىء الصبيان والبنات لكي يتصرفوا وهم على مقاعد المدرسة، بل عليها أن تهيئهم ليسلكوا طريق الحب الحقيقي وتحقيق ذواتهم ليفهم كل منهم الآخر في هذه الحياة. وفي نهاية المطاف يجب أن تحقق التربية الجنسية هذه نضج العواطف والصحة النفسية السليمة، ومن ثم تعزيز اتحاد الأزواج وتحقيق أهداف الجميع في النجاح العائلي الذي ينتج عنه نجاح أولاد المستقبل لهذه العائلات التي يجب تهيئتها وتحضيرها لكي تبني مجتمعاً أفضل.

إذاً فالتربية الجنسية ضرورية قبل عمر المراهقة. ولا تعتقد أنَّ عليها أن تتمركز على الحياة التناسلية كي يصبح لها قيمة بل إنها تختص بالمخلوق بكامله. نستطيع أن نقول عنها بأنها تنتهي بالزواج وقد لا تنتهي لأن هناك مشاكل يجب التنبه إليها في العلاقات الزوجية والاتحاد الزوجي والتناسل، والسعادة عند كل زوج... إلخ، ففعالية التربية الجنسية تؤثر في التوازن العام عند الفرد وفي العائلة وفي المجتمع وكذلك الصحة العقلية والأخلاقية والصحة العامة مؤخراً بعد ظهور مرض السيدا وإمكانية انتشاره بكثرة من طريق العلاقات الجنسية...

الفصل السابع

نحو التخلُّص من مشاكل المراهقة

التعرُّف إلى الأمور الجنسية بأسلوب السؤال والجواب من (١٥ ـ ١٧) سنة

أسئلة عامة

١ ـ كيف يتكوَّن الجنين في أول حياته في بطن أمه؟

يكون على شكل بيضة صغيرة أي خلية كبيرة تشبه كل خلايا الجسم الأخرى، يمكن رؤيتها بالعين المجردة وتبلغ نحو عشر ($\frac{١}{١٠}$) الميلليمتر.

٢ ـ كيف تتكون هذه البويضة؟

تتكون من اتحاد خليتين: الخلية الذكرية Spermatozoïde التي تأتي من الأب، والخلية الأنثوية (بويضة) التي تأتي من الأُم. تكون البويضة خلية كبيرة بينها الخلية الذكرية أصغر بحوالى ٣٠ ـ ٤٠ مرة ولها ذنب طويل يتيح لها إمكانية التحرُّك. كل خلية تكون غنية بالصفات والمميزات الخاصة بكل من الأب والأم وأهلهما.

٣ ـ كيف يكون المولود الجديد صبيّاً أو بنتاً؟ هل يستطيع الطبيب معرفة جنس المولود؟ ومتى؟

يتحدَّد جنس كل منا مصادفة وفقاً لتجمع الكروموزومات ولحظة الإخصاب بالذات (راجع الفصل الرابع).

٤ ـ أين تتكوَّن الخلايا الأنثوية والخلايا الذكرية؟

تتكون هذه الخلايا في الغدد التناسلية. الغدد أعضاء تصنع المواد

الضرورية لعمل الجسم وتفرزها في الدم أو في أعضاء أُخرى، كالكبد مثلاً يفرز بوساطة المرارة عصارته في الأمعاء ويساعد في عملية الهضم. . . بينما الغدد التناسلية تحمل مهمتين، فهي تفرز مواد كيميائية تسير في الدم وتعطي السمات الأساسية للرجولة والأنوثة: إنها الهرمونات الجنسية. من ناحية أُخرى، تصنع الخلايا الجنسية وتدعى عند الرجال: الخصيتين وعند النساء: المبيضين. ويبدأ تكوين هذه الأعضاء في أثناء تطور الجنين في بطن أُمه.

٥ ـ ماذا تدعى الأعضاء التناسلية؟

الأعضاء هي أجزاء من الجسم تقوم بوظيفة معينة ومحددة في حين أن الأعضاء التناسلية تقوم بدورين: العلاقات الجنسية ودور التكاثر للنوع. تقع الأعضاء التناسلية الداخلية في أسفل البطن في تجويف داخلي عظمي يدعى الحوض وراء المبولة وتحت الأمعاء الغليظة. هناك أيضاً أعضاء تناسلية خارجية تقع بين الفخذين، وبفضلها يُعرف الطفل الذكر من الطفل الأنثى، يظهر منها عند الذكر العضو الذكري والخصيتان وعند الأنثى المهبل.

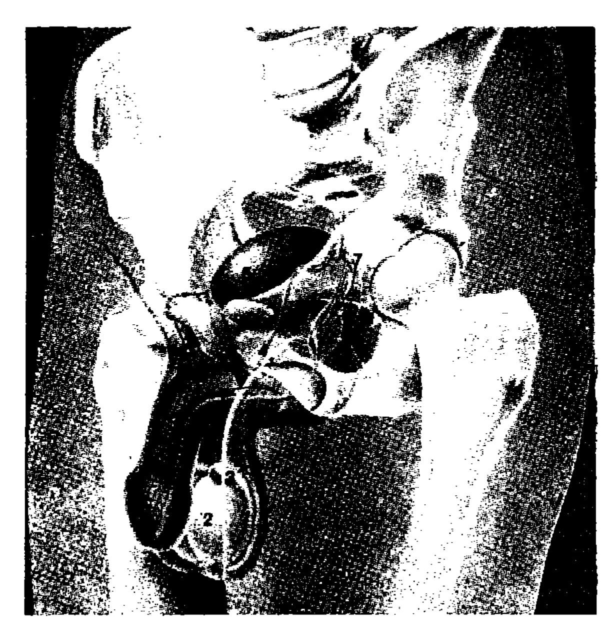
٦ ـ متى وكيف تتكون الخلايا الذكرية والخلايا الأنثوية؟

يختلف تكوين الخلايا الجنسية عند الرجل عنها عند المرأة. تفرز الخصيتان الهرمونات الذكرية، ويصبح بإمكانها تحضير الخلية الذكرية الضرورية للإخصاب حوالى سن الخامسة عشرة. وكل ذلك يحصل تحت تأثير إفرازات غدة موجودة في الدماغ تدعى الغدة النخامية. وهذه الإفرازات تعمل على تحوُّل الطفل والولد إلى رجل. فتكبر أعضاؤه التناسلية وتعرض كتفاه وينبت الشعر في أماكن مختلفة من جسمه، ويصبح صوته أجشّ وتظهر بعض البذور مع إفرازات غدد العرق وغيرها. كل هذه المظاهر تتتابع لتحدد مرحلة المراهقة والانتقال إلى الرجولة، وعندما تنتشر الهرمونات الذكرية في الجسم تبدأ إفرازات الخصيتين وتستمر طوال الحياة (Testerone) ومن ثم يبدأ تكوين الخلايا الذكرية (Spermatozoïdes).

بينما يختلف الوضع عند الجنس الأنثوي. فإنتاج الخلايا الجنسية

(البويضة) عند النساء ليس مستمراً طوال الحياة كما عند الرجل. هناك حوالى ٤٠٠,٠٠٠ خلية أنثوية احتياطاً عند كل امرأة وبشكل تقريبي تبقى حتى عمر المراهقة مخزنة وبحالة ثبات في المبيض (كالحية في فصل الشتاء). وعند العمر ١٣ ـ ١٤ سنة تبدأ حالة النضج بتحويلها إلى بويضات كل ٢٨ يوماً تقريباً. لكن عملية نضج بويضة كل شهر تقريباً لا تستمر حتى نهاية العمر إذ إنها تتوقف عند سن ٤٥ ـ ٥٥ سنة، بعدها لا تستطيع المرأة أن تصبح أماً. وحسابات سريعة تؤكد أن بضع مئات فقط من البويضات من أصل ٤٠٠,٠٠٠ تتحوّل إلى بويضات صالحة للإخصاب. معدل هذه البويضات هو $\frac{١}{١٠٠٠}$ أي من أصل ٤٠٠,٠٠٠ يكون عندنا نحو ٤٠٠ بويضة تصلح للإخصاب طوال عمر كل امرأة، في حين أن الخلايا الـ ٩٩٩ الأُخرى لا تنضج أو تتلاشى في خلال مراحل نضجها.

٧ ـ ما هي أعضاء الرجل التناسلية؟



(١) الإحليل القضيب
(٢) الخصية اليسرى
(٣) البربخ
(٤) الحبل المنوي
(٥) المثانة
(٦) البروستاته
(٧) الحويصلة المنوية

الجهاز التناسلي للرجل يوضح الأعضاء الظاهرة مثل الخصية وقنواتها والإحليل (القضيب) والأعضاء الباطنة مثل البروستاتا والحويصلة المنوية.

٨ ـ كيف يصل السائل المنوي إلى الخارج؟

لكي يصل السائل المنوي إلى الخارج يجب تأمين ظاهرتين أساسيتين هما: الانتصاب والقذف.

٩ ـ ما هو المهبل؟

هو العضو التناسلي الأنثوي الخارجي، يقع في أسفل البطن. أنبوب عضلي مبطّن بغشاء مخاطي وردي اللون متين القوام لا يتجاوز سمكه الأربعة ميليميترات، وهو قابل للامتداد والاتساع يبلغ طوله بين ٧,٥سم و١٠ سم.

١٠ ـ ما الذي يُحدث الانتصاب والقذف؟

يحصل الانتصاب نتيجة عدة إثارات فيزيائية، ونفسية، وحسية تؤثر في مركز رد فعل موجود في النخاع الشوكي، عند ذلك يزداد حجم العضو الجنسي باحتقانه بالدم ويحصل الانتصاب ويصبح قاسياً كي يصير بإمكانه الولوج في التجويف المهبلي للمرأة.

أما القذف فإنه يحصل عند حالة التهيُّج القصوى وهو لاإرادي لكن الإرادة تستطيع تأخيره. يبلغ حجم كمية السائل المنوي من ٢سم^3 إلى ٤سم^3 وكل سم^3 يحتوي من ٥٠ إلى ١٠٠ مليون حوين منوي.

قد يحصل كل من الانتصاب والقذف بشكل لاواعٍ ليلاً. فالملوثات الليلية هذه تحصل بكثرة عند المراهقين وهو أمر طبيعي ولا يجوز الانزعاج منه مطلقاً.

١١ ـ لماذا، ومتى نقوم بعملية «التطهير» أو الختان؟

هناك حالات طبيعية تتطلّب عملية الختان لإظهار الحشفة لأنها تكون غير قادرة على الظهور. كما أن الختان أو عملية التطهير ضرورة من ضروريات النظافة وقد فرضتها حكماً بعض الأديان السماوية: كالإسلام واليهودية...

١٢ ـ ما هو مرض البروستات؟ ولماذا تُجرى هذه العملية؟

تتضخّم غدة البروستات أحياناً عند بعض الأشخاص فيؤثر ذلك في

٢٢ ـ ماذا يعني التهاب الرحم بعد الولادة؟

هـو نوع من التهـابات تحصـل في الـرحم وقـد تنحصر في عنقهـا أو في جوانبها اللزجة، وهنا تكون أكثر خطورة وتتطلّب معالجة قوية.

٢٣ ـ ما معنى التهاب النفير Salpingite؟:

هو نوع من الالتهـابات يحصـل في القنوات وقـد يطال أحيـاناً المبيض، وهو التهاب خطر ويجب معالجته بسرعة.

٢٤ ـ هـل يحصل مـرض أو أي ضرر للمهبل إثـر العـلاقـات الجنسيـة الأولى؟

قد تضرُّ العلاقات الجنسية الأولى المهبل، لكنه يُشفى تلقائياً وبسرعـة، أما إذا أدَّت الميكروبات التي دخلت لأول مرة إلى المهبـل إلى التهابـات فيجب معالجتها بسرعة. ونادراً جداً ما يتعرَّض المهبل للأمراض الـزهريـة كالسلفس ومرض السيلان... كـل هذه الأمـراض التي تنتقل في أثنـاء العلاقـة الجنسية يمكن شفاؤها بسرعة إذا تمت معالجتها فوراً.

٢٥ ـ ما معنى كيسة (دُمّل) المبيض؟

يحصل ذلك عندما يزداد حجم الجراب الهرموني، أو في حـالات أُخرى عندما ينمو كيسة Kyste على حساب ألياف جنينية قريبة من المبيض.

إذا كان بالإمكان شفاء النوع الأول فمن الصعب شفاء النوع الثاني إلا بالاقتطاع.

٢٦ ـ ما معنى الورم الليفي؟

هذا يعني تكاثر الألياف المـوجودة في عضـلاتِ الرَّحم وبـذلك تتضخَّم الرحم كثيراً، فيتضخم الغشـاء المخاطى الـداخلى ويصبـح عرضـة لأن ينزف بكثرة في أثناء الطمث.

٢٧ ـ هل هناك أمراض مخجلة؟ وما هو اسمها الحقيقي؟

الأمراض المخجلة هي الأمراض الزهرية التي تنتقل بسرعة في أثناء العلاقات الجنسية، وقد برز مرض السيدا أخيراً والذي يعتبر المرض الأكثر خجلاً لأنه يفضح صاحبه حكماً ولا يستطيع التهرب منه مطلقاً ولا علاجه أيضاً. أما الأمراض التقليدية المعروفة فهي: السفلس والسيلان والتعقيبة وغيرها...

وفي كل الأحوال لا يجوز أن نخشى هذه الأمراض في حال راجعنا الطبيب فور ظهور أية عوارض.

٢٨ ـ كيف نعرف عوارض مثل هذه الأمراض؟

هناك عدة إشارات تدل على وجود مرض ويجب استشارة الطبيب، مثلاً: جرح على الحشفة أو على نقطة معينة من المهبل، كما يمكن أن تظهر بعض العقد العصعصية في بعض الطيات فتلفت الانتباه... عند ذلك يجب استشارة الطبيب فوراً. وقد تظهر لاحقاً بقع زهرية اللون على كل الجسم (من هنا كان اسمها الأمراض الزهرية).

٢٩ ـ ماذا يحصل إذا لم نستشر طبيباً؟

ينعكس أثر هذه الأمراض على الصحة العامة فيحدث تغييرات فيها. هناك التعقيدات العصبية التي تنتج عن السفلس من جهة وأنواع الروماتيزم التي تحصل عن أمراض السيلان، والسيلان هذا إذا لم يعالج يؤدي إلى فقدان إمكانية الإنجاب عند الرجل والمرأة. إذاً لا يجوز أن نتردد في رؤية الطبيب إثر أية ظاهرة مرضية...

٣٠ ـ إذا استشرنا طبيباً فهل نعلم الأهل بذلك؟

هناك قَسَمٌ مقدَّس في مهنة الطب، فلا يحق للطبيب أن يخبر أحداً، فقط المريض يسمح له بذلك، وكذلك يسمح لنفسه في التحدث عن مرضه أو لا، فالطبيب لا يجوز أن يعلم الأهل، أما الشخص نفسه فهو يرى إذا كان

بإمكانه أو من الضرورة بمكان أن يعلم أهله. عقلانياً يجب إخبار الأهل، لكن إذا كان ذلك يؤدي إلى مشاكل وعدم تفهُّم للوضع فقد يفضل بعض الشبان عدم إخبار أهلهم. وهذا الموضوع يقرره الوضع القائم بين الابن أو الابنة والأهل...

٣١ ـ ماذا يعني كون الخصيتين في غير موضعهما الطبيعي؟ وهل هذا مرض؟

قد يولد بعض الأطفال وتكون الخصيتان داخل الجسم... في حين أنه من المفروض أن تسقطا خارج الجسد عند اقتراب موعد الولادة في الكيس الخارجي المعروف بالصفن الذي يحملهما. ففي بعض الأحيان تفشل إحدى الخصيتين أو كلاهما في النزول إلى الصفن وتبقى داخل الجسم. لا يشكل ذلك حالة مرضية إنما يجب إجراء ما يلزم (لكل حالة علاج) كي تصبح الخصية خارج الجسم، لأن ذلك يساعدها في تكوين الحوينات المنوية السليمة...

٣٢ ـ هل هذه الحالة خطرة أو تؤدي إلى مخاطر معينة إذا لم تعالج لفترة طويلة؟

إن الخصية الموجودة داخل الجسم لا تنتج الحوينات المنوية كما مرّ معنا. ففي حال لم تسقط كلا الخصيتين يصبح الرجل عقيماً لا ينجب. وفي حال سقوط خصية وبقاء الأخرى معلقة داخل الجسد، فإن الخصية الطبيعية تنتج الحوينات ولا يعتبر الرجل عقيماً.

٣٣ ـ ماذا نستطيع أن نفعل للخصية غير الساقطة؟

إن الخصية الواحدة غير الساقطة لا تشكل أمراً خطيراً ولا تحتاج إلى تصحيح وضع، إنما في حالة عدم سقوط كلا الخصيتين، فإن المعالجة بالهرمونات تكون أحياناً ذات أثر فعَّال في إنزالهما إلى موضعهما من الكيس، وفي الحالات القصوى قد يستعان بالعملية الجراحية.

٣٤ ـ ما الذي يجعل مهبل المرأة زلقاً في أثناء المجامعة؟

هناك غدتان صغيرتان في جانبي مدخل المهبل تدعيان: غدتا پاراثـولين تفرزان مادة ملساء تقوم بترطيب وتزييت قناة المهبل عندما تثار المرأة جنسياً. كما أن هناك غدداً أخرى كثيرة تمتد على طول القناة المهبلية لها إفرازاتها المرطّبة. كلها تؤثر في جعل المهبل زلقاً في أثناء المجامعة. . .

٣٥ ـ هل عدم وصول بعض النساء إلى هزة الجماع يعتبر حالة مرضية معينة؟ أم بالإمكان معالجة ذلك والتوصل إلى الحالة الطبيعية؟

في الدراسات الإحصائية التي تجري حول العلاقات الجنسية اعترف عدد كبير جداً من النساء بأنه لم يسبق لهن أن وصلن إلى الذروة في الجماع أو إلى التشنج العنيف، كما يشعر الرجال، وبعضهن لا يعرفن أن مثل هذه الهزة ممكنة.

إن مشاعر النساء ترتفع نحو الذروة بشكل أبطأ مما تفعله مشاعر الرجال. ولكن إذا أمكن إطالة العملية إلى حد كاف، وإذا تمَّ إثارة الزوجات بشكل ماهر، يمكن الوصول بهن عندئذ إلى نقطة الإحساس بالذروة. قد يتطلب الأمر مزيداً من التحكّم من قبل الزوج كي يؤخر حدوث النشوة لديه بوقت كاف. فقد يأخذ الأمر أسابيع، أو أشهراً بل حتى أعواماً مع امرأة متزوجة حديثاً كي يتم دفعها إلى نقطة إحساسها بالذروة. أما في فترة الحمل، فقد يكون من الأفضل ألا تتعرَّض المرأة للتهيج الشديد والإرهاق العصبي اللذين يصاحبان هزة الجماع عند الذروة.

أسئلة حول الطمث

٣٦ ـ متى يبدأ الطمث عادة؟ في أي عمر تقريباً؟

يتغيَّر عمر النضج من فتاة إلى أخرى. فتنضج الفتاة باكراً في البلدان الحارة في حين يتأخر نضجها في البلدان الباردة. بشكل عام يبدأ الحيض بين

عمر ١٢ و١٤ سنة، وقد يتأخر إلى عمر ١٦ سنة أو يأتي باكراً في عمر عشر سنوات، دون أن يكون هناك أي اضطراب في الأعضاء التناسلية.

٣٧ ـ هل النضج الباكر يؤدي إلى سن اليأس باكراً؟

كلا بالعكس، فقد دلَّت الإحصاءات على أن الطمث الباكر يؤخر وقوع عمر اليأس والعكس بالعكس. كل ما يمكن تأكيده هو الطابع العائلي أي العامل الوراثي.

٣٨ ـ هل يؤدي بدء الحيض إلى نمو الصدر؟

نعم وكلا. يعود نمو الصدر إلى هرمونات أنثوية يفرزها المبيض عند المرأة «الأستروجين». فقد يبدأ الصدر بالنمو قبل بدء الطمث، وكل هذه العوامل مع ظهور الشعر في مناطق معينة من الجسم تعمل على تحويل الفتاة إلى صبية ومن ثم إلى امرأة.

٣٩ ـ هل نستطيع معرفة طولنا مسبقاً؟

نعم، يمكننا معرفة ذلك بدقة بالبحث عن عمر العظام في الراديوغرافيا (خصوصاً عظمة الكوع) أو عظمة إصبع الإبهام والتي تظهر حوالى عمر ١٣ سنة.

٤٠ ـ لماذا تظهر نقاط سوداء على البشرة؟ وحبّ الشباب؟

تتبدَّل حالة الجلد تحت تأثير الهرمونات الجنسية: تفرز الغدد الجلدية مادة حافظة للجلد فتكوِّن أحياناً معها حبوب الشباب التي تزعج الكثيرين وكذلك النقاط السوداء التي تسد مسام هذه الغدد.

٤١ ـ ما الذي يطلق الطمث الأول؟

يأتي الطمث الأول بعد المرور بميكانيزمات معقدة «الدورة الشهرية» ويكون ذلك عندما يبدأ المبيض بصنع هرمونات بنسبة عالية «كل ذلك يتم تحت تنظيم آتٍ من الغدة النخامية التي تتلقى أوامر من الجهاز العصبي الذي

يتأثر بفرز الهرمونات من المبيض». أضف إلى ذلك إفراز مواد كيميائية في بعض الغدد الصماء وهذه المواد تجري في الدم بشكل مباشر.

٤٢ ـ هل يحصل الحيض كل شهر بشكل منتظم؟ وكيف؟

مبدئياً، يحصل الحيض بشكل دوري كل ٢٨ يوماً.

لنر أولاً ماذا يحصل على مستوى المبيض وخلال الدورة الشهرية. بعد ظهور الحيض، تبدأ دورة جديدة حيث يبدأ جريب follicule بالنمو على سطح المبيض؛ ويكبر تدريجياً تحت تأثير هرمونات الغدة النخامية. يمكننا رؤيته بالعين المجردة إذ يصل حجمه إلى حجم حبة الحُمُّص. عند بلوغه ينفجر مقدماً البويضة التي كانت في داخله وهي خلية أنثوية لا تُرى بالعين المجردة فتنطلق باحثة عن الخلية الذكرية (الحوين المنوي). وفي حال بلغها حوين منوي يحصل الإخصاب كما مرَّ معنا سابقاً. وإذا لم يتم إخصاب البويضة، تختفي، لكن الجريب المفتوح، تحت تأثير الهرمون النخامي الثاني الذي يعرف باسم .L.H يتحول إلى جسم أصفر (حسب لونه).

في غياب الإخصاب يتوقف الـ .L.H ويختنق الجسم الأصفر ويضعف الجزء السطحي من الرحم فيحصل انفجار دموي يؤدي إلى حدوث الطمث. كل هذه العوامل تحصل ضمن أربعة أسابيع.

٤٣ ـ هل يتم فرز النخامة (Glaire) الدماغية إبَّان العلاقات الجنسية فقط؟

مطلقاً، تؤثر الهرمونات المبيضية في غدد مختلفة. كما تتحوَّل أوضاع المهبل والعنق تحت تأثير الهرمون المبيضي La folliculine. أما النخامة الدماغية فإنها تزداد تدريجياً في القنوات الجانبية من الدماغ إلى أن يبلغ الهرمون المبيضي حدَّه الأقصى، عند ذلك تدركها المرأة. وعندما تحصل عملية استقرار البويضة (أي بعد إخصابها) يقفل عنق الرحم وتضمحل النخامة الدماغية. فالنخامة الدماغية تساعد الحوينات المنوية على الصعود نحو البويضة لأن الأهم في الموضوع هو حصول الإخصاب. لا يجوز المزج بين

النخامة التي يفرزها عنق الرحم مع سائل التطهير الذي يفرزه المهبل، لأن فرز هذا الأخير يحصل عند حدوث اللذة الجنسية أي عند القيام بالعلاقة الجنسية.

٤٤ ـ لماذا هناك دورة شهرية أقصر من المعدل ودورة أطول من المعدل؟

قد نجد كثيراً من الاضطرابات في الدورة الشهرية. فالجزء الثاني من الدورة لا يتجاوز ١٣ يوماً إلا في حالة الحمل، في حين أن المرحلة الأولى من الحيض تتغيَّر كثيراً، فهي التي تطول في حال بلغت الدورة الشهرية أكثر من ٢٨ يوماً.

تستطيع المرأة فقط بوساطة أخذ درجة الحرارة يومياً، أن تحدِّد مدة كل مرحلة على التوالي. بالفعل فإن حرارة المرأة تبقى أقل من ٣٧ درجة مئوية خلال المرحلة الأولى من الحيض وتصبح أكثر من ٣٧ درجة مئوية تحت تأثير البروجسترون progesterone في المرحلة الثانية من الحيض.

٤٥ ـ هل يمكن للفتاة التي تبدأ دورتها الشهرية أن تصبح أماً فوراً؟

من المعروف عادة أنه منذ بدء الحيض الأول ولغاية سنتين تبدأ الفتاة بتحقيق قدرتها على أن تصبح أُمّاً أي بين بداية الحيض ومدة سنتين على الأكثر. فالإخصاب لا يحصل إلا بعد أن يحصل حضن للبيضة، أي عند الحصول على البويضات يمكن البحث عن الإخصاب. وقد يحصل من أول حيض إذا كان هناك بويضة.

٤٦ ـ كم تطول مدة إنتاج البويضات؟

خلافاً للرجل، الذي يعطي كل قذف ما متوسطه ٣٥٠ مليون حوين منوي يكون بإمكان كل حوين منها أن يؤدي إلى عملية إخصاب، فإن المرأة عندها عملية تحضير بويضة كل شهر تقريباً، ولا يحصل إخصابها إلاَّ خلال فترة قصيرة من الدورة الشهرية، من الصعب تحديدها بالضبط، وهذا ما يؤدي إلى صعوبات في منع الحمل، فكانت التقنيات العديدة لمنع الحمل...

٤٧ ـ ما هي المدة التي تبقى المرأة فيها قادرة على أن تصبح حاملاً؟

إن تاريخ نضج البويضة يتغيَّر من امرأة إلى أخرى، وحتى من دورة إلى أخرى عند المرأة نفسها، لذا من غير الممكن تحديد مرحلة الإخصاب مسبقاً. كل ما نعرفه، هو أنه عندما يتكون الجسم الأصفر لا يعود بالإمكان إحداث الإخصاب، نظرياً حدّد العلماء الفترة الممتدة حتى اليوم الثامن عشر من بداية الحيض في حال كانت الدورة الشهرية منتظمة (بين ١٠ ـ ١٨ من الدورة).

٤٨ ـ هل يمكن الحصول على عدة بويضات في الشهر الواحد؟

في الحالات الفيزيولوجية العادية، لا ينمو سوى بويضة واحدة، ويمكننا القول إنّ هناك فترة لا يحصل فيها إخصاب تمتد إلى نحو عشرة أيام، أو يمكن الانتظار أكثر قليلاً للتأكد من ذلك.

٤٩ ـ كيف يحصل أحياناً حيضان في الشهر الواحد؟

عند فترة تكوين البويضة، بعض النساء يحصل عندهنّ سيلان دموي أقل غزارة من أيام الحيض الأساسي، يطلق على ذلك دورة الخمسة عشر يوماً. لكن ذلك ليس حيضاً كما يجب.

٥٠ ـ لماذا يؤثر المناخ في حدوث الحيض؟

كل ذلك عائد لتأثير الغدتين الموجودتين في الدماغ إذ إن إفرازاتهما تتأثر أكثر بارتفاع الحرارة كما تتأثر أحياناً بالرحلات الطويلة، أو تغيير النشاط المهني أو أية إثارة عاطفية.

٥١ ـ هل يحصل أن يتوقف حيض امرأة دون أن تكون حاملاً علماً بأنها تقيم علاقات جنسية؟

هذا ممكن، لكنه نادر الحدوث، عند ذلك يكون الطمث قد توقف نتيجة كيست Kyste في المبيض أو صدمة عاطفية، لذا يجب هنا استشارة الطبيب.

٥٢ ـ لماذا يُحدث الحيض أوجاعاً مؤلمة أحياناً؟

ليس بالضرورة أن يحدث الحيض آلاماً، لكن ذلك قد يحصل أحياناً إذ إن الجهاز التناسلي حساس للغاية. فإذا حدث أن اعترض الرحم بعض المشاكل التي تعيق سيلان الدم، لا يكون هناك أي مرض معين ولا تتوجب المعالجة، هناك وسائل فعَّالة للغاية ضد هذه الآلام حالياً.

٥٣ ـ هل هناك وسيلة لتأخير أو تقديم تاريخ الطمث؟

يمكننا، حالياً، تأخير تاريخ الطمث وذلك بحقن مشتقات الجسم الأصفر، فيتأخر بدء الحيض بقدر ما يريد المعالج.

٥٤ ـ ماذا يحصل عندما تُحقن المرأة لإعادة الحيض بعد توقفه؟

تحتوي الحقن العضلية في هذه الحالة مزيجاً من هرمونين مبيضيين (La folliculine et la progerterone). وبعد ٤٨ ساعة من تناول الدواء يحصل الحيض شرط ألاَّ يكون قد حصل الإخصاب.

٥٥ ـ في أي عمر يبدأ سن اليأس؟

يتبدل هذا التاريخ بين الأشخاص، ولا فترة محددة قصيرة لذلك، إنما تتراوح بدايته بين ٤٥ و٥٥ سنة.

٥٦ ـ لماذا يتوقف الطمث؟

عندما يشيخ المبيض ويصبح غير قادر على تحويل الثمرات الجرابية (les follicules) الأولية إلى ثمرات جرابية ناضجة، عندها تفرز الغدة النخامية هرمونات تعرف باسم .F.S.H وبكمية كبيرة.

إن عدم التوازن الذي يحصل في هذا العمر هو المسؤول عن ارتفاع حراري أحياناً أو دوران خفيف، أو تضجُّر، أو «ضيقة» تتشكَّى منها النساء غالباً في هذا العمر.

إن توقف الطمث هذا يتميز به الجنس البشري فقط في حين أن بقية الأنواع تبقى دورات الحيض عندها مستمرة حتى نهاية الحياة.

٥٧ ـ في خلال سن اليأس، تحدث أحياناً انفجارات دموية، فمن أين يأتي ذلك؟

تكون الانفجارات الدموية كثيرة عادة في هذا السن، قد تكون طبيعية ومن أثر طمث غير منتظم أو تتصل ببعض الأمراض النسائية، لذا يجب مراجعة الطبيب غالباً، لأن هذا العمر يشكل مرحلة خطرة في تكوين السرطان الرحمي أو التناسلي.

في العلاقات الجنسية

٥٨ ـ كيف يتكوَّن الجنين؟

كي يتكوَّن الجنين يجب أن يلتقي الحوين المنوي (الذكري) مع البويضة (الخلية الأنثوية) ويحصل الإخصاب، ومن ثم أن تستقر البويضة في الرَّحم، وهنا تتحوَّل إلى جنين وتصبح المرأة حاملاً. والعلاقة الجنسية هي الفعل الذي تتحِّد فيه المرأة والرجل فيؤدي اتحادهما إلى الإخصاب.

٥٩ ـ هل تستخدم العلاقات الجنسية للتكاثر فقط؟

كلا، لا تستخدم العلاقات الجنسية فقط للتكاثر (من أجل النوع) فلا يتحد الرجل والمرأة في كل مرة من أجل الجنين، بل يضاف إلى عملية التكاثر مفهوم اللذة الذي يؤدي إلى إشباع شخصي داخلي.

٦٠ ـ ما هو الليبيدو؟

تترجم شحنات الليبيدو باللذة. وهي أكثر قوة عند بعض الأفراد عن غيرها، ومن فرصة إلى أخرى. فهي تقيس قوة الرغبة. تتدخَّل عدة عوامل في الرغبة. الغريزة، كالجوع أو العطش، تنبع من الجسم ويمكن أن تضبطها الإرادة أو لا يمكن وكذلك بالنسبة إلى حنان الأهل أو الأصدقاء، كلها تأتي من القلب.

٦١ ـ ما هي الظاهرة التي تؤدي إلى الانتصاب؟

تحت تأثير الرغبة، يزداد حجم القضيب وينتصب، تعود هذه التبدلات إلى اندفاع الدم في القضيب فيؤدي إلى ازدياد حجمه...

٦٢ ـ تظهر الرغبة عند الرجل بشكل مرئي، وماذا يحصل بالمقابل عند المرأة؟

إذا كانت الرغبة تظهر عند الرجل بالانتصاب، فهي تحدث عند المرأة بظواهر ليست أقل أهمية.

فتحت تأثير الرغبة يندفع دفق دموي نحو المهبل، وتظهر بعض النقاط من سائل معين على جوانب المهبل لتسهل عملية الولوج إلى الداخل ويضيق الثلث الداخلي منه ليحيط القضيب جيداً عند ولوجه إلى الداخل.

٦٣ ـ ما الفرق بين العلاقة الخارجية والعلاقة الداخلية؟

لا يمكن أن تحصل علاقة جنسية دون إدخال القضيب في المهبل أي إنه لا علاقة إلّا الداخلية. في حين يُطلق اسم علاقة خارجية على العلاقة التي تحاول تجنب عملية الإخصاب فلا يصل القضيب إلى داخل الغشاء.

٦٤ ـ عندما تحصل علاقة بين يافع وفتاة وتصل إلى مرحلة العلاقة الجنسية الخارجية، ولا يمكنها الوصول أبعد من ذلك، ألا يُحدث ذلك اضطرابات نفسية وعصبية؟

مثل هذه العلاقة لا تحدث اضطرابات نفسية لكنها تؤدي إلى توتر عدم الاكتفاء من قبل الفريقين. على اليافع أن يدرك أن الفتاة عندها الحجة الأقوى في عدم الوصول أبعد من ذلك فهي تخشى الأُمومة ولا ترغب مطلقاً في العلاقة الداخلية.

٦٥ ـ ما هو معدَّل مدة العلاقة الجنسية؟

تمر العلاقة الجنسية بأربع مراحل، تتفاوت مدة كل منها: مرحلة

الإثارة، وتتفاوت مدتها بين شخص وآخر، وهي مرحلة أولية يتهيأ خلالها كل من الرجل والمرأة للعلاقة الجنسية. تأتي بعدها مرحلة تعرف «بمرحلة الكفة» التي تبدأ منذ إدخال القضيب إلى حالة الانتعاظ ويمكن قياسها بدقة. في حين أن مرحلة الانتعاظ أو اللذة وتكون قصيرة، والمرحلة الأخيرة تكون مرحلة الانبساط حيث يعود الفرد إلى الحالة الطبيعية ومدتها قصيرة.

قام كنساي Kinsey بقياس متوسط المرحلة الثانية (الكفة) فكان متوسطها دقيقتين، وقد تقل عن ذلك فيحصل القذف باكراً أو تستمر بضع ساعات. المهم في كل ذلك هو نجاح العلاقة الجنسية أي إشباع رغبة الزوجين معاً.

٦٦ ـ ما هو دور البظر Clitoris؟

إنه عضو صغير عند المرأة يعادل القضيب عند الذكر، يقع عند تلاقي الشفرين، من الأمام، ويلعب دوراً رئيسياً عند المرأة، يزداد حجمه. في مرحلة الإثارة، وإحداث اللذة المطلوبة عند المرأة.

٦٧ ـ ما هي أماكن اللذة خارج مناطق البظر والمهبل؟

تتعدَّد أماكن اللذة: عند الرجل تنحصر بشكل أساسي في منطقة الأعضاء التناسلية.

بينما نشير عند المرأة إلى الأحشاء، والفم، والأذن، والرقبة، والبلعوم، وجوانب الفخذين الداخلية. هكذا كل جزء من الجسم فيه أعصاب كثيرة يكون منطقة لذة.

٦٨ ـ ما معنى امرأة بظرية وامرأة مهبلية؟

بقي الاعتقاد طويلاً بأن للمرأة لذتين جنسيتين: الأولى سطحية بظرية غير كافية، والثانية مهبلية داخلية، لكن العلماء أكدوا أن هناك لذة واحدة تشترك فيها جميع الأعضاء.

٦٩ ـ كيف تحصل ردات فعل قوية في خلال النشوة عند بعض النساء ولا يحصل ذلك عند غيرهن؟

إن شدة ردود الفعل تتفاوت بين امرأة وأخرى وذلك وفقاً للشريك ولعوامل جسدية وسيكولوجية عندها، ويتضح هذا التفاوت وفقاً للظروف ولعوامل وراثية ونفسية.

٧٠ ـ كيف تحصل النشوة عند الرجل؟

تمتزج النشوة عند الرجل مع القذف. عند قمة الإثارة تحصل عدة تقلصات في عضلات الأعضاء التناسلية فتقذف السائل المنوي نحو المجرى الخارجي للقضيب ويحصل القذف نحو الخارج من ثقب الحشفة. هكذا يقدِّم الرجل في كل علاقة جنسية السائل المنوي اللازم للإخصاب لكن المرأة لا تكون جاهزة للإخصاب إلا خلال فترة قصيرة من الدورة الشهرية.

وبعد حدوث النشوة يمر الرجل بمرحلة كمون حيث لا مجال لأي إثارة جنسية، أما عند المرأة فتتواصل حالة الإثارة وقد تحصل النشوة أكثر من مرة في خلال علاقة جنسية واحدة من قبل الرجل.

٧١ ـ كيف ينطلق السائل المنوي من الرجل: دفعة واحدة أو بتقطع أو على مراحل؟

ينطلق السائل المنوي دفعة واحدة إنما وفقاً لتقلّصات الأعضاء، فتحصل بينها لحظات لمدة ثانية تقريباً.

٧٢ ـ هل يؤدي القذف الأول عند اليافع إلى إخصاب البويضة؟

قد يحصل الحمل من القذف الأول لكن الحوين المنوي لا يصبح قادراً على الإخصاب إلا بعد عدة أشهر من القذف الأول. كما يحدث عند المرأة (أو الفتاة) في بداية الحيض.

٧٣ ـ ما هي البرودة الجنسية؟

البرودة الجنسية هي غياب النشوة القصوى عند المرأة في خلال العلاقة

الجنسية، تحصل بسبب عدم الرغبة أو نقص في شحنات الليبيدو. . . ولها أسباب عديدة عند المرأة وعند الرجل. . .

٧٤ ـ هل تكون الفتاة التي أقامت علاقات جنسية ولم تصل إلى النشوة غير طبيعية أو مريضة؟

حتماً لا، تتطلب المرأة وقتاً كي يصبح بإمكانها التوصل إلى ذروة نشوتها، فلا داعي للدهشة، بل عليها البحث عن الأسباب مع الشريك، وتعالج الأمور من قبلها أو من قبل الشريك كي يصلا معاً إلى الإشباع.

٧٥ ـ هل يرافق العلاقات الجنسية ألم أو انزعاج؟

بشكل عام، كلا. إنما قد تحصل آلام إبّان فض البكارة، كل ما يمكن أن يحصل من انزعاجات يكون في العلاقات الأولى، وفي باقي الحالات تصبح الأمور طبيعية.

٧٦ ـ ما هو العجز الجنسي؟

هو عدم إمكانية التوصل إلى الانتصاب. ربما تعود إلى عدم الرغبة أو أحياناً إلى رغبة كبيرة جداً، وعدم الانتصاب هذا يؤدي حتماً إلى عدم القذف، أو إلى القذف المبكر قبل حصول الانتصاب المعافى.

الزوجان والأمومة

٧٧ ـ هل تحصل الفتاة على طفل من مجرد أية علاقة جنسية مع شاب؟

ليس قاعدة إنما هناك حظ ٩ من ١٠ بأن تصبح حاملاً، ففترة الحمل عند المرأة قصيرة لكنها غير محددة بوضوح لكن الرجل يعطي الحوينات اللازمة للإخصاب في كل علاقة جنسية. لذا فالعلاقات غير الشرعية يجب أن تأخذ الاحتياطات الضرورية لمنع الحمل. كما أن الزوجين قد يحصل معهما الحمل دون قصد أو رغبة في ذلك. . .

٧٨ ـ ما معنى طريقة منع الحمل؟

إنها طريقة تدخل ضمن العلاقات الجنسية لكي تمنع لقاء البويضة مع الحوين المنوي، فتحصل النشوة عند الشريكين ولا يتم الحمل، وتستطيع المرأة أن تعود وتحمل ساعة تشاء. من هنا ينبغي التمييز بين منع الحمل، والعقم، والإجهاض.

هناك ثلاث طرق لمنع الحمل هي:

١ ـ الموانع الطبيعية، تلك التي لا تستخدم أية آلة خاصة أو تناول أي دواء (ولذا فهي مقبولة دينياً).

٢ ـ الطريقة الميكانيكية، تستخدم الواقي، أو وضع معقمات في المكان المناسب.

٣ ـ منع الحمل بالطرق الهرمونية أو تناول حبوب منع الحمل.

٧٩ ـ كيف يتم استخدام هذه الموانع للحمل؟

بعد استشارة طبيب عام أو اختصاصي لمعرفة حسنات وسيئات كل طريقة وسبل استخدامها.

٨٠ ـ ما هي الأيام التي لا تكون فيها المرأة عرضة لأن تصبح حاملاً؟

تضع المرأة عادة بويضة كل شهر تقريباً، وتنضج البويضة ١٣ يوماً قبل بدء الحيض التالي، بالنسبة إلى المرأة التي عندها حيض منتظم يمكن وضع تواريخ شبه ثابتة، إنما هناك عوامل عديدة تغيِّر في هذه التواريخ. لذا ينصح الأطباء بعدم استخدام هذه الطريقة. كما أن أسلوب الحرارة مفيد إذ إن الحرارة عند المرأة ترتفع بدءاً من اليوم ١٣ الذي يلي بدء الحيض السابق.

٨١ ـ ما هي المدة التي تبقى فيها البويضة قابلة للإخصاب؟

إنها مدة قصيرة جداً، تبلغ ٦ ساعات عندما تنتظر الحوين المنوي وتبلغ سرعة هذا الحوين ١,٥ ملم في الدقيقة.

٨٢ ـ ما هي المدة التي يعيشها الحوين المنوي؟

تتراوح مدة حياة الحوين المنوي من عدة دقائق إلى عدة ساعات خصوصاً عندما يكون في المهبل أو في الرحم مما يجعل حياته تستمر لعدة أيام، ومن هنا تأتي المفاجآت في الحمل ومواعيده وحصوله...

٨٣ ـ كيف نفهم طريقة الحرارة أو أخذ حرارة المرأة؟

إنها طريقة بسيطة، تكمن في أخذ حرارة المرأة كل صباح قبل النهوض وتسجيلها. فتكون عادة أقل من ٣٧ درجة مئوية، في النصف الأول من الدورة الشهرية، وترتفع فجأة إلى أكثر من ٣٧ درجة مئوية عندها يكون الإخصاب ممكناً ولمدة ثلاثة أيام، يبقى هذا الارتفاع في الحرارة إلى نهاية الدورة الشهرية إنما بعد مرور ثلاثة أيام تصبح العلاقات الجنسية بدون خطر الحمل.

وهذه الطريقة لا يمكن الاعتماد عليها كثيراً لأن الأخطاء قد تقع في أية لحظة.

٨٤ ـ وهل هي صالحة للفتاة أيضاً؟

بكل تأكيد إنما شرط أن تكون دورتها الشهرية منتظمة.

٨٥ ـ ما هي نتائج الفعل الجنسي الذي يتوقف فجأة؟

أسوأ نتيجة هي عدم الفعالية، وخلافاً لكل ما يقال ليس له أي تأثير نفسي لا في الرجل ولا في المرأة؛ شرط ألّا يشعر أحد الشريكين بالكبت.

٨٦ ـ هل يؤدي استخدام الواقي الذكري إلى اضطرابات نفسية؟

كلّا إن استخدام الواقي الذكري لا يؤدي إلى أي اضطراب نفسي، إلّا إذا ترك استخدامه شعوراً بعدم الاكتفاء. كل شيء يرتبط بالأفراد والظروف...

٨٧ ـ هل يعتبر الواقي طريقة فعّالة؟

نعم يعتبر طريقة فعّالة لمنع الحمل وناجحة لا يتخللها حالات فشل إلّا

بمعدَّل ٦٪، كما أن الواقي يحفظ المرأة من الأمراض الزهرية.

٨٨ ـ ما هي أنواع الواقي التي تستخدم عند النساء؟

أشهرها الحجابات المانعة، كما تستخدم الغلافات العنقية التي تغلِّف عنق الرَّحم.

٨٩ ـ هل تعتقد أن مانع الحمل Le stérilet فعَّال بشكل تام؟

كلاَّ، هناك احتمال ١٪ بحدوث الحمل.

٩٠ ـ هل حبوب منع الحمل فعَّالة أكثر؟

نعم، إن حبوب منع الحمل هي الطريقة الوحيدة المضمونة ١٠٠٪ لمنع الحمل. وهي تحتوي على نوعين من الهرمونات التي يقوم بفرزها المبيض.

٩١ ـ كيف يتم تناول هذه الحبوب؟

يجب أن يبدأ تناول الحبوب منذ بداية الحيض أو ابتداءً من اليوم الخامس الذي يتبع أول يوم تبدأ فيه الدورة الشهرية (الطمث). ويجب متابعة ذلك كل يوم لمدة ثلاثة أسابيع، ثم متابعة ذلك بعد سبعة أيام من التوقف. وطريقة توضيب هذه الحبوب يدل على كيفية استعمالها.

٩٢ ـ هل يستمر الطمث بشكل عادي؟

نعم يحصل ذلك خلال الأيام السبعة التي تتوقف فيها المرأة عن تناول الحبوب.

٩٣ ـ ما هي الأخطار الناتجة عن تناول هذه الحبوب؟

يجب الأخذ بعين الاعتبار، بادىء ذي بدء، السيئات الأولى الصغيرة ومن ثم الأخطار، من السيئات الصغيرة: قليل من التعصيب، دوران، زيادة في الوزن، هبوط الشعر. والأخطار تصل إلى فقدان الدم، وغياب كل نزف وصولاً إلى إمكانية حصول مرض السرطان. . .

٩٤ ـ هل هناك حبوب للرجال؟

كلاَّ لأن ذلك غير ممكن بالنسبة إلى الحوين المنوي. هذا من الناحية العلمية، ومن الناحية السيكولوجية فإن الرجل لا يتخلى بسهولة عن قدرته على الإنجاب.

٩٥ ـ ما هو الإجهاض؟

الإجهاض هو عملية إرادية أو قسرية توقف الحمل قبل الشهر السادس من نمو الجنين. وهو يحدث إما لأسباب صحية معينة عن غير قصد أو عن قصد معين لدى الطبيب المختص.

٩٦ ـ هل هناك أدوية أو طرق توقف الحمل منذ بدايته؟

للأسف كلا، فمنذ أن يحصل الإخصاب، لا يمكن إيقافه لا بحبوب معينة ولا بحقن عضلية أو غيرها، فإذا كان هذا ممكناً فلا تكون المرأة بحاجة إلى حبوب منع الحمل لمدة ثلاثة أسابيع أو غيرها.

٩٧ ـ يقال إن الإجهاض يشكل خطراً، لماذا؟

كان الإجهاض يشكل خطراً عندما كان يمارس تحت ظروف صحية صعبة وكان يُعتبر غير شرعي وغير مسموح به البتة... تحاول المرأة التخلص من الحمل بأساليب الإرهاق والإزعاج الجسدي كي يحصل الإجهاض، يرافق الإجهاض عادة التهابات قاسية قد تصل إلى إحداث خطر على حياة المرأة.

٩٨ ـ في أي بلد (أو بلدان) يسمح بالإجهاض بشكل حر وشرعي؟

عدة بلدان عدَّلت قوانينها حديثاً في هذا الشأن منها الولايات المتحدة الأميركية، وإنكلترا، وألمانيا، وفرنسا، وهولندا. فقد أعطت حرية التصرّف في هذا النطاق.

٩٩ ـ ما هي أهم أسباب عقم المرأة؟

يعود عقم المرأة إلى سببين: إما أنها لا تضع الخلية الأنثوية الأساسية

(gamète) للتناسل؛ أو أن هناك خطأً ما في الأعضاء التناسلية يمنع لقاء الخلية الذكرية بالخلية الأنثوية.

١٠٠ ـ ما هي أهم أسباب عقم الرجل؟

يعود عقم الرجل إلى أمراض أو قصور في الخصيتين تؤثر في وظيفتهما التناسلية، إما عطل أو عدم تكوين صحيح للجهاز التناسلي الذي ينقل الحوينات المنوية إلى الخارج.

١٠١ ـ كم حوين منوي يجب أن يحمل القذف الواحد كي يحصل الحمل؟

يجب ألاَّ يقل عدد الحوينات المنوية عن ٥٠ مليوناً في السم[٣] الواحد وقد تصل إلى عشرين مليوناً في السم[٣] وتبقى إمكانية الحمل واردة.

أما القذف العادي وبالصحة الجيدة فإنه يوصل عدد الحوينات المنوية إلى نحو ٥٠٠ مليون للقذف الواحد.

الحمل والولادة

١٠٢ ـ ما هو الحمل؟

منذ وُجد الإنسان والأرض تحمل أشياء ومخلوقات متنوعة، فالجبال تتأكل وتتحوَّل لكن مادتها تبقى عبر ملايين السنين. أما المخلوقات الحية فإنها تولد وتموت وبين الولادة والموت تقوم بعملية التكاثر فتعطي الحياة إلى مخلوقات أُخرى تعمل على استمرارية الحياة. وهذه الظاهرة متشابهة لكنها ليست متطابقة عند أكثرية الأنواع، وعملية التكاثر هذه مرتبطة برعشة تجتاز الجسد فتشعره بلذة مميزة عن غيرها من إشباع الغرائز الأخرى. وهذا الاتصال بين الذكر والأنثى الذي تدفعه جاذبية قوية يؤدي إلى عملية الحمل ومن ثم ولادة مخلوق جديد، يعتبر ثمرة الحب المثالي الذي أدَّى إلى اتحاد الجسدين وكانت حالة الحمل التي تدوم عند الإنسان مدة تسعة أشهر وتختلف مدتها عند بقية الأنواع.

١٠٣ ـ كيف تحصل عملية الإخصاب؟

إن عملية الإخصاب بحاجة إلى حوين منوي يدخل البويضة عند المرأة وفي أجواء وظروف معينة. من اتحادهما تحصل الخلية التي تنمو بسرعة لتكوّن الجنين. تنقسم أولاً إلى خليتين متحدتين ثم إلى أربعٍ فثمانٍ، ١٦، ٣٢، . . . إلخ، الفرق بين الحوين المنوي والبويضة، هو أن البويضة تحمل معها مواد غذائية تقدمها للجنين الجديد كي يحيا ويتغذى.

١٠٤ ـ أين تستقر البويضة المخصّبة؟

في خلال الأسبوع الذي يلي الإخصاب، بعد أن يصبح طول البويضة $\frac{٣}{١}$ من الميلليمتر والتي تصبح بعد تسعة أشهر بطول ٥٠ سم ووزنها ٤ كلغ. تستقر البويضة بعد الأسبوع الأول في الرحم وتتغذى من دم الأم.



سير الحوينات المنوية للوصول إلى البويضة

١٠٥ ـ كيف تدرك المرأة أنها حامل؟

من المعروف أن الطمث يحدث في غياب الإخصاب، ففي حال مرّ موعد الطمث ولم يحصل، يكون العلامة الأولى والأساسية لحصول الحمل، إنما ينبغي انتظار عدة أيام للتأكد لأن الطمث قد يتأخر عدة أيام عن موعده.

إلى جانب هذه الظاهرة المميزة هناك ظواهر جانبية منها التعب، والرغبة في التقيؤ والنوم وأخيراً انتفاخ الأحشاء.

يبقى التأكيد النهائي عند زيارة الطبيب الذي يقدِّر وزن وحجم الرحم التي تصبح أضخم من حجمها العادي. أو يتأكد أخيراً من فحوصات مخبرية.



١٠٦ ـ ما هو الرازوس Rhésus؟

يطلق هذا الاسم عادة على مجموعة من القرود التي تعرف باسم Macacus Rhésus. وقد أجريت تجارب عديدة على هذه المخلوقات في المختبر. ففي العام ١٩٤٠، رأى العالم لاندستاينر Landsteiner أن ٨٥٪ من أنواع الدم البشري تعمل مثل دم قرود رازوس وأن ١٥٪ فقط كانت مختلفة. فقد أطلق على المجموعة الأولى اسم رازوس إيجابي والمجموعة الثانية اسم «رازوس سلبي».

وقد تم التوصل إلى معرفة أسباب حدوث مشاكل عندما تتزوج امرأة عندها رازوس سلبي من رجل عنده رازوس إيجابي. والنتائج أن الطفل يتعرَّض إلى مشاكل أما الأم فلا ينتابها شيء. فإذا كان الجنين من زمرة دم

والده، يعمل دم المرأة على تكوين مواد تعمل على تدمير الكريات الإيجابية عند الجنين فتقضي تدريجياً على الكريات الحمراء عنده، فقد يتعرض إلى مرض فقر الدم ويموت قبل الولادة أو بعدها بقليل. لا يحصل ذلك في حال كانت زمرة دم الجنين من فئة دم أمه...

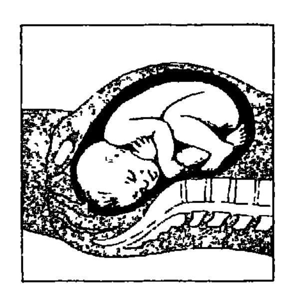
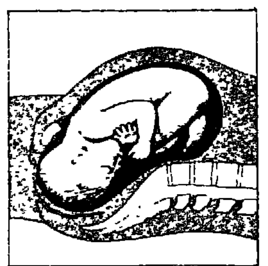
١٠٧ ـ ما هي عملية الولادة؟

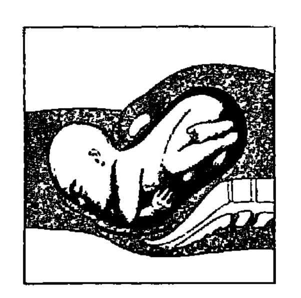
الولادة هي عملية خروج الجنين من رحم أمه، وكل العوامل التي ترافق ولادته. يكون الجنين قد وجه رأسه نحو اتجاه المخرج، وعليه اجتياز الأغشية وعنق الرحم ودائرة الحوض العظمية والقناة المهبلية والمهبل. وبعد خروج الرأس تكون المراحل الصعبة قد مرّت ولا يمر أكثر من ١٥ دقيقة ويكون الطفل قد انفصل عن أمه. كل ذلك يتم بالآلام والأوجاع عند المرأة...

١٠٨ ـ ما معنى الولادة بدون آلام؟

كانت ولادة الأطفال تحصل مع آلام مبرحة. أما اليوم فالنساء يذهبن إلى المستشفى للتحضير للولادة بدون آلام. وعندما تشعر الحامل بألم خفيف، تكون الولادة قد قربت، فإذا تمَّ تهيئتها بحيث تتمكن من السيطرة التامة على أحاسيسها وإذا كانت مدركة تماماً أن اجتياز الطفل الممر الذي ينقله من الرحم إلى الخارج سيحدث لها آلاماً، فإنها ستبقى مسيطرة على أحاسيسها وتمر الولادة بسهولة وتعتبر بدون آلام نسبياً بالنسبة إلى ولاة امرأة سيطر عليها الوهم وبدأت تشعر بالآلام منذ أن أدركت أن الولادة قد بدأت. مثل هذه المرأة تتألم كثيراً ويؤلمها كل عضو من أعضاء جسمها.

لذا، تتطلب عملية الولادة بعض التفسيرات التوضيحية لأعضاء الجسم وعملية سير الولادة، وكذلك بعض الجلسات الرياضية التي يتم فيها تمرين العضلات التي تتصل بالرحم والتنفس إلى أن تصبح الولادة كتمرين رياضي... هذا بالإضافة إلى بعض المعالجات الطبية التي تخفف الآلام.




١٠٩ ـ ما هي العملية القيصرية؟

هي عملية جراحية تتيح ولادة الطفل بإخراجه من بطن أمه عندما لا تستطيع الأم أن تلد الطفل بشكل طبيعي وذلك لأسباب صحية وتركيبية في جهازها التناسلي.

١١٠ ـ كيف يولد الطفل قبل أوانه؟

عادة لا يستطيع الطفل أن يحيا طبيعيًّاً إلا بعد أن يكون قد قضى ٩ أشهر في أحشاء أمه (فترة الحمل). فالطفل الذي يولد قبل موعده الطبيعي أي في ٨ أشهر حمل أو ٧ أشهر أو ربما ٦ أشهر وفي حال كان الطفل حياً (أي الطفل المبكر) فيجب وضعه في حاضنة وتأمين تغذية خاصة له ويجب الانتباه إلى صحته وتنفسه... أما طفل الستة أشهر فنادراً ما يبقى حياً.

١١١ ـ كيف يحيا الطفل بعد الولادة؟

بعد الولادة تصبح الأم مهيأة لتقديم الحليب الضروري لغذاء طفلها، وإذا لم يكن حليبها كافياً يمكن استخدام الحليب المجفف أو أي حليب آخر.

أما الأوكسجين فهو ضروري أيضاً ويتمرن الطفل على التنفس تدريجياً بعد انفصاله عن أمه التي كانت تقدم له الأوكسجين اللازم مع المواد الغذائية الضرورية.

إن جرعات الحليب اللازمة للطفل كل يوم تتحدَّد وفقاً لعمره وهي تتوزع وفقاً لأنواع الحليب المستخدم.





مرحلة ما قبل المراهقة

١١٢ - في أي عمر تبدأ الحاجة الجنسية؟

يعتقد الدارسون أن الولد في العاشرة من عمره لا يظهر أية ميول للأفعال الجنسية. فهو يهتم بالأمور المدرسية والأمور الرياضية والألعاب، لكن الأمور الجنسية في حالة محرِّك متوقف على النقطة الميتة (Point Mort). لكن الطفل صباح يوم سيستيقظ ويجد أن عضوه الجنسي قاسٍ وصلب. هذه الحالات من الانتصاب تحصل في حالات متتابعة أو حتى خلال نزهة على الدراجة أو على الحصان.

الظاهرة عادية تماماً وستتواصل حركة التقدم الجنسي، وهكذا يحصل عند الفتاة الصغيرة عندما تشعر بتضخم أحشائها واتساع حوضها وظهور الشعر في أسفل بطنها، وكذلك عند الولد. إنها مرحلة الدخول في المراهقة. . .

١١٣ ـ لماذا يكون الاهتمام الجنسي قوياً في الخامسة عشرة وقليلاً في العاشرة؟

يعيش طفل العاشرة، الغني بالتجارب الحياتية، بحالة توازن:

ـ في وسطه العائلي يعتبر الأهل نموذجاً خاصاً.

ـ في وسطه المدرسي يتابع مهمات التعلم والتعليم الأساسية.

ـ في مجتمعه المدرسي يشارك رفاقه الأعمال والألعاب.

يقول فرويد «إن الولد في هذه المرحلة لا يهتم بالأمور الجنسية كي يعمل بشكل أفضل في المدرسة فينمي قدراته الفيزيائية والذهنية والاجتماعية». وقد أطلق على هذه المرحلة اسم «مرحلة الكمون والنضج».

عند نهاية هذه المرحلة تكون الفتاة قد تعرَّضت لأول دورة شهرية (الطمث) والولد قد تعرَّض لأول قذف، يحصل عادة في الليل. . . أي بداية تكوين الحوين المنوي عنده.

١١٤ ـ لماذا تصبح الفوارق كبيرة بين الفتى والفتاة في هذه المرحلة؟

ذلك لأن مرحلة التحضير للمراهقة والنضج غير متطابقة عند الجنسين. علينا التأكيد لهؤلاء الذين لا يتم نموهم باكراً بأنهم سيكبرون ولن يضيع عليهم شيء فور إقلاع المحرِّك الجنسي، عليهم الصبر قليلاً. فإذا أصبح حتى العمر ١٦ ـ ١٧ سنة ولم تحصل التغييرات اللازمة، عندها يجب استشارة الطبيب، وقد أصبحت وسائل المعالجة متوفرة بسهولة اليوم.

١١٥ ـ لماذا لا يكون المراهق راضياً عن جسمه غالباً؟

إن تحولات الجسم تفرض على المراهق دائماً مسألة التكيُّف الصعبة.

على المراهق القبول بالتغييرات التي طرأت على جسمه حتى ينتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة بلوغه الرجولة أو الأنوثة الكاملة، هذا التحوُّل يرافقه بعض الأمور الجانبية المزعجة، كظهور الشعر في الذقن وبثور الشباب... كل ذلك يجعل المراهقين متذمرين من حالهم لأن الصورة المثالية التي يريدونها لجسدهم لم تكن كما هو مطلوب. وبذلك يكون المراهق الناقد اللاذع لنفسه فهو بحاجة إلى من يقول له أنت جميل مظهرين له بذلك مناطق الجمال الحقيقية ومبتعدين عن مناطق القبح في تكوينه، ولا يمكن إظهار التملُّق والكذب لأنه سيكتشفه فوراً ولا يعود عنده ثقة بالمتكلم. كما تدخل هنا مشاكل النضج الباكر والنضج المتأخر التي تحصل عادة عند الكثيرين.

١١٦ ـ ماذا نعمل كي نكون محبوبين من الآخرين وننال إعجابهم؟

يبدأ المراهق بإعطاء اهتمام كلي لثيابه وأناقته... كل ذلك بحثاً عن شيء يعمل على رفع شخصيته... إنها مرحلة طبيعية!..

على المراهقين أن يدركوا أنهم لا يستطيعون الحصول على مكان آخر جديد في العائلة أو في وسطهم المدرسي أو في مهنة معينة طالما أنهم لم يتقبلوا جسدهم حتى الآن. لإقامة علاقات جيدة مع الآخرين، يجب على المراهق التعامل بشكل ذكي مع جسمه الخاص. «لا يمكننا محبة الآخرين إذا لم نحب أنفسنا». هكذا يجب بحث مثل هذه المواضيع مع المراهقين أيضاً... فقد تبين أن قبول هذه التحولات (في خلال المراهقة) الجسدية هو أسهل عند الصبيان منه عند البنات، ومن تلقى تربية جنسية سليمة كان تجاوزه للأزمة أسهل بكثير، ولن يخجل من الانتصاب أو القذف أو من الطمث.. وسيدرك المراهقان أنهما سيصبحان رجلاً وامرأة...

١١٧ ـ هل صحيح أن الكثير من الفتيان والفتيات تظهر لهم بثور على الوجه وعلى الظهر؟ وهل صحيح أنها تختفي بعد قيام علاقات جنسية أو بعد التقدم في العمر؟

من المعروف أن هذه البثور على علاقة بمعدل الهرمونات التي تفرزها الغدد التناسلية.

ففي بداية المراهقة تتزايد نسبة هذه المواد الكيميائية في الدم وبكميات مرتفعة، وبعد مدة، تبقى الهرمونات لكنها تصبح بشكل أكثر توازناً فيما بينها، عندها تستقر البثور وبعدها تختفي مع بداية سن الرشد.

١١٨ ـ ما هو الاستمناء La Masturbation؟

يحصل الاستمناء عندما نعمد إلى ملاطفة الأعضاء التناسلية بغية الحصول على اللذة الجنسية.

١١٩ ـ هل للاستمناء نتائج خطيرة؟

علينا اعتبار الاستمناء مرحلة طبيعية تحصل في المراهقة. يلجأ إليها المراهقون بين عمر ١٢ و١٦ سنة بمعدل ٩٠٪ من الفتيان والفتيات. لأن الغريزة تكون ملحّة كثيراً في هذه المرحلة إذ تبلغ أقصاها في الخامسة عشرة. وبسبب الحرمان الذي يفرضه المجتمع على المراهق فهو مضطر للجوء إلى هذه الطريقة لإشباع غريزته. ففي هذه الحالة من إشباع اللذة يبني المراهق تخيلات وأحلام خاصة به وبناء على بعض اللقاءات اليومية.

بالنسبة إلى الجنسين، يعتبر الاستمناء صمام الأمان الذي يتيح إمكانية إشباع اللذة الجنسية.

١٢٠ ـ هل يتوقف الاستمناء من تلقاء نفسه؟

يجب أن تختفي ممارسة الاستمناء في سن ١٦ ـ ١٧ من العمر. قد يبقى البعض حتى سن متأخرة أو حتى في سن الرشد على ممارسة هذه العادة، وذلك لعدم التمكن من ترك عادات مكتسبة. فالمراهق يعود أحياناً إلى الاستمناء لإرضاء رغبته الجنسية، وهذا أمرٌ طبيعي، إنما عليه التعوُّد على اجتياز المصاعب أو اللحظات الحرجة... فإن شعور المراهق أنَّ الآخرين لا يحبونه أو لأسباب أخرى عديدة من هذا النحو يجعله في وضع حرج يقول فيه: «أنا أُحب نفسي، ولست بحاجة إلى أحد كي أُحقق رغباتي ولذتي، وأنا أملك كل ما يوصلني إلى ذلك...» ففي كل مرة يشعر المراهق بنقص معين يعود إلى الاستمناء وكأن الغريزة الجنسية صمّام أمان...

وفي حال استمرت هذه العادة بعد عمر الثامنة عشرة، عندها تصبح وكأنها تترجم صعوبات تحدث للمراهق مع رفاقه أو مع الراشدين في محيطه العائلي أو المدرسي أو المهني. غالباً ما يخيفه الجنس الآخر: «يخشى الفتيان مواجهة مخلوقات غريبة ومن أجناس مختلفة، كل ذلك يبدو وكأنه يبعدهم، لذلك يفضلون الانطواء على أنفسهم. ولا يتأخرون مطلقاً عن طلب المساعدة من رفاقهم أو من أهلهم أو من الطبيب. وتدريجياً يتعودون على الاختلاط التدريجي مع الجنس الآخر فيسلكون الطريق السوي».

١٢١ ـ هل يؤثر الاستمناء في طول القضيب الذكري؟ أو القامة؟ أو القوة الفيزيائية؟

أثبتت الدراسات الإحصائية أن هناك فوارق في طول العضو الذي في حالة الهمود بين فرد وآخر، إنما في حالة الانتصاب فلا فوارق تذكر بين فرد وآخر، ولا تأثير أو انعكاس لطول القامة أو القوة العضلية أو غير ذلك على طول العضو الذكري.

المراهقة

١٢٢ ـ ما سبب وجود مرحلة المراهقة؟

يجب التمييز بين مشاكل المراهقة ومشاكل مرحلة الدخول إلى المراهقة التي تتميز بظهور الطمث عند الفتاة وبداية تكوين المني عند الفتى.

ففي حين أن المراهقة هي فترة طويلة قد تمتد لسنوات تصل أحياناً إلى ٨ سنوات أو عشر، قد تنتهي مع بداية تسلُّم مهنة أو عمل معين أو التخرج من الجامعة. إنها المرحلة الأساسية في الحياة التي تتيح للمخلوق البشري تكوين استقلاليته ونضج مزاجه عبر سلسلة من التجارب. من الآن وصاعداً سيُخضع المراهق كل شيء لتجربته وتفكيره...

١٢٣ ـ لماذا يكون المراهق صعب التكيّف مع عائلته؟

لأنـه يريـد تحقيق استقلاليتـه وشخصيته ولأجـل ذلك هـو بحـاجـة إلى المعارضة لذا فإنه يبدأ بمعارضة أهله.

فهو يريد أن يعيش حياته الخاصة ولا ينظر مطلقاً إلى تجـربة الآخـرين، فمحادثاته مع رفاقه، وحياته السرية، كلها تبعده كل يوم عن عائلته.

١٢٤ ـ هل يتفهم الأهل ذلك دائماً؟

بعض الأهـل يتألم من هـذا الجو الجـديـد الـذي يسـود في المنـزل، ولا يتفهمـون هذه الأمـور أو ليس بإمكـانهم أن يتفهموا ذلـك. من الـطبيعي أن يطالب المراهق برغبته الخاصة في صرف دراهمـه ودون أن يُحاسب عليهـا، كما يرغب في اختيار ملابسه، والأفلام التي يريد حضورها أو البرامج التلفزيونية. وإذا لم يعجبهم هذا التحوُّل في ولدهم عليهم محاولة عدم التـدخل في شؤونـه إذا استطاعوا ذلك، كما عليهم تشجيعه على تحمُّل المسؤوليات.

من ناحية أخـرى أيضاً عـلى المراهق أن يتقـدَّم خطوة كي يتفهم أهله، خصوصاً إذا لم يكـونوا ممَّن يستـطيعون تحمـل تقلبات الأوضـاع الجديـدة عند أولادهم، وأن تدخلاتهم غالباً ليست سوى تعبير عن حب قوي نحو أبنائهم. فقط التفهم المتبـادل قادر عـلى تغيـير الأجـواء السيئـة التي تسـود في العـائلة. فالحوار والتعـامل الـديمقراطي مـع الأولاد، وجعل الأجـواء البيتية هـادئة مـع تسـامح كـلي وحقيقي بعد كـل هفوة تحصـل، كل ذلـك يجعل المـراهق يجتـاز الأزمة بارتياح.

١٢٥ ـ كي يصبـح المراهق رجـلاً هل من الضروري أن يعـارض أهله إذاً؟

كـلا يستطيـع أن يتطابق ويتـوافق مع أهله دون معـارضة، وقـد تصل الموافقة غالباً إلى مهنة العمل عدا المواقف والحركات الخاصة بـالأهل. وهنـاك نماذج أخرى من التوافق نذكر منها:

ـ عبر «العُصبة» التي يكوِّنها مع بعض الرفاق حيث يحقق أهدافاً مشتركة.

ـ عبر صديق أكبر سنّاً حيث يتم تبادل أمور كثيرة ورغبات وانفعالات ومشاكل جنسية أو معلومات أو أسئلة..

١٢٦ ـ متى يصبح المراهق راشداً؟

عبر كل هذه الخبرات والاعتراضات والمواقف الناجحة أو الفاشلة أحياناً ومع التقدم إلى الأمام والعودة إلى الوراء أحياناً أخرى يصبح المراهق رجلاً، فيحقق استقلاليته على عدة أصعدة:

ـ استقلالية على المستوى الفكري، إذ يضع فلسفة خاصة به ويخضع لإحساسه النقدي كل القضايا العالمية التي تتحرك وتثار هنا وهناك.

ـ استقلالية عن البيئة العائلية وقد مرَّ معنا ذلك.

ـ استقلالية في اختيار الأصدقاء وشركاء الحياة.

ـ استقلالية أخيراً على مستوى اختيار المهنة، وعند ذلك يصبح مستحقاً للاستقلالية الفعلية.

١٢٧ ـ مِمَّ يخاف الأهل عادة في هذه المرحلة؟

غالباً ما يكون الطريق المؤدي إلى الاستقلالية مليئاً بالأشواك والمصاعب والمتاهات التي قد يضيع الفتى أو الفتاة فيها. هنا يصبح الأهل في موقف حرج للغاية فإما أن يفرضوا سلطتهم كي يتجنَّب الفتى أو الفتاة الوقوع في الشرك والوقاية من المخاطر، وإما أن يتركوه يجرب ويحاول بنفسه فتعلمه الحياة.

١٢٨ ـ لماذا لا يتركنا أهلنا أحراراً في اختيار من نعاشر؟

يحصل ذلك تلافياً للأفعال الرديئة أو العادات السيئة. ويصرّ الأهل دائماً على أن ثلّة الرفاق هي التي تجر ابنهم حتى لو كان هو رئيساً لهذه الثلّة،

بدل أن تبحث عن حل مشاكل العصابة بأكملها بـالتعاون مـع المدرسـة وأهل الأولاد الآخرين بدلاً من رمي الاتهامات هنا وهناك.

ومن ثمَّ تتلاحق المشاكل فتأتي دعوات الذهـاب إلى السهرة ليـلاً لتنظيم أيام الفرص والرحلات و. . وهكذا فالمشاكل بـين الأهل والمـراهقين لا تنتهي مطلقاً. . .

وحـده الحـوار الصريـح والمنـاقشـات العميقـة حتى للمسـائـل الجنسيـة والفلسفية وغيرها وحسن استخدام الوقت المدرسي والمحافظة على صحة جيدة يمكن أن يشكّـل مـدخـلاً كي يقنعـوا المـراهق بشيء مـا معقـول بـالنسبـة إلى تصورات الأهل.

١٢٩ ـ هل الرغبة في المداعبة والغزل موجودة عند الجنسين؟

كلا ليس للشوق إلى المعانقة والمـلاطفة المعنى المقصـود نفسه عنـد الفتاة والفتى والمهم أن يفعلا ذلك بوعي.

فعنـد الفتى تكون الغـريزة الجنسيـة ذات اندفـاع كبـير. وتبلغ حـالتهـا القصوى بين ١٦ و٢٠ سنـة. وقد تصـل الرغبـة الجنسية عنـد بعضهم حالـة حـادة تلح عليهم بشكل مـزعـج للغـايـة، ولا ننسى مـدى الصعـوبـات التي يفرضها المجتمع وتقاليده بعدم الاحتكاك بالفتاة من النواحي الجنسية.

١ ـ حالياً أدَّت الدراسات التي أقيمت في المدارس إلى اعتبار هؤلاء المراهقين غير قادرين على التجاوب مع الأهل ومتطلباتهم.

٢ ـ تنقص المراهق الخبرة والنضج، لذا من غير المرغوب فيه جعلهم يقيمون علاقات جنسية مبكرة لأنهم لا يسـتـطيعون استخـدام أعضائهم الجنسيـة وغددهم باحترام وعناية. فغالبـاً ما يقـع الفشل حتى في حـالات الزواج الشرعي، فقط عنـدمـا يتـوصـل الفتى إلى فهم الفـوارق الجنسيـة فـإنـه سيحـترم مشاكـل وعـوارض الفتـاة الخـاصـة بـالجنس. لهـذين السببين بـالذات، يفضـل المراهق العـودة إلى الاستمناء حيث لا عـلاقة إلا مـع نفسه.

١٣٠ ـ هل للمداعبة مضار على الجنسين؟

١ ـ تمثل المداعبة بالنسبة إلى الفتى تقدماً على عملية الاستمناء (فعل انعزالي بأساسه) لأنه يصبح بإمكانه الدخول بعلاقة مع الجنس الآخر.

٢ ـ تتيح إمكانية التعرُّف بين الصبيان والبنات. ومن تم تجاوز مخاوفهم وأخطائهم، والرغبة في اللقاء، ومن ثم تتم عملية التخلص من اللواطية.

٣ ـ أخيراً تساهم في الوعي الجنسي عند الفتيات الناشئات اللواتي يكنَّ حساسات للغاية.

٤ ـ يعي الفتى أن الفتاة لا تستطيع اجتياز حدود معينة، كما أن الفتاة تعي أن الاندفاع الغريزي عند الرجل أقوى منه عند المرأة. المهم ألاّ تصل المداعبة إلى إحداث اللذة بل يجب الابتعاد عنها.

١٣١ ـ لماذا يجب أن تبقى عفيفاً طاهراً؟

في هذا السؤال يبدو أن المراهق يستجدي سلطة لكنه لا يلعب دور المربي أو الطبيب ليعطي النصائح أو يُسكت عن الكلام. هذا الطلب يؤدي إلى قيام الصراع بين الغريزة الجنسية التي تدفع المراهق بالشحنات اللازمة (الليبيدو) وبين الشرائع والأنظمة التي تفرضها كل من العائلة والمجتمع والأديان بغية اختراقها...

هناك حضارات بدائية حيث يتمتع المراهق بحرية جنسية تامة. فقبائل غينيا الجديدة تمنع بقسوة العلاقات الجنسية عند المراهق إذا لم يكن قد تلقّى أسس فن العلاقات الجنسية، في حين تقول مرغريت ميد: «إن كل ما هو جنسي هو جيد لكنه خطر خصوصاً بالنسبة إلى أولئك الذين لم يبلغوا الرجولة الفعلية».

في المجتمع الغربي لا تزال القوانين تمنع العلاقات الجنسية على المراهق رغم كل التطورات التي تحصل على هذه الجبهة. لكن المراهق يعارض كل

هذه القوانين بوساطة قوته واندفاعه الجنسي، والسير وراء الفوز بامرأة مهما كان الثمن. . . وهنا تتضارب الآراء والنظريات والمعتقدات حتى عند الفرد نفسه إذ نجد أن كلامه وتصريحاته تتضارب بين موقف وآخر.

١٣٢ - هل هذا يعني أنه يجب المحافظة على العذرية؟

هذه المسألة شغلت المراهقين كثيراً وبصورة خاصة المراهقات. هناك أنواع رياضة أو رقص أو غيره تساعد على فقدان العذرية. قام بعض المراهقين باقتراح طبي يقضي بإلغاء غشاء البكارة عند الولادة كما يحدث في عملية «الختان» عند الصبيان فهل هذا ممكن؟ سؤال يدلّ على التناقضات الحاصلة في مجتمعنا. فالأديان ترغم الفتيات على الحفاظ على بكارتهن حتى الزواج.

هناك فتيات يقمن بأنفسهنّ بإلغاء هذا الغشاء الرقيق، فهذا يعني بالنسبة إليهنّ التحرُّر، لأن الحرية تعني المسؤولية، وكمظهر تحرُّر من الروابط العائلية وغيرها.

- خاتمة -

أن نقدِّم للمراهقين أنواعاً متعددة من أنواع الحياة الجنسية والعاطفية ليس ذلك بمهمة سهلة، لكنها أساسية، بغية أن تتم تهيئة صحيحة لسعادتهم في المستقبل. وهذا الكتاب يتضمّن العديد من الحالات والاحتمالات والحلول لمشاكل الناشىء الجنسية كي يتعلَّم منها كل جديد فيتجاوز مصاعبه ومشاكله، هذا ما نتمنى تحقيقه عند الأجيال الصاعدة، فيتناول المراهقون هذا الكتاب كدليل منهم على التعاون مع والدين متفهمين، عسى أن نحقق معاً مجتمعاً أفضل! . . .

الفصل الثامن

الجنس... والنمو الاجتماعي والصحة النفسية السليمة

مقدمة:

مما لا شك فيه أن للإطار الثقافي الذي ينشأ فيه المراهق أثراً في تكوينه النفسي، وبذلك فهو ينعكس على السلوك التوافقي مع مجالاته الخارجية. فكل ما يهم هنا هو الآثار السلوكية للتغيرات التي تحصل عند المراهق ومدى ما يتمكن المجتمع من تقديمه كمساعدة للمراهقين كي يتغلبوا على مشكلاتهم لتصبح شخصيتهم متوافقة ومتوازنة.

بناء عليه فكل ما نطلق عليه اسم مطالب النمو الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمطالب النمو الجنسي، ذلك لأن مشكلات التوافق الجنسي ليست سوى مشكلات في النمو الاجتماعي، والمجتمع هو المسؤول الأول عن نشوء مثل هذه المشكلات.

أولاً ـ المطالب التي تساهم في حل هذه المشكلات:

١ ـ الإعداد للزواج والحياة الأسرية: وهي مشكلة يجب إدخالها ضمن الإطار التربوي كي تكمل ما أشرنا إليه في الفصول السابقة عن التربية الجنسية وإعداد الناشىء. وبناء على نتائج استفتاء جرى حول هذه المشكلات تبين ما يلي: إن نسبة عالية من الشباب من الجنسين يريد أن يعرف كيف يجعل الجنس الآخر يهتم به، وعن أساليب السلوك الاجتماعي الصحيح خصوصاً بحضور الجنس الآخر. كما دلَّ الاستفتاء على رغبة في التعرُّف إلى بعض المسائل التي تتعلق بالزواج والحياة الزوجية المقبلة. يجب تحديد دور كل من الزوج والزوجة في مجتمعنا الحديث.

يجب تشجيع الشباب على توقع الكثير من الإشباع في الحياة الأسرية، وأن التعاون المثمر بين الزوج والزوجة هو الأساس في الحياة الأسرية وفي السعادة المنزلية. فتنظيم دروس في الزواج يبدو غريباً، خصوصاً إذا أردنا أن نبقى مجتمعاً متمسكاً بالأسرة كخلية المجتمع، ولأجل ذلك يجب وضع برامج خاصة تهدف إلى تعليم الشباب قيم الزواج ومهمات الأسرة في تماسك المجتمع وتلاحمه، وإلاَّ فإننا نخاطر بزهرة شبابنا وشاباتنا في إبعادهم عن الحياة الأسرية كي يصبح لديهم دور فعَّال في هذا المجال.

٢ ـ أما المطلب الثاني فهو: إعداد المراهق والمراهقة كي يتقبلا دورهما في المجتمع كرجل وامرأة، والسعي إلى التخلُّص من فكرة المجتمع الذكري وهذا ما نلاحظه فنجد روح الثورة تنشأ عند بعض الفتيات: الثورة على كونهن فتيات. فيرغبن في الحصول على مهنة كالرجال والتمتع بالاستقلالية وينزعن بطرق أخرى في الحياة تبتعد عن سلوك أمهاتهن، كما أن كسب المال يعطي قسطاً أوفر من الحرية، هكذا نلاحظ سعي الفتيات الدائب للتعلم والتفوق والتماس المهنة والعمل.

أما الشباب فينبغي تدريبهم على تحمل المسؤولية وبصورة خاصة مسؤولية الزواج والتغلب على المشاكل وعدم الهروب منها. وكل ذلك يتطلب توجيهاً من قبل السلطة على يد أخصائيين في علم النفس والتربية لتنمية روح التعاون الجماعي بشكل عام وبصورة خاصة بين الشاب والفتاة.

٣ ـ المطلب الأهم هو التربية الجنسية، وقد شرحنا عنه بما فيه الكفاية في الفصول السابقة، إنما تبقى كلمة وهي الأهم: هل نستطيع أن نقنع مجتمعاتنا بإدخال التربية الجنسية في المناهج التعليمية وتدريب الأهل على جعلها أمراً طبيعيّاً في البيت يتم التعامل بوساطتها مع الجنس بكل تفهم لإرشاد كل فرد من أفراد الأسرة ومحاولة توجيهه نحو الأفضل.

هل نستطيع التخلص في مجتمعنا من فكرة الحرمان والكبت للأمور المتعلقة بالجنس، يظن معظم العلماء أن المجتمع الذي يعطي حرية بشكل واع يتوصل إلى هدوء في الأمور الجنسية أكثر من المجتمع الذي يكبتها ولا

يتعامل معها إلا بالهمس والوشوشات وما شابه. إذاً يجب التخلص من هذا التابو Tabou (الكبت والحرمان).

٤ - وجوب التربية الجنسية في البيت أولاً ثم في المدرسة لاحقاً... انظر الفصول السابقة.

٥ - وجوب تربية جنسية خاصة بالمراهق. ولكن من الذي يقوم بمهمة إرشاد المراهق في مشاكله الجنسية، إذ يتعذَّر على الوالدين في أغلب الأحيان أن يقوموا بهذه المهمة لأنهم يعتبرونها شائكة، ولعدم اتساع وقتهم لذلك...

إذاً يجب أن يقوم بهذه المهمة المدرِّس أو المدرِّب الرياضي أو المشرف النفسي أو التربوي شرط أن يكون المراهق واثقاً به، وبينهما احترام متبادل وأجواء حرة بعيدة عن القيود والالتزامات.

على المرشد هذا أن يكون ملماً بمميزات المراهقة النفسية وذا فهم واضح لما يريد معالجته، وأن يكون مقدِّراً لمشاكل المراهق مهما بدت تافهة من حيث أنها الجسر الذي يعبر عليه من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة. كما يجب أن يكون ممَّن يستطيع التفاهم مع المراهقين بالمنطق السليم، وأن يكون بعيداً عن الآراء المتزمتة، ويكون قد تغلَّب على مشاكله بنجاح.

يفترض أن تكون المشاورة فردية وليست جماعية، فيجري مناقشة مشكلات المراهق على حدة وبشكل سري حتى يستطيع توجيهه الوجهة الصحيحة. وكل إجابة على أسئلة المراهق تكون بقدر السؤال لا أكثر ولا أقل وبكل صراحة وإخلاص. لأن الصراحة العلمية الدقيقة تغني المراهق عن البحث والتقصي وراء المعلومات المشوشة والمضرة فتجنبه البحث عن إشباع نزعته للمعرفة الجنسية بالطرق غير الصحيحة...

ثانياً - الصحة النفسية السليمة:

يسعى هذا العلم إلى مكافحة الاضطرابات النفسية والعقلية على اختلاف أنواعها وأشكالها ودرجاتها، في مظاهرها الخفيفة والعنيفة بالإضافة إلى

ضعف العقل، وذلك في سبيل وقاية الناس منها وتزويدهم بالمعلومات اللازمة للمحافظة على صحتهم النفسية. فالعلاج المبكر لاضطراب ناشىء يكون وقاية للفرد من اضطراب مقبل خطير قد يصبح مستعصياً على الشفاء. فمن أساليب الوقاية إزالة العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى سوء التوافق في البيت والمدرسة والمصنع والثكنة والمستشفى والملاجىء والأندية...

وعلم الصحة النفسية هذا يستفيد من إنجازات العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم التربية والاجتماع والطب.. وعلم الجنس على صلة وثيقة بعلم نفس الطفل..

أما الإجراءات العملية التي تسعى إليها الصحة النفسية فأهمها:

أ - وضع برامج وأساليب من شأنها توعية الآباء والأمهات.
ب - تنظيم المدارس بما يتمشى مع مبادىء الصحة النفسية.
جـ - نشر العيادات النفسية على اختلاف أنواعها.

أولاً - ما هي مظاهر الصحة النفسية؟

يمكننا إيجاز هذه المظاهر بما يلي:

أ - التوافق الاجتماعي: وهو القدرة على قيام صلات اجتماعية سليمة: كالتعاون والتسامح و...

ب - التوافق الذاتي: وهو قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة فيحقق التوازن في سلوكه.

جـ - ارتفاع رصيد الإحباط: وهو قدرة الفرد على الصمود في الشدائد والأزمات.

د - الشعور بالرضى والسعادة، والاستمتاع بالحياة والعمل والأسرة والأصدقاء...

هـ - الإنتاج الملائم: أي المقدرة على الإنتاج المعقول وفقاً لقدرات الفرد وذكائه وإمكانياته.

و ـ قدرة الفرد على إحداث تغييرات إصلاحية بنائية في مجتمعه وبيئته.

والصحة النفسية وضع نسبي تتفاوت درجاته باختلاف الأفراد، ويبقى شرطها الأساسي تكامل الشخصية والنضج الانفعالي...

ثانياً: ما هي أُسس التربية السليمة؟

إذا كنا نحب الطفل فعلاً (وهذا التعبير يتضمّن اتهاماً للأهل)، رغم كل عيوبه يجدر بنا أن نفهمه ولكي نفهمه علينا أن نعرفه، ومعرفة الطفل تتضمن الأمور التالية:

أ ـ التعرف إلى دوافع الطفل وحاجاته الأساسية وكل ما يترتب على إحباطها وكبتها من أضرار.

ب ـ التعرف إلى منطقه الخاص وطرق تفكيره ونظرته إلى العالم وإلى كل ما يحيط به.

جـ ـ التعرف إلى مراحل نمو الطفل والأزمات التي يمرُّ بها الناشىء في خلال نموه.

ثالثاً ـ ما هي حاجات الطفل الأساسية؟

إنها دوافع عامة مشتركة بين كل الناشئين في مختلف الثقافات الاجتماعية وكذلك بين المراهقين. وقد أطلق عليها صفة الأساسية لأنه يشتق منها حاجات فرعية كثيرة: وهي:

أ ـ الحاجات العضوية.
ب ـ الحاجة إلى الأمن.
جـ ـ الحاجة إلى النقد الاجتماعي.
د ـ الحاجة إلى تأكيد الذات والتعبير عنها.
هـ ـ الحاجة إلى الحرية والاستقلال.
و ـ الحاجة إلى الاستطلاع والظفر بخبرات جديدة.
ز ـ الحاجة إلى اللعب.

فمن واجبات الوالدين في مرحلة المراهقة بصورة خاصة أن يفتحا قلبيهما لكل ما يختلج نفوس الشباب من شكوك وشبهات وأسئلة محيرة بدل أن يصدّاهم عنها صداً أو يقفا عند مجرد اللوم والإنذار. فالعقول المنفتحة تنفر من الزجر والقسر ولكنها تتقبل الاقتناع والجدل المنطقي. وحبذا لو تنازلا عن شيء من نفوذهما التقليدي كي يساعدا المراهق على حل مشاكله عامة والجنسية بصورة خاصة، فيتحرر من عادات الطفولة والاتكال عليهما. كما على الوالدين أن يتذكرا أن الهفوات والزلّات بعض ضرورات مراحل التطور، خصوصاً بعد الحرمان الطويل والضغط العنيف... حتى إذا ما ألف الشاب الحرية ومارسها واستشعر لذتها تسنى له أن يميِّز بين الحرية والفوضى، بين الاحترام والتطاول، بين التبجح وإبداء الرأي، بين ما له من حقوق وما عليه من واجبات... إلخ.

رابعاً ـ ما هي عواقب التربية البيتية الخاطئة؟

تؤدي التربية الصارمة والقسوة إلى خلق ضمير صارم أرعن، وتولِّد الكراهية للسلطة الأبوية، فيتخذ الناشيء من الكبار ومن المجتمع عموماً موقفاً عدائياً قد يدفعه إلى الجنوح، أو قد يخضع للقسوة ويصبح مطيعاً لكنها طاعة مقرونة بالحقد والنقمة وتحيُّن الفرص للقيام بالأعمال المحظورة. أو يرى الخلاص في تملُّق والده مع الاحتفاظ بمواقفه السلبية، فلا يبلغ صفات الرجولة إلّا وتموت ثقته بنفسه وروح المبادأة والاستقلال. ومن الوالدين من ينبذون طفلهم نبذاً صريحاً فيضطرون أحياناً إلى طرده من البيت، فيفقد الولد شعوره بالأمن وتنمو عنده روح الانتقام ومن ثم يصبح مضطرباً فينتج عن ذلك التخلف المدرسي والمرض النفسي والجنوح.

ليس التراخي أو التدليل أقل ضرراً من التشدد والتزمت فهو يؤدي إلى الشعور بالنقص والخيبة حين يصطدم الطفل بالعالم الخارجي أو يذهب إلى المدرسة أو حين يولد له أخ جديد... إلى أن يصبح عاملاً هداماً لكيان شخصيته.

أما التقلُّب في معاملة الطفل بين اللين والشدة أو القبول والرفض فهو

من أشد الأمور خطراً على أخلاقه وعلى صحته النفسية. مثل هذه المعاملة تجعل الطفل في حالة دائمة من القلق والحيرة، ولا يصبح قادراً على تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه وخلقه. فيصل إلى اصطناع الكذب والنفاق...

ومن الأمّهات والآباء من يظهرون تلهفاً شديداً على الطفل خوفاً على صحته الجسدية والعقلية، فلا يسمحون له باللعب مع رفاقه أو الاندماج معهم خوفاً عليه من الغرباء أو السيارات أو... مثل هذا الولد يستجيب لهذه المعاملة بالقلق والتهيب ويزداد اتكاله على أبويه لأنه لم يتعلّم مواجهة مواقف بمفرده. هنا تضعف ثقته بنفسه وبوالديه أيضاً. وهذه الحالة قد تؤدي إلى نضج جنسي ضعيف وكذلك النضج العام.

ولا ننس أثر شجار الوالدين في الولد، فهو يفقد شعوره بالأمن خوفاً على مصيره، أو خشية أن يتحوّل عدوان أحدهما عليه، أو قد يظن أنه سبب الشجار، فيحتار الولد في ولائه لأبيه أو لأمه، وضعف ثقته بهما تجعله لا يثق بالمجتمع، أضف إلى ذلك فالأمر يعطي الطفل فكرة سيئة عن الحياة الزوجية ومن ثم عن الحياة الجنسية... باختصار ان خصام الأهل عامل بالغ الأهمية في نشأة كثير من الاضطرابات النفسية، وعليه فإن الطلاق أفضل من الشجار الدائم.

خامساً ـ دور المدرسة في تأمين الصحة النفسية:

هناك توافق تام بين أهداف المدرسة وأهداف علم الصحة النفسية، فكلاهما يرمي إلى تكوين شخصيات متكاملة، ناضجة، سعيدة قادرة على الإنتاج والتعاون. فما هي واجبات المدرسة الحديثة؟

أ ـ تسعى المدرسة الحديثة إلى خلق الجو الديمقراطي بين التلاميذ، واحترام قيمة الطالب...

ب ـ تهيّىء المدرسة الحديثة مواقف تعليمية بحيث يتم التعلّم مع نموّ سليم لشخصيات الطلاب في مختلف المراحل، مع شيء من الإثارة والتسامح والمودة...

جـ ـ تهتم المدرسة الحديثة بالمتعلمين قبل الاهتمام بمواد الدروس: دوافعهم حاجاتهم، مع الاهتمام بالفروق الفردية.

د ـ تسعى إلى اختيار معلمين أكفاء وتزودهم بمبادىء الصحة النفسية، كما تتأكد من سلامة صحتهم النفسية.

هـ ـ تعين المدرسة الحديثة مراكز للتوجيه المهني، فتحتفظ لكل طالب بملف خاص تسجل فيه مستواه العقلي وسماته البارزة واتجاهه الخلقي العام وميوله... إلخ. هناك صلة وثيقة بين الصحة النفسية عند الفرد وعمله.

و ـ تهتم المدارس الحديثة بمشاكل الطلاب وانحرافاتهم السلوكية والخلقية فتعالجها قبل أن تتفاقم ويستعصي شفاؤها. من هنا وجوب التعاون بين البيت والمدرسة إن من أجل التربية الجنسية أو من أجل تحقيق كل الأهداف التربوية المطلوبة...

ومن العيادات الحديثة نذكر:

١ ـ عيادات إرشاد الأطفال: تسعى لمعالجة مشكلات الأطفال السلوكية.

٢ ـ العيادات النفسية التربوية: وتعالج مشكلات التلاميذ التي تعجز عن حلها المدرسة.

٣ ـ عيادات الأحداث الجانحين: تعالج مشكلات الأحداث عندما تتخذ صورة عدوان على المجتمع بما يقتضي تدخل السلطات ـ كالاعتداء بالعنف، والاعتداء الجنسي، والاغتصاب، والتخريب، والتشرُّد...

٤ ـ عيادات عيوب النطق: معالجة الفأفأة والتأتأة والتلعثم...

٥ ـ عيادات التوجيه والتأهيل المهني: وهي توجه المراهقين أو المضطربين وترشدهم إلى المهن التي تناسبهم. وهناك عيادات للإرشاد الزوجي، وعيادات لإرشاد الأمهات، وعيادات تشخيص وعلاج حالات سوء التوافق العنيفة كالعصاب والذهان.

والعيادات هذه تحتوي على أخصائيين في مختلف الميادين، ولا يقتصر عملها على التشخيص والعلاج، بل لها وظائف أخرى: فهي مراكز توجيه وإرشاد وتوعية يفيد منها أغلب الناس. وتكون مراكز للبحث العلمي من جراء دراسة الحالات المختلفة.

سادساً ـ كيف تحافظ على صحتك النفسية؟

أ ـ تعرف أولاً إلى نفسك وقدِّر ما بها من نواحي ضعف وقوة وما فيها من إمكانيات خافية أو مهملة، وحبذا لو استطاع كل فرد حل مشاكله ومن السهل ذلك إذا تمكن من الكشف عمَّا يكبته. فضوء النهار يطرد الأشباح... إن شر الحروب هي الحرب التي يشنها الإنسان على نفسه، لكنها حرب لا مفرَّ منها إن أراد أن يحتفظ بصحته النفسية...

ب ـ على كل فرد أن يتعلم حل المشكلات بالأسلوب العلمي والطرق والأساليب الصحيحة... وعليك أن تأخذ الأمور بالهوان، وأقنع نفسك بأن الفشل والحرمان من طبع الحياة فلا مفر من قبولها...

جـ ـ اتخذ لنفسك هدفاً في الحياة، فهو شرط من شروط تكامل الشخصية.

د ـ اتخذ لنفسك صديقاً، فالصديق شخص يسمع ويفهم ويحنو وينصح، والتعبير له عن متاعبك ومشاكلك باللفظ يهوِّن من شدَّتها، ويزيدها وضوحاً وتحديداً، فتنظر إلى الحياة بموضوعية وتبلغ الحالة السوية.

هـ ـ كن صريحاً في معاملاتك ـ إذا كانت الصراحة مع النفس نوعاً من الأمانة فالصراحة مع الغير نوع من الشجاعة. والبعد عن التصنع والتكلّف واللّف والمواربة في معاملة الناس يعفيك من كثير من الحرج والتورط والصراع، أو يحرِّف حقيقة صلاتك بالناس.

و ـ ركِّز انتباهك على الأمور الراهنة أي في الحاضر، ولا تكثر من التحسر على ما فات أو التوجّس مما هو آت، بل ركز انتباهك على الحاضر فهذا

خير وسيلة للإتقان وسرعة البت والإعداد للمستقبل، لكن هذا لا يعني إغفال الخبرة الماضية وما يقتضيه المستقبل. . .

ز ـ قم بعملك بإتقان ولا تحاول أن تنجز عدة أشياء في وقت واحد. واعتمد شعار الكيف قبل الكم، ففي الإتقان أمانة وشعور بالنجاح والفوز، وهذا أفضل سبيل إلى زيادة الثقة بالنفس، والابتعاد عن القلق.

حـ ـ عليك الاشتراك في نشاط اجتماعي، ففيه فوائد إنشائية ووقائية وعلاجية، فهو الدليل الواضح على سلامة عقلك ونضجك وبلوغك الصحة النفسية السليمة.

المراجع

المراجع باللغة العربية:

١ - بناء العائلة، كلير سوفناس مترجم عن الفرنسية المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦.

٢ - التطور المعرفي عند جان بياجه، موريس شربل، منشورات مجد بيروت لبنان ١٩٨٢.

٣ - الحامل والجنين. د. معن ريشا، جروس برس - طرابلس ١٩٨٨.

٤ - حياتنا الجنسية د. فريدريك كهن، ترجمة أنطوان فيلو، بيروت ١٩٦٦.

٥ - حياتنا الجنسية. د. صبري القباني، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٢.

٦ - كيف تربين أولادك، د. محمد رفعت، دار المعرفة، بيروت ١٩٨١.

المراجع باللغة الفرنسية:

1 - L'education sexuelle chez l'enfant, Dr. André Berge, Que sais - Je? Paris France.

2 - Encyclopedie de la vie sexuelle, Hachette, 7/9 ans. Paris. 1973.

3 - Encyclopedie de la vie sexuelle, Hachette, 10/13 ans. Paris. 1974.

4 - Encyclopedie de la vie sexuelle, Hachette, 14/16 ans. Paris 1975.

5 - Encyclopedie de la vie sexuelle, Hachette,17/19 ans. Paris. 1975.

6 - Encyclopedie de la vie sexuelle, Hachette, Adultes (Problèmes), Paris 1977.

المراجع باللغة الإنكليزية:

1 - Bugoss. Ew. and Wallin, P. Engagement and Marriage, Lippin Cott, Chicago - 1953.

2 - Hutt C. Males and females, Penguin Books, Harmond Worth, 1972.

3 - Kinsey, A.C. Pomeroy, W. B. and Martin, op. cit.

4 - Mead, M. Sex and temperament in the Primitive Societies in from the southseas, Moiron - New - York, 1939.

5 - Newson, Y, and Newson, Infant care in a Urban community, Penguin Books Harmonds Worth, 1965.

6 - Pomeroy, W.B. Boys and Sex/ Girls and Sex, Penguin Books Harmonds Worth, 1970/2.

7 - Ramsey, C.V. The Sexual developpment of boys, American Journal of Pedagogy.

8 - Schofield, M, the Sexual behaviour of Young people, Longmans Green, London 1965.

الفهرس

إلى المراهق . . إلى المربِّي . . إلى الأهل

من أجل **المراهق** نعرض للمشاكل الجنسية من الناحية الفيزيولوجية ــ السيكولوجية ، إضافة إلى تجارب وخبرات الأطباء والمربين .

وإلى **الأهل** ، نطلب إليهم أن يتدخلوا في أمور التربية الجنسية عند أولادهم للعديد من الأسباب ، فالأهل والأولاد على علاقة بيّنة في المشاكل الجنسية . والأهل هم الذين يبدأون بالتربية الجنسية . لذا نسرد لهم في هذا الكتاب ما يجب أن يقوموا به تجاه أسئلة الطفل والولد والمراهق ، كما نوضح لهم طرق المعاملة في هذا الشأن للتخلص من كابوس المحرّمات والممنوعات .

وللمربِّي دور أساسي يفرض نفسه ، فعلى عاتقه مسؤولية إعلام التلميذ الذي يطرح عليه الأسئلة ، وعليه الإفساح في المجال أمام المراهق للتعبير عن كل رغباته ومخاوفه ضمن نقاش حرّ واضح وصريح .

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع